آية اللّه مجتبى الطَّهراني

الأخلاق الإلهية

المجلَّد الرَّابع

آفات اللسان

(القسم الأوّل)



تعريب
الشيخ ضياء الدين الخزرجي


www.iict.ir

المجمع العلمي العالي
للثقافة والفكر الإسلامي


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الأخلاق الإلهية



مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع السيد عباس الموسوي - بناية مركز الغدير

تلفاكس: ٥٥٨٢١٥ / ٠١ ــ ٥٥٢٢٦٢ / ٠١ خليوي: ٦٤٤٦٦٢ / ٠٣

ص.ب.: ٥٠/٢٤ - الرمز البريدي: ١٠١٧ - ٢٠١٠ - برج البراجنة

www.alqadir.org

www.alqadir.net

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

آية الله مجتبى الطّهراني

الأخلاق الإلهية

المجلّد الرّابع

آفات اللّسان

(القسم الأوّل)

تعريب: الشيخ ضياء الدِّين الخزرجي

من إصدارات

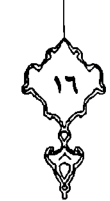
المجمع العلمي العالي
للثقافة والفكر الإسلامي

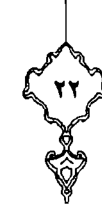


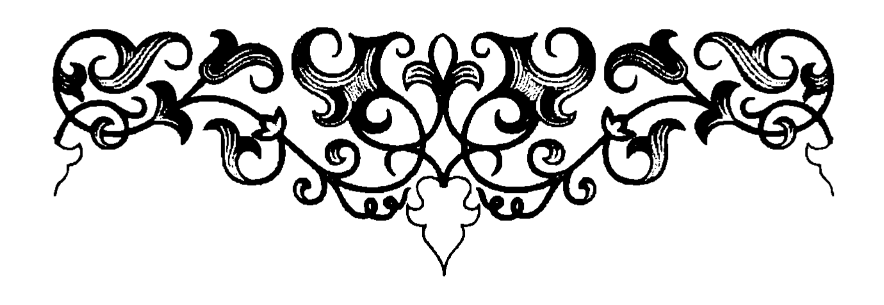

بسم الله الرحمن الرحیم

الفهرس









كلمة
المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي

رأىٰ المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي النُّور في عام ١٩٩٤م. وانطلقت أعماله في إطار المشروع الحداثي الدِّيني المؤطَّر بالسنَّة، لاسيما الشِّق المجدِّد منه، ذلك أن المشاريع المعرفية للمفكِّرين، في العالم الإسلامي، تنقسم إلىٰ ثلاث فئات هي: التقليدية، التجديدية، الحداثية الدِّينية.

أمَّا الفئة الأولىٰ، فتتعاطىٰ مع الحداثة من منطلق مبادلة مفاهيم الأصالة وأفكارها الجديدة بالسنّة، وبناء على ذلك، فإنّ أنصارها يرفضون أي تعديل في تلك المفاهيم مهما كانت الظروف. لذلك فإنّ هؤلاء، في نظر أنفسهم، يرفضون الحداثة والتجدّد دفاعاً عن السنّة. وتالياً، يبدو جليّاً أنّ أيّ قراءة معاصرة للنُّصوص الدينية، أو تعديل، أو تحديث، في الأنموذج الفكري لهذه الفئة، تستجيب لمتطلبات المجتمع الإنساني يبدو أمراً بعيد المنال.

أمَّا الفئة الثانية، صاحبة مشروع التجديد الدِّيني الذي يقف في مواجهة التيَّار التقليدي الدِّيني آنف الذكر، ويتعامل مع مفاهيم الحداثة والأفكار المعاصرة بانفتاح كبير، فتقايض مبدأ الأصالة بالتجدّد، وتعمل علىٰ تحديث السنّة وتطويعها بما يتناسب ومفاهيم المعاصَرة.

وفي الوقت الذي يبدو فيه أنّ مآل الأنموذج المعرفي للتقليديين هو الجمود

الفكري والأصولية والتماهي والرجعية، يبدو، أيضاً، أنَّ نتيجة الأنموذج التجديدي هي إقصاء السنّة عن الساحة نهائياً، وفتح الباب على مصراعيه أمام المذاهب الإنسانية والعلمانية لتفرض سطوتها على جميع مرافق المجتمع.

في هذه الأثناء، يبرز أمامنا أنموذج فكري ثالث هو المشروع الحداثي الديني، لا سيّما الشقّ المجدّد فيه؛ إذ إنّه، في الوقت الذي يبادل فيه الأصالة بالسنّة، يسعى، من خلال السماح لمفاهيم الحداثة بالعبور عبر ممرّ السنّة، إلى تعديل تلك المفاهيم وتطويرها، فيقوم بتحويل مصطلحات، من قبيل الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، إلى التحرّر والمساواة والحاكمية الدِّينية.

لقد اختار الأنموذج الفكري الحداثي الديني العقل والرؤية الكونية للإسلام منظاراً ينظر من خلاله إلى مفاهيم الواقعية وبلوغ الحقيقة وتفسير القيم المعنوية (المشروع واللامشروع). ومن هذه الزاوية، فهو ينطلق باتجاه التنظير والإنتاج الفكريَّين في مجالات الأحكام والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

تأسيساً على ما تقدّم، انبرى المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي إلى إغناء سوق النَّشر العالميَّة بإصداراته التي جاوزت الثمانمئة مصنّف. تلك المصنّفات التي ارتأت أن تنظر بعينين ناقدتين: عين تنتقد المذهب العلماني والمذهب الإنساني بوصفهما الأنموذجين اللذين يمثّلان الرؤية الفلسفية السائدة في الغرب، وعينُ أخرى تنتقد الأنموذج الفكري المطروح من قبل التيار الفكري التقليدي الإسلامي وترفضه، لتطرح بديلاً عن هذين الأنموذجين أنموذجاً آخر يتمثَّل في العقلانية الإسلامية والمقولات المنطقية المشتركة، تحت عنوان: الأنموذج الحداثي الديني المؤطّر بالسنّة.

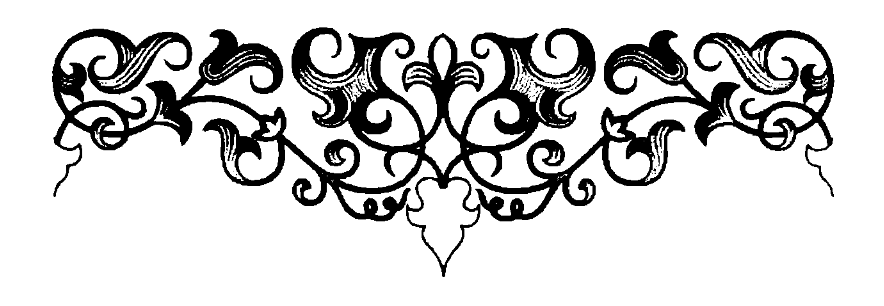


مع الشكر والتقدير

علي أكبر رشاد

رئيس المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي





نبذة سريعة عن

المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي ورئيسه

بدأ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد دراسته الدِّينية في الحوزة العلمية، في طهران، في عام ١٩٦٧م. وبعد أن أنهىٰ مرحلة المقدِّمات، انتقل إلىٰ الحوزة العلمية بمدينة قم في عام ١٩٧٠م، فدرس مرحلة السُّطوح الأولىٰ والثانية والثالثة والرابعة في الفقه وأصول الفقه علىٰ مشايخ كبار، من أمثال: حسن طهراني، صلواتي أراكي، اشتهاردي، حرم بناهي قمي، اعتمادي تبريزي، بني فضل تبريزي، يوسف صانعي، السيد علي محقق داماد، سبحاني تبريزي. كما درس الفلسفة الإسلامية، في قم وطهران، عند الأساتذة: أحمد بهشتي، محمد محمدي كيلاني، الشيخ الشهيد مرتضىٰ مطهري. أضف إلىٰ ذلك، أنَّ سماحته حضر، ولعقدين من الزمن، دروس الفقه وعلم الأصول لمرحلة الخارج في حوزتي طهران وقم عند المشايخ والآيات العظام: حسين وحيد خراساني، علي مشكيني، حسين علي منتظري، السيد علي خامنئي، مجتبىٰ طهراني.

علىٰ مدىٰ العقود الثلاثة الماضية، عكف الشيخ الأستاذ علي أكبر رشاد علىٰ تدريس موضوعات الفقه والأصول والفلسفة والعرفان في الحوزة العلمية في طهران، فضلاً عن فلسفة الدِّين والعلوم القرآنية وميتودولوجيا فهم الدين في الجامعات. كما أنّ سماحته يواصل، ومنذ عشر سنوات، تدريس مرحلة السطوح العالية (مرحلة الخارج في الفقه والأصول).

يشغل سماحة الشيخ رشاد، حالياً، منصب عضوية المجلس الأعلىٰ للثورة الثقافية،

والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومجلس رسم السِّياسات لحوار الأديان. كما أنّه مؤسس المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي ورئيسه، وهو أكبر صرح للبحوث غير حكومي يعنىٰ بشؤون الدين والعلم في إيران.

للمجمع العلمي العالي أربعة معاهد تضمّ، في مجموعها، عشرين قسماً تتوزَّع علىٰ فروع: الفلسفة، الأبستمولوجيا، العرفان، الدِّراسات القرآنية، علم الكلام، الدِّراسات الدِّينية، منطق فهم الدِّين، الأخلاق، الفقه والتشريع، السياسة، الاقتصاد، الإدارة الإسلامية، الدراسات الغربية (الاستغراب)، التاريخ والحضارة، الدِّراسات الثقافية، الثورة الإسلامية، آداب الفكر...إلخ.

تمّ تأسيس المجمع العلمي العالي في عام ١٩٩٤م، في ظلّ الحاجة الملحّة إلىٰ البحث في الشؤون الفكرية المعاصرة، والتركيز علىٰ الاتجاهات النقدية والحداثية في المستويات العليا، وقد أسفرت الجهود العلمية للمعاهد التابعة له عن صدور ما يزيد على ثمانمئة عنوان من المصنّفات المدوّنة. وهناك، حالياً، ثماني دوريات علمية تصدر عن المجمع العلمي العالي هي: «قبسات» باللغة الفارسية (مجلة متخصّصة في فلسفة الدين/ ذات رتبة علمية وبحثيَّة)، «ذهن» (متخصّصة في علم المعرفة)، «اقتصاد اسلامي» (ذات رتبة علمية وبحثيَّة)، «حقوق إسلامي» (ذات رتبة علمية وبحثيَّة)، «كتاب نقد» (دورية فكرية نقدية)، شهرية «زمانه» (متخصِّصة في التاريخ وعلم الاجتماع السياسي لإيران المعاصرة)، فصلية «حكمت» العالمية تصدر باللغة الإنجليزية (متخصّصة في الفلسفة واللاهوت)، وفصلية «قبسات» العالمية باللغة العربية (متخصصة في الثقافة والفكر الإسلامي).



كما صدرت عن المجمع العلمي العالي ، في العقد الأخير، أربع موسوعات بإشراف سماحة الشيخ رشاد عناوينها: ١. موسوعة الإمام علي عليه السلام (صدرت في ١٣ جزءاً)، ٢. موسوعة القرآن (دوّن منها ٣٥ جزءاً حتىٰ الآن)، ٣. موسوعة السيرة النبوية (في ١٥ جزءاً، وهي قيد التدوين)، ٤. موسوعة الثقافة الفاطمية (صدرت في ٦ أجزاء).

بالإضافة إلىٰ ما تقدّم ذكره، فإنّ سماحة الشيخ علي أكبر رشاد هو مؤسّس حوزة الإمام الرِّضا عليه السلام العلميَّة ورئيسها، وهي مجمع علمي يشمل جميع المستويات العلمية الحوزوية.

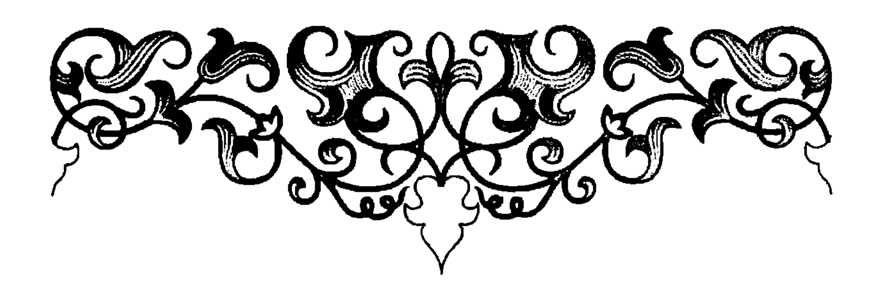
علاوة علىٰ المعاهد الأربعة (النظم الإسلامية، الثقافة والدِّراسات الاجتماعية، تدوين الموسوعات، الحكمة والدِّراسات الدينية)، توجد الأكاديمية العالمية، وهي في

طور التأسيس، والهدف منها توسيع شبكة الارتباطات العلمية، وقد طرحت هذه الأكاديمية مشروع ترجمة ضخماً يشمل ترجمة مئتي مصدر إلىٰ مختلف لغات العالم، ناهيك عن مشاريع أخرىٰ عالمية في مجال التنظير أو نقد آراء مشاهير المفكرين في العالم. تنضوي تحت لواء المجمع العلمي العالي العديد من المؤسسات والمراكز العلمية التي تقوم بإصدار العديد من النتاجات التي تهمّ شريحة الشباب وطلبة الجامعات.

مع الشكر

الدائرة العامَّة للتَّرجمة والنَّشر الدولي





ديباجة الكتاب

قال الإمام علي عليه السلام:

«هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استعوره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى... »[1].

لقد كان أستاذنا الفهّامة اللّبيب، ذو الأفق البعيد، حجة الحق، آية الله المعظم، صاحب السماحة والفضيلة، السيد مجتبى الطهراني (دام ظله)، كالجبل الأشمّ على مشارف الهضاب المتشعّبة الفتيّة والنّشطة، ومعيناً، وشريعة جارية راوية لظمأ القلوب العطشى المتلهّفة للحكمة والمعرفة، والشافية للنفوس الولهي، والمشتاقة للأخلاق الحميدة والسلوك الحسن.

درس سماحته الفقه و الأصول لأعوام كثيرة، فكان ركناً و حصناً منيعاً في أعلى السُّطوح والمدارج العلمية في الحوزة العلمية في طهران، ومجمعاً للفضلاء المجدِّين من ذوي الاستعداد والنبوغ في أم القرى عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكان يحضر دروسه و حلقاته كثير من التلامذة العاشقين لأبحاثه الجادّة في صباح كل يوم، فيخرجون منها وهم مرتوون من نمير عذبها الصافي، وعبيرها الشذي، وتجتمع في

---

١. صبحي الصالح: شرح نهج البلاغة، الكلمة ١٤٧، ص ٤٩٧.

دروس تفسيره الكثير من الشرائح الشابة والواعية، والمتلهّفين إلى المعارف والعلوم القرآنية، وقد انشدُّوا إليها انشداداً عاطفياً وفكرياً. لقد كانت محافل دروسه وإشراقاتها في علم الأخلاق والعرفان قديماً مقرّاً ومنتدى لاجتماع الطلاَّب الباحثين عن النقاء والطهارة، والمتشوِّقين إلى المعرفة.

قال تعالى: «**وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**»[1]، فارتوت أفكار الشباب من هذا النَّبع الصافي والينبوع الجاري في النفوس المستعدَّة، والقلوب المعدّة، فزكت قلوبهم و أرواحهم المذابة و المصقولة بنور علمه، «**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**»[2]. كان الأستاذ مثالا للتقوى، ومجسّداً لحياة الزُّهد والبساطة، ومظهراً للصراع مع النفس والهوى، والهروب عن الجاه والمناصب، ومجمعاً للعلم والعمل، قال الشاعر ما معناه: «لا يعرف حقائق الوجود وأسراره إلا العارف العالم بهذا العالم كلّه، لتنقاد له الأمور، فكل من وجد طريقه في معبد الشراب، فقد عرف أسرار الحلقة من الخانقاه»[3].

تتلمذ أستاذنا على يدي الإمام الخميني (قدس سره)، فكان من تلامذته البارزين، وذخائر ملكوته المعروفين العارفين، وأغصان شجرة طوبى الطيِّبة، وكان لشدة أنسه به وملازمته له، قد ذاب ذوباناً في شخصيته الفقهية والأخلاقية والعرفانية «**تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**»[4].

ويشم من مقتطفي سنابل حلقاته ودروسه في التربية والتعليم روائح روح الله، فيصل إلى عمق وجوده: «**أولئک كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه**»[5].

قال الشاعر ما معناه:



---

١. الأنعام (٦):١٢٢.

٢. ق (٥٠):٣٧.

٣. قال الشاعر بالفارسية:

زمانه افسر رندی جز به کسی * كه سرفرازی عالم در این کله دانست.

بر آستانه‌ی میخانه هر که یافت رهی * ز فیض جام جم اسرار خانقه دانست.

٤. ابراهيم(١٤):٢٥.

٥. المجادلة(٥٨):٢٢.

«فليستمد من فيض روح القدس * فيعمل الآخرون ما فعله المسيح»[1].

وليست دروس الأستاذ وأبحاثه المعنوية أخلاقاً نظرية تجريدية معروفة، ولا اجتراراً للأقوال التقليدية في أخلاق الفلسفة اليونانية، ولا نسبة لتعاليمه السلوكية بالعرفان المسلكي، بل هي خليط متجانس من الأخلاق النَّبوية والعرفان العلوي، الذي يعتمد على منطق الاجتهاد المستوحى من عذب نهج الآيات والرِّوايات، وذلك من خلال رعاية حاجات الجيل المعاصر ومتطلباته، فتصب أنهار فصاحة لسانه في فهم الوالهين المتعطِّشين للسلوك إلى الله.

فطوبى لهم ثم طوبى لهم * هنيئاً لأرباب النعيم نعيمها.

لقد ازداد عدد دروس سماحته (دام ظله)، وأبحاثه في مجال الأخلاق والعرفان لسنوات عديدة، فناهزت الألفي درس، ولا يزال هذا العطاء والثراء العلمي مستمراً إلى يومنا هذا، فأوكل مهمة جمع هذه الذخائر والنفائس لي، لحسن ظن الأستاذ ولطفه بي، فأوعزت إلى بعض الأخوة الأفاضل ليسهموا في جمع هذا التراث الإسلامي، وترتيبه وتنسيقه على هيئة برنامج منظم ومتكامل، وعلى شكل حلقات متتالية، فكانت أول خطوة عملية في هذا المجال هي:

نقل هذه الأبحاث والدُّروس من أشرطة التسجيل وتحريرها على الورق، ومن ثم إجراء بعض الأمور الفنية والتعديلات عليها لإعدادها وتحريرها، وتحضيرها للطباعة والنشر، لتكون مجموعة بحوث أخلاقية تضم ثلاثين مجلداً، تحت عنوان: «سلسلة البحوث الأخلاقية الإلهية».

سيتمُّ عرض أبحاث أخرى في العرفان تحت عنوان: «السير والسلوك»، وهي تضم عشرة مجلدات في مراحلها الأوَّلية، حيث يتم فيها تقويم النصوص والمتون المتوافرة، ووضعها في متناول الرَّاغبين في مجال المعارف والأخلاق، ويحتمل أن تصل سلسلة هذه البحوث والدراسات في «السير و السلوك » إلى عشرين مجلَّداً.

أمَّا ترتيب هذه الدُّروس الأخلاقية، فاتَّخذ هذا النحو:

المجلَّدات: من الأول إلى الثالث: تتضمَّن أهداف البعثة والأبعاد الوجودية للإنسان،



١. قال الشاعر: فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد * ديگران هم بكنند آنچه مسيحا مى كرد.

القلب، قوى النفس، رذائل القوى وفضائلها، تزكية النَّفس، الاعتدال، و....

المجلَّد الرابع: ويختص بآفات اللّسان، ويتضمن القسم الأول منه أبحاث: الغيبة، الكذب، البهتان، التهمة، المراء، الجدال، الخصومة، اللَّعن والشَّتم، الشَّماتة، السُّباب، الخوض في الباطل، الاستهزاء والسُّخرية، النَّميمة، والهذر في الكلام.

المجلَّد الخامس: ويختص أيضاً بآفات اللّسان، ويتضمَّن القسم الثاني منه الأبحاث الآتية: الإضلال، الأمر بالمنكر والنَّهي عن المعروف، الغناء، الإهانة، المدح، الطعن بالآخرين، إزدواجية اللّسان، إفشاء السرّ، التكلّف في الكلام، الشكوى، المزاح، الضَّحک، البكاء، الشعر.

المجلَّد السادس: ويختص بآفات اللّسان كذلک، ويتضمن القسم الثالث منه الأبحاث الآتية: الإغواء، الإزلال، النَّجوى، الكلام والصمت، الامتنان.

المجلَّدات: من السابع إلى الحادي عشر: تختص برذائل القوى العقلية والغضبية، وتتضمن الأبحاث الآتية: الجهل المركَّب، الغفلة، الوساوس الشيطانية، المكر، التهوُّر، الجبن، سوء الظن، الانتقام، الحقد، العجب، الكبر، الذُّل، العصبية، القساوة، و...

المجلَّدات: من الثاني عشر إلى الخامس عشر: تختص برذائل القوى الشهوية والوهمية، وتتضمن الأبحاث الآتية: حبُّ الدنيا، حبُّ المال، حبُّ الجاه، الطمع، الحرص، البخل، و...

المجلَّدات: من السادس عشر إلى التاسع عشر: تختص بفضائل القوى العقلية والغضبية، وتتضمن الأبحاث الآتية: الخوف والرجاء، كظم الغيظ، الحلم، العفو، المداراة، التواضع، الانكسار، احتقار النفس، الرقّة، حسن الخلق، و....



المجلدات: من العشرين إلى الثالث والعشرين: تختص بفضائل القوة الشهوية، وتتضمن الأبحاث الآتية: القناعة، الزُّهد، الفقر، الجود والسخاء، الإيثار، التقوى، الورع المالي، و....

المجلدات: من الرابع والعشرين إلى الثلاثين: تختص بفضائل القوة الوهمية، وتتضمن الأبحاث الآتية: الإخلاص، حب الله، الشوق، الرضا، الأنس، التسليم، التوكل، الاعتزال، وعلاقات «الوالدين، الأولاد، الزوجة، صلة الرحم والأنساب، المعصومين عليهم السلام، أهل الإيمان، الأستاذ، و...».

ولا يخفى على أهل الأذواق وأرباب المعارف أن العرفاء غير مجمعين على عدد منازل السلوک والسالكين وترتيبها، فبعض عدّها واحدة، وبعض آخر عدَّها اثنتين،

وبعض ثالث عدّها ثلاثاً، ومنهم من اعتقد أن عددها سبع، ورأى آخرون أنها سبعون، وهناك من عدّها مائة، واعتقد بعضهم أنها ألف.

قال الشاعر:

إلى اين ينتهي هذا الطريق؟!، وأمامنا ألف طريق، فنحن في بداية الطريق[1]!.

واعتقد العرفاء أن بداية هذا الطريق هي «اليقظة» وأنّه ينتهي «بالوحدة».

ويمكن الجمع بين الكثير من هذه الآراء ووجهات النظر، فطرق السلوك والوصال هي بعدد أنفاس الخلائق، كما ورد ذلك عن النبي(ﷺ) بقوله: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»[2].

لقد طوى أستادنا (مدّ ظله) منازل السالكين، بدءاً بـ«أوصاف الأشراف»، وهو من آثار الخواجة الطوسي ـ رضوان الله عليه ـ القيّمة، و قد عدّ الخواجة منازل السالكين إحدى وثلاثين منزلاً، بدءاً بمنزل «الإيمان»، وانتهاء بمنزل «التوحيد»..

وأكمل الأستاذ أبحاثه في بيان منازل السائرين متّبعاً نهج الخواجة عبد الله الأنصاري. و بهذا أتمّ سلسلة السير و السلوك على أساس «المائة منزل»، وقد تمّ تدوينها وإكمالها، ثم عرضها، فيكون سير عناوين هذه المجموعة بهذا الترتيب:

١ـ اليقظة ٢ـ التوبة ٣ـ المحاسبة ٤ـ الإنابة ٥ـ التفكُّر ٦ـ التذكر ٧ـ الاعتصام ٨ـ الفرار ٩ـ الرِّياضة ١٠ـ السَّماع ١١ـ الحزن ١٢ـ الخوف ١٣ـ الإشفاق ١٤ـ الخشوع ١٥ـ الإخبات ١٦ـ الزُّهد ١٧ـ الورع ١٨ـ التبتل ١٩ـ الرَّجاء ٢٠ـ الرغبة ٢١ـ الرعاية ٢٢ـ المراقبة ٢٣ـ الحرمة ٢٤ـ الاخلاص ٢٥ـ التهذيب ٢٦ـ الاستقامة ٢٧ـ التوكُّل ٢٨ـ التَّعويض ٢٩ـ الثقة ٣٠ـ التسليم ٣١ـ الصبر ٣٢ـ الرضا ٣٣ـ الشكر ٣٤ـ الحياء ٣٥ـ الصدق ٣٦ـ الإيثار ٣٧ـ الخلق ٣٨ـ التواضع ٣٩ـ الفتوَّة ٤٠ـ الانبساط ٤١ـ القصد ٤٢ـ العزم ٤٣ـ الإرادة ٤٤ـ الأدب ٤٥ـ اليقين ٤٦ـ الأنس ٤٧ـ الذِّكر ٤٨ـ الفقر ٤٩ـ الغناء ٥٠ـ المقام المراد ٥١ـ الإحسان ٥٢ـ العلم ٥٣ـ الحكمة ٥٤ـ البصيرة ٥٥ـ الفراسة ٥٦ـ التعظيم ٥٧ـ الإلهام ٥٨ـ السكينة ٥٩ـ الطمأنينة ٦٠ـ الهمة

---

١. قال الشاعر بالفارسية: اين راه را نهايت صورت يكجا توان بست * كز صد هزار منزل بيش است در بدايت.

٢. نسب هذا الحديث إلى النبي(ﷺ)، علم اليقين،ج١، ص ١٤.

٦١ـ المحبّة ٦٢ـ الغيرة ٦٣ـ الشوق ٦٤ـ القلق ٦٥ـ العطش ٦٦ـ الوجد ٦٧ـ الدهشة ٦٨ـ الهيمان ٦٩ـ البرق ٧٠ـ السرّ ٧١ـ اللحظ ٧٢ـ الوقت ٧٣ـ الصفاء ٧٤ـ السرور ٧٥ـ السرّ ٧٦ـ النفس ٧٧ـ الغربة ٧٨ـ الغرق ٧٩ـ الغيبة ٨٠ـ التمكُّن ٨١ـ المكاشفة ٨٢ـ المشاهدة ٨٣ـ المعاينة ٨٤ـ الحياة ٨٥ـ القبض ٨٦ـ البسط ٨٧ـ السكر ٨٨ـ الصحو ٨٩ـ الاتصال ٩٠ـ الانفصال ٩١ـ المعرفة ٩٢ـ الفناء ٩٣ـ البقاء ٩٤ـ التحقيق ٩٥ـ التلبيس ٩٦ـ الوجود ٩٧ـ التجريد ٩٨ـ التفريد ٩٩ـ الجمع ١٠٠ـ التوحيد.

لقد تمَّ تدوين هذه المجموعة وتنسيقها بهذا النسق. أمَّا أسلوب منهجية مرحلة التنظيم وتدوين مجموعة «الأخلاق الإلهية»، فيمكن بيانه كما يأتي:

١ـ نقل الدروس مشافهة:

تم نقل ما يقرب من ألفي درس ومحاضرة من محاضرات الأستاذ من أشرطة التسجيل، وإعدادها على شكل متون ومواد أصلية في البحث، وكتابتها على الورق لتكون جاهزة للطبع.

٢ـ إعادة صياغة النَّص الابتدائي:

إجراء المرحلة التالية، بعد نقل النصوص والمواد الأصلية في البحث، وهي: إعادة صياغة هذه النُصوص والمواد الأصلية في البحث بأسلوب أدبي، وإخراجها من طابعها المحلِّي والاعتيادي الذي كان على شكل حوار وأسلوب عامِّيَّين.

٣ـ إحكام الصياغة بأسلوب أدبي وفني:



سيتم، في هذه المرحلة، إحكام النُصوص والمواد الأصلية في البحث، وصياغتها صياغة أدبية، تتَّصف بالدِّقة والبلاغة.

٤ـ تخريج المصادر:

ويتم، في هذه المرحلة، استخراج كافة المصادر التي تطرّق لها الأستاذ في أبحاثه، وذكرها في الهوامش.

٥ـ تكثير النُصوص والمستندات وإكمالها:

ستضاف نصوص ومستندات أخرى إلى النُصوص والمواد الأصلية في تلك الأبحاث، بعد عرضها من قبل الأستاذ، وهي شواهد وقرائن أخرى تم العثور عليها، ثم نقلها، وهي تعدّ شواهد مناسبة.

توضيح: جمع الأستاذ كثيراً من الشّواهد والأدلّة في أبحاثه، إلا أن ضيق وقت المحاضرة، جعلته يعرض عن ذكرها بأجمعها، و يعتذر لعدم ذكرها.

٦ـ الاستناد إلى أحاديث العامّة:

يحتمل نقل هذه المجموعة إلى اللغة العربية، وترجمتها إلى لغات عالمية أخرى. وسيتم، على الأقل، نقل كثير من الشواهد والمستندات الشيعية بعد العثور على أحاديث منقولة من طرق أهل السنة، وعرضها في الهوامش، لتكون مقبولة لدى كافة الفرق الإسلامية... وهذه خطوة أساسية ومهمّة تتمثّل في العثور على المشهورات الروائيّة ومستفيضاتها في علم الأخلاق.

٧ـ الإدارة وانسجام التنظيم:

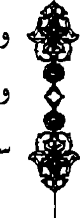
يتم، في هذه المرحلة، إيجاد تنسيق وتنظيم منطقي بالنسبة للمادة الأصلية في البحث، والأمور الفرعية والجزئية المصنّفة بين الأقسام المختلفة، وعرض هذه المحاضرات بشكل كتب ومصنفات.

٨ـ وضع العناوين:

يتم، في هذه المرحلة، تعيين العناوين الأصلية والفرعية والجزئية المناسبة حسب موردها وأقسامها المختلفة (القسم، الفصل، المقولة).

٩ـ التفصيل والشرح (التعليق والتذييل):

إن سبب وجود الإبهام والغموض، عند كثير من المخاطبين في بعض المواضيع والأبحاث، هو: كثرة التعقيد في الأبحاث العلمية. وتحتم طبيعة هذه المرحلة وضرورتها: تقديم شروح وتفاسير لكثير من النصوص العلمية المضغوطة والمعقدة، سواء في المتن أم في الهامش، مع ذكر التعليقات على ذلك.



١٠ـ التلطيف والتطبيق:

تهدف هذه المجموعة التأثير على المخاطب، ولهذا، بذلت جهود مضاعفة وحثيثة لتلطيف أجواء البحوث، وإخراجها من تعقيداتها، من خلال الأخبار والروايات المتضمنة لسير المعصومين عليهم السلام، وأحياناً عرض الأشعار الأخلاقية التي تضيف لطافة وانشداداً وحماسة لها، ونقل القصص والأخبار في سير المعصومين عليهم السلام هو بنفسه دعم لهذه الأبحاث المعروفة.

١١ـ تكميل الأبحاث:

وتكون الأبحاث ناقصة أحياناً، وبحاجة إلى إضافة فصل أو فتح آفـاق ومجـالات أخرى ترتبط بالبحث، وذلـك مـن خـلال الاسـتعانة بالمـصادر الأصـلية والمعتبـرة والمطابقة لمنهج الأستاذ وأسلوبه في البحث، لإكمال مراحلها الجزئية والموردية.

١٢ـ الطباعة:

تتمُّ، في هذه المرحلة، طباعة كافة الأبحاث التي تم تنظيمها في مرحلتها النهائيـة والأخيرة.

١٣ـ نموذج من القراءة:

يتمُّ، في هذه المرحلة، عرض هذا الأثر على الخبراء و المختصِّين لإبداء آرائهم فيه.

١٤ـ التقييم:

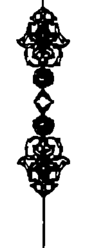
عرض النَّص والمتن الأصلي للبحث على مقوم ماهر وأخصائي في تقويم النـصوص، و تشريحها بغية وضعها في المستوى المطلوب.

١٥ـ تنظيم الفهارس:

يتم، في هذه المرحلة، وضـع فهـارس مختلفـة وتنظيمهـا بدقـة عاليـة فـي نهايـة المطاف.

١٦ـ اختيار مقاطع ومقتطفات:

يتم، في هذه المرحلة، اختيار مقتطفات ومقاطع من المادة الأصلية ومتن البحـث، ووضع عناوين وشريط متحرك للبحث.



١٧ـ ترقيم الصفحات وأمور فنية أخرى.

١٨ـ طباعة الكتاب وتجليده.

بعد الفراغ من إعداد المحتوى والمجلدات المدونة، يـتم التـدقيق والمقابلـة فـي أربـع مراحل هي:

أـ مراجعة قراءة المتون والمواد الأصلية في البحث من قبل مدير التحقيق.

ب ـ تدقيق مسؤول قسم التحقيق للنصوص والمواد الأصلية في البحث.

ج ـ تقييم خبراء في قسم الأخلاق والعرفان التابع للمؤسسة البحثية.

د ـ تحليل هذا المـشروع ودراسـته فـي هيئـة التعلـيم المخـتص بقـسم الأخـلاق

والعرفان.

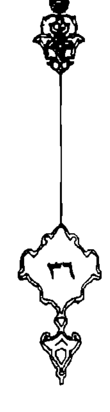
لقد أنيطت بي مهمة متابعة التحقيق والإشراف على الأمور الفنية وغيرها مباشرة، وهناك جهود مضنية و مكثفة أخرى تبذل من قبل بعض الفروع و الأقسام من قبل الأخوة الأعزاء في قسم التحقيق. وأنا بدوري أشكر كل من أسهم في تطوير هذا المشروع وطبع هذا الأثر، وأخصّ بالذكر العالم الفاضل سماحة حجة الإسلام والمسلمين «بهمن زاده» المدير المشرف على هذا المشروع، والمحققين الذين أسهموا أيضاً في إخراج هذا الأثر وعدد من المجلدات الأخرى، ومن لهم مشاركة في إصدار «المجلة» حالياً من قبل هذه المؤسسة، وقد كان لهم دور مباشر وسهم أكبر في تدوين هذه المجموعة وإكمالها.

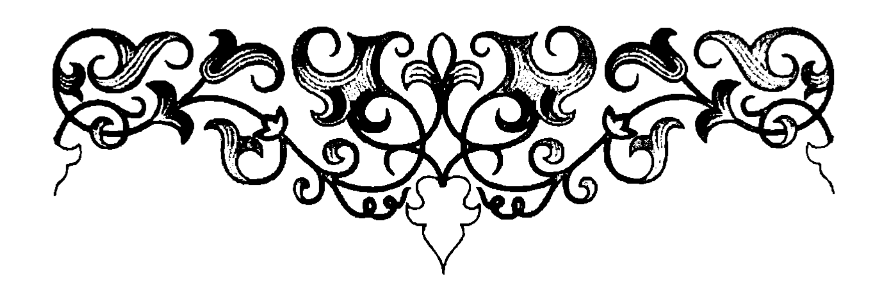
أشكر الجميع من صميم قلبي، وأطلب من إخوان الصفا متواضعاً أن لا يدَّخروا جهداً في تقديم تذكير إصلاحي، أو تكميلي، أو نقد جاد وبنّاء لتطوير هذه المجموعة وإكمالها.

علي أكبر رشاد

طهران

ربيع ٢٠١١م.





المقدّمة

اللّسان: هو من نعم الله الكبرى، وهو كسائر النعم الإلهية يمكن استخدامه في نمو الإنسان وتكامله. وعلى الإنسان العارف و الفطن أن يستفيد من هذه النعمة الكبرى بصورة صحيحة وفي موقعها المناسب؛ فهي النعمة التي تلي مرحلة «تعلّم القرآن» و «تخلّق الإنسان»، و هي من أسمى الألطاف الإلهية إلى البشرية، كما قال سبحانه وتعالى:

{الرحمن. علّم القرآن. خلق الإنسان. علّمه البيان}[1].

وما أجمل تعبير الإمام علي عليه السلام في هذا الخصوص:

"ألا إن اللّسان بضعة من الإنسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتسع"[2].

واللّسان، على الرُّغم من أنَّه جرم صغير، له مقام عظيم وشامخ في الطاعة أو المعصية، فكم هناك من صلات قُطعت بحركته، وكم هناك من انقطاع اتّصل بحركته أيضاً. وكم سفكت الدماء على الأرض بسببه، وكم من نفوس بريئة نجت وسلمت به.

---

١. الرحمن (٥٥): ١-٢.

٢. صبحي الصالح: شرح نهج البلاغة، ص ٣٥٤، ح ٢٣٣.

ويعدّ الكلام والنطق، أحياناً، من أحسن العبادات وأظرفها، فحسنه يصيِّره سماوياً، ويعرج به إلى الأقاصي، ويلاقي الإنسان أحيانا بسببه، أصعب العقوبات وأقساها، الكلام السيّىء يسوق صاحبه إلى الحضيض، وينقص بسببه شأنه ومقامه عند الناس. فإذا كان الكلام سبباً في رضا الله، وبياناً لرحمته الواسعة، فبالجهد القليل، والثمن البخس، يصبح من أثمن العبادات، والتلفظ بالمعبود الأحد، دلالة على وحدانيته، وإرشاداً وهداية لمخلوقات الله، وطلب الشفاعة للآخرين، و...، فهذه أفعال مضيئة ومشرقة، وأساليب جميلة، تساعد المتكلّم علي الحركة والسير نحو الفضائل الإنسانية بعناوين مثل: «الواجبات» و«المستحبَّات».

روي عن مولى المتقين والزاهدين أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصفه ذريته لقادة الكلام وعلمائه، قوله:

"وإنَّا لَأمراء الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه"[1].

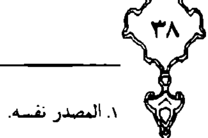
وينبغي أن يكون لبّ الكلام ونواته حسناً ومفيداً. فكل ما لا فائدة فيه هو لغو وعبث. وأي شيء أفضل وأسمى من أن يكون الكلام ذا فائدة، وأسلوباً لقضاء الحوائج وحلّ المشاكل، ولا ينبض هذا إلاّ من القلب السليم، فحاجة الإنسان إلى القلب الواعي والعاقل هي أكثر من حاجته إلى اللّسان المتكلّم والبليغ، لينجي لسانه من المهالك، فينصبّ كلامه على حساب عمله. والكلام الصادق والصحيح هو كالدواء، والكلام الباطل وغير الحق هو وجع ووباء، و يظهر الكلام جوهر الإنسان وهويته وشخصيته على حقيقتها.

قال إمام المتقين علي عليه السلام:

"المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك، واعرضه على العقل، فإن كان لله وفي الله، فتكلّم به، وإن كان غير ذلك، فالسكوت أولى"[2].

قال الشاعر الفارسي المتصوّف جلال الدين الرومي ما معناه:

الإنسان مخبوء تحت طي اللّسان، وهذا اللّسان ستار يغطّي لوحة النفس، فإذا هبّت



---

١. المصدر نفسه.

٢. المحدِّث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٢٩، ح ١٠١٢٠.

الريح ورفع الستار، انكشفت لنا أسرار هذا البيت. فتكون فيه جواهر أو حنطة أو كنز من الذهب أو أفعى أو عقرب، أو يكون فيه كنز وأفعى معاً في عالم الوجود. ولا يترك كنز من الجواهر واللئالئ الثمينة بلا حارس!، فإن قلت بهذا من دون تأمّل في مقولتك، ففيها من البعد أكثر من خمسمائة ميل بعيداً عن تأمل الآخرين[1].

ولكن أسفاً! مائة مرة: أن تكون حركة اللّسان البسيطة والساذجة في باطن فم الإنسان، سبباً في كثرة عناده، أو سهولة معصيته!، مقارنة بسائر الأعضاء، والجوارح، فساحة العمل فيه أنمى، وله في الخير والشرّ مجال أوسع.

ويصاب اللّسان بآفات وأمراض عديدة: كالكذب، الغيبة، التهمة، البهتان، الشماتة، الاستهزاء، المزاح، الكلام البذيء، الخوض في الكلام الباطل والسخيف، و... والتوقي منها أو معالجتها عمل صعب وشاق للغاية. ومصير الطاعة أو المعصية: إما الإيمان أو الكفر، ولا يحصل ذلک إلا بشهادة اللّسان.

روي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال:

"إن لسان ابن آدم يشرق على جميع جوارحه كل صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، و يناشدونه، و يقولون: إنما نثاب و نعاقب بک"[2].

و روي عن رسول الإسلام، (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال:

"وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم"[3].

وقد عدّ أمير المؤمنين عليه السلام "اللّسان مفتاحاً لكل خير وشر"[4].

---

١. قال المولوي في المثنوي المعنوي، الدفتر الثاني، ص ٢٤١:

آدمی مخفي است در زیر زبان * این زبان پرده است بر درگاه جهان.

چونک بادی پرده را در هم کشید*سرّ صحن خانه شد بر ما پدید.

کاندر آن خانه گهر یا گندم است*گنج زر یا جمله مار و کیدم است.

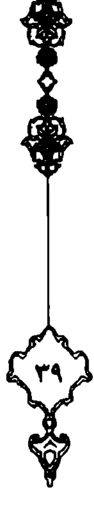
یا در او گنج است و ماری بر کران*زآنک نبود گنج زر بی پاسبان

بی تأمل او سخن گفتي چنان*کز پس پانصد تأمل دیکران

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١١٥، ح ١٣.

٣. المصدر نفسه، ح ١٤.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



ونشير هنا: إلى أن الإنسان المؤمن مسؤول عن حفظ لسانه وصيانته لنفسه من آثام ذنوبه وخطاياه، فمن الضروري واللازم التعرُّف إلى آفات اللّسان وأضراره.

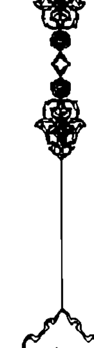
وهذا الكتاب الذي أمامكم هو مجموعة حلقات لدروس أخلاق الأستاذ المتبحِّر والعلامة الفهم آية الله السيد مجتبى الطهراني (دام ظله) في آفات اللّسان.

لقد بذل الأستاذ عمره الشريف ونذر نفسه لسنوات مديدة في نشر المعارف الدينية والأخلاقية في الدِّين الإسلامي وتعليمها، فهذا المجلد والمجلَّدات الأخرى التي سيتم طبعها ونشرها هي ثمرة السعي والجهد المستمرَّين وغير المنقطعين لجماعة من المحقِّقين في هذه المؤسسة البحثية والعلمية، وذلك من خلال عملهم الجاد والمضني بتدوين أبحاث الأستاذ الفاضل وتصحيحها وإكمالها. وقد قسّمت أبحاثه، في هذا القسم من الكتاب الكبير في الأخلاق الإسلامية، إلى عدة فصول، وسيتم عرضه ونشره لمحبي علوم الأخلاق في مجلدين. وتبدأ عناوين كل فصل بمقدمة وتعريف آفة من آفات اللّسان، ثم عرض أقسامه، وأضراره، والجذور النفسية والداخلية لها، وبيان آثارها وكيفية معالجتها.

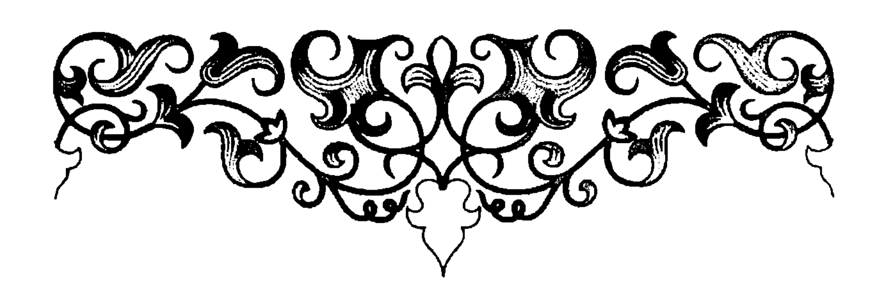
فليكن هذا العملُ محلاًّ لشمول العناية والرعاية الإلهيَّتين والربَّانيَّتين وتحصيل رضاه عز وجل، وألطاف بقية الله الأعظم - أرواحنا له الفداء - وكراماته إن شاء الله.

قسم الأخلاق والعرفان

في المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي







الفصل الأول

الغيبة

{يا أيها الذين آمنوا لا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً}[1].

القرآن الكريم

المقدمة

يرتبط الإنسان، في حياته اليومية مع غيره، من خلال الكلام والنطق، فيتعرَّض بشكل لا إرادي إلى المعاصي والذنوب، كالغيبة والكذب والتُهمة والافتراء، ويتلوَّث لسانه بالمعصية والذنب من دون أن يشعر بذلك، ويستطيع أن يتجنَّب هذه الذنوب إذا اطَّلع على حقيقتها.

ونحن نسعى، في هذا الفصل من هذا الكتاب، إلى تسليط الأضواء على الحدود والثغور المتعلِّقة بالغيبة، لتكون معرفتها سبيلاً مفضياً إلى تركها.

وتنبغي الإشارة، في بداية البحث، إلى ضرورة دراسة تعامل الإنسان وسلوكه من زاويتين هما:

---

١. الحجرات (٤٩): ١٢.

الزَّاوية الفقهية والزَّاوية الأخلاقية.

أما الزاوية الفقهية فتصبُّ في مجال العمل، وظاهر الأسلوب في التعامل. أما أحكام الفقه فتسلِّط الضوء على الحركات التي تصدر عن أعضاء جسم الإنسان، كالغيبة والكذب النَّاتجين عن حركات اللّسان الذي يعمّه حكم الحرمة.

ويرتبط البعد الأخلاقي بجذور العمل، وأخلاقه، وبصفات الإنسان، ومنها الصِّفات المذمومة التي تظهر في نفسه، ومنشأ ظهور الأساليب القبيحة والممقوتة فيها.

ونشير باختصار، في هذا الفصل، إلى البعد الأخلاقي للغيبة، وإلى المسائل الفقهية في هذا النَّمط من التعاطي والتعامل.

أمَّا الأبحاث المعروضة في هذا البحث فهي:

١- تعريف الغيبة.

٢- أقسام الغيبة.

٣- ذم الغيبة شرعاً.

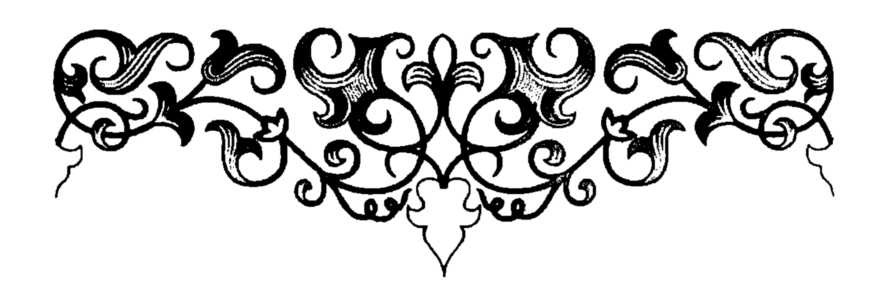
٤- الجذور الداخلية للغيبة.

٥- آثار الغيبة ونتائجها.

٦- طرق معالجة الغيبة وأساليبها.







(١)
تعريف الغيبة

الغيبة عند علماء علم الأخلاق ومفكِّريه هي: ذكر عيب شخص ما، أو نقصه، في غيابه، ونقله إلى الآخرين أو إفهامهم إيَّاه.

وبعبارة أخرى:

"الغيبة: هي ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه"[١].

الفرق بين الغيبة والبهتان

البهتان: هو نسبة عيب أو نقص لشخص، هو ليس فيه، في حضوره أو غيبته، أمَّا إذا لم يكن في الشِّخص عيب أو نقص، ونسب إليه ذلك فهذا هو البهتان.

وإذا نسب له عيباً هو غير موجود فيه، في غيبته، فقد اغتابه وافترى عليه، وتصدق أحكام الغيبة والبهتان عليه، بمعنى أن على من يغتاب: الاستغفار، وطلب العفو والصفح عمَّا صدر منه.

روي عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) أنه سأل النبي(صلى الله عليه وآله) عن الغيبة؟

فقال(صلى الله عليه وآله):"ذكرك أخاك بما يكره".

---

١. الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٢٥٥.

فقلت: يا رسول الله! فإن كان فيه الذي يذكر به؟

فقال(ﷺ): "اعلم أنک إذا ذكرته بما هو فيه، فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه، فقد بهتّه"[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام، في هذا المعنى، قوله:

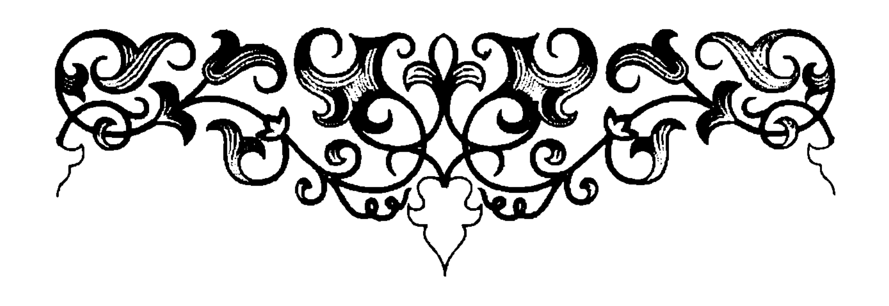
"إن من الغيبة أن تقول في أخيک ما ستره الله عليه، و إن من البهتان أن تقول في أخيک ما ليس فيه"[2].

الفرق بين الغيبة والتُّهمة:

التُّهمة: هي نسبة عمل مذموم أو قبيح إلى شخصٍ ما استناداً إلى الحدس أو الظَّن، والغيبة هي إظهار العيوب الحقيقية له في غيبته.

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٠، ح ١٦٣٠٨

٢. المصدر السابق: ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ١٦٣١٣.



(٢)
أقسام الغيبة

الغيبة عدة أقسام هي:

١ـ بالقول:

الغيبة بالقول هي أشهر أنواع الغيبة، وتتمثَّل في أن يقول الإنسان عيب أخيه المؤمن ونقصه.

٢ـ بالكتابة:

وتتمثَّل في أن يكتب الشخص عيب أخيه بدلاً من أن يقوله، فيكون قارئاً في هذه الحالة بدلاً من كونه سامعاً.

٣ـ بالفعل:

أن يُفهم الآخرين عيب أخيه بالعرض والفعل.

٤ـ بالكناية:

أن يفهم الشخص عيوب غيره باستخدام جمل الكناية المعبّرة في غيابهم، مثل قوله: «الحمد لله أنه لم يمنحنا الرئاسة»، أو «ألجأ إلى الله من عدم الاستحياء، هذا

وعدم الخجل»، وهذا كناية عن عدم كفاءة الشخص الغائب أو عدم حيائه وخجله.

٥ـ بالإشارة:

أن ينتقص غيره بالإشارة باليد أو بسائر الأعضاء، وهذه الإشارة إما أن تكون لفظية أو عملية.

روي عن عائشة أنها قالت: "دخلت علينا امرأة، فلما ولّت، أومأت بيدي أنّها قصيرة، فقال النبي(ﷺ): قد اغتبتها"[1].

أنواع العيوب والنَّقص

سبق، في الأبحاث المتقدِّمة، أن الغيبة هي أن يذكر المسلم أخاه المؤمن، أو أخته المؤمنة، بما ليس فيهما من عيب أو نقص، عند غيره، ولم يكن يعرف بهما السامع، أو لم يسمع بهما من قبل.

ومن الضَّروري، هنا، أن نتناول أنواع هذا العيب أو النقص وكيفيته، وعرضه بأسلوب واضح وجلي، فنقول:

١- النَّقص النَّفسي - والرُّوحي:

وهو أن يُبْتلى شخص بالرَّذيلة، كالحسد أو التكبُّر، ويشار خلفه بارتكابه تلك الرَّذيلة.

٢- النَّقص الجسمي والبدني:

وهو أن يبتلى شخص بنقص عضوي لا يعرفه أحد غيره.

٣- النَّقص الدِّيني:

وهو أن يتهاون شخص بالصَّلاة، فيذكر المغتاب عيبه هذا في مكان آخر.



١. ورّام بن أبي فراس: مجموعة ورّام، ج ١، ص ١١٨.

٤- النَّقص المالي:

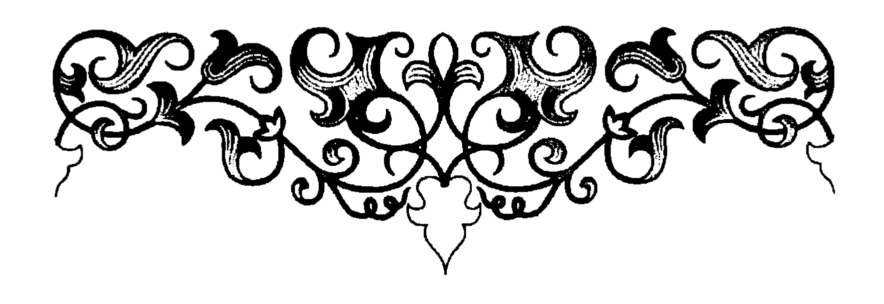
كأن يصف المغتاب مؤمناً عفيفاً بالفقر والحرمان والعوز، وعدم تمكُّنه المالي، أو يفهم ذلک منه بطريق آخر، فهذا، وإن كان عن تألّم وإشفاق عليه، غيبة.

٥ـ النَّقص النِّسبي:

كأن يقول المغتاب: إن أبا فلان أو أحد أجداده بخيل أو فاسق أو....

وقد عدّ بعض العلماء: أن بيان النَّقص الموجود في الثياب والبيت، وغيرهما من حاجات الشخص ولوازمه، هو غيبة أيضاً.





(٣)
ذمُّ الغيبة شرعاً

من أكثر الآيات صراحة في ذمِّ الغيبة، وعدِّها من الذنوب الكبيرة، قوله تعالى في سورة الحجرات:

{يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم و لا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه}[١].

قال جلال الدين الرومي ما معناه:

"من اغتاب عباد الله، فحكمه أن يعطى له من لحم أخيه، فيأكله جزاء فعله"[٢].

ومن أساليب معرفة كبر الذنب وفداحته، هو مقارنته بكبائر الذنوب الأخرى (المعاصي الكبيرة). وقد شبهت هذه الآية الغيبة بأكل الميتة، وهي من كبائر الذنوب، فلو كانت الميتة هي من الغنم، فأكلها حرام، فما بالك إذا كان المأكول هو ميتة الإنسان!. والأهم من هذا: إذا كان هناك رابطة وأواصر الأخوة بين الإنسان والميتة!.

ويمكن من خلال هذه المقارنة: معرفة مستوى قبح الغيبة وفظاعتها.

---

١. الحجرات (٤٩): ١٢.

٢. قال الرومي في ديوانه (المثنوي المعنوي) في الجزء الثالث، في قصة أكل الفيل الصغير: گوشت هاى بندگان حق خورى غيبت ايشان كنى كيفر برى.

روي عن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام قوله:

"اعلموا أن غيبتكم لأخيكم المؤمن من شيعة آل محمد(صلى الله عليه وآله) أعظم في التحريم من الميتة"[1].

وكذلك روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قوله:

"إن الغيبة أشد من الزِّنا"[2].

ومن الواضح: أن الزِّنا هو من الذنوب الكبيرة، فالغيبة أقبح منه، فهي من الذنوب الكبيرة (معصية كبيرة).

وهناك أسلوب آخر في معرفة كبر الذنوب والخوف من الوعد الإلهي والعذاب الأليم، و ذلك من خلال وعيده، سبحانه وتعالى، لمرتكبي الأفعال القبيحة بالعذاب الاليم، و عدّ هذه الأعمال من الذنوب الكبيرة.

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

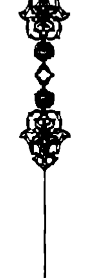
{إن الذين يحبُّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم}[3].

وقد فسّر المفسرون قوله: «تشيع الفاحشة» بالغيبة.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: "إن الله يبغض البيت اللحم، فقالوا له: يا ابن رسول الله، وما البيت اللحم؟ فقال عليه السلام: إنما البيت اللّحم البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة"[4].

وفي رواية أخرى:

"أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) نظر، في ليلة المعراج، إلى نار جهنم، فرأى جماعة يأكلون الميتة. فقال لجبرئيل: من هؤلاء؟ فقال جبرئيل: هؤلاء من يأكلون لحوم الناس"[5].



وتتجسَّم أعمال الإنسان يوم القيامة، فإذا كان عمل الإنسان ذنباً ومعصية، فإنَّه

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١١٣، ح ١٠٣٨٩.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٠، ح ١٦٣٠٨.

٣. النور (٢٤): ١٩.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١٢٥، ح ١٠٤٣١.

يتّخذ هيئة صور الحيوانات وأشكالها، فإن كانت أعماله حسنة وصالحة، فتكون مسرّة ومفرحة، وتكون لها صور الحور أو الغلمان، وتكون أعمال الصالحين يوم القيامة بأشكال الحور العين، يضمّونها اليهم، وأهل النار ما يأكلون إلا الميتة ولهم عذاب النار.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"الغيبة قوت كلاب النار"[1].

وفي رواية أخرى عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"اجتنبوا الغيبة فانها إدام كلاب النار"[2].

أبعاد الغيبة من المنظار الروائي:

يمكن النَّظر إلى الغيبة من ثلاث زوايا ذات ثلاثة أبعاد مختلفة:

١ـ البعد العملي:

الرِّوايتان المتقدِّمتان تشيران إلى البعد العملي للغيبة.

٢ـ البعد الباطني (النفسي):

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"ألأم الناس المغتاب"[3].

ويشير الإمام عليه السلام، في هذه الرواية، إلى البعد الباطني والنفسي للغيبة، أي بيان الحالة الداخلية والنفسية للشخص المغتاب.

٣ـ البعد المعنوي (الإلهي):

ويشير الإمام علي عليه السلام، في رواية أخرى، إلى التأثير السلبي للغيبة في البعد المعنوي، وبيان كيفية ارتباط الله بأهل الغيبة.

١. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢١، ح ٤٤٢٤.

٢. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١٢١، ح ١٠٤١٩.

٣. المصدر السابق، ح ٤٤٢٨.

قال عليه السلام:

"أبغض الخلائق إلى الله المغتاب"[1].

وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"يا معشر من آمن بلسانه، و لم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين"[2].

وقد صرّح رسول الله(صلى الله عليه وآله)، في هذه الرِّواية، بأن من يغتاب المسلمين هو فاقد الإيمان القلبي، لأن من يشهد ويقرّ بلسانه بوحدانية الله، ورسالة النبي(صلى الله عليه وآله) هو مسلم، ولكنه إذا فقد ارتباطه القلبي، أي لم يكن يتحلى بصفة الإيمان، واغتاب مسلماً من المسلمين، فقد ضعف بعده المعنوي أيضاً.

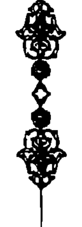
فالمسلم الواقعي والحقيقي، إذاً، هو من يكون قلبه ولسانه معتقدين ومبتعدين عن الغيبة.

أسوأ أنواع الغيبة

الغيبة، من أي مسلم كان، سيّئة ومذمومة.

والغيبة الصادرة من الصُلحاء والمتقين أسوأ وأقبح ذنباً. وقد روي: أن التعرّض للأخيار بذكر مثالبهم واغتيابهم، أو التعرض لهم بسوء، هو من أقبح اللؤم، كما روي عنه عليه السلام أنّه قال:

"من أقبح اللؤم غيبة الاخيار"[3].



ولغيبة الأخيار، والمصطفين الأبرار، في الجانب الدنيوي، أضرار ونتائج سلبية وغير إيجابية كثيرة في حياة الإنسان المغتاب، فهي تقلل من عمره، وتعرضه إلى مشاكل ومحن وابتلاءات عديدة في الحياة، وتحرمه من الاستمتاع بمحاسن الدنيا والآخرة.

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١١٩، ١٠٤١٢.

٢. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢١، ح ٤٤٣٣.

٣. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢١، ح ٤٤٣٣.

حكم الغيبة من المنظار الفقهي:

تعتمد الأحكام الشرعية، في فقه الشيعة، على الأدلَّة الأربعة:

الكتاب، والسنة والإجماع والعقل.

وقد ذكر كثير من الفقهاء، في بحث الغيبة، أن الغيبة حرام بالأدلَّة الأربعة[1]، بمعنى استناد فتواهم على الأدلَّة الأربعة التي تزيد من قوة الفتاوى المحدّدة المذكورة واستحكامها. ولا يتسع البحث الفقهي بشكل أوسع في هذا المختصر، بل نكتفي بذكر هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا المضمار. قال:

"الغيبة حرام على كل مسلم... والغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[2].

قال الشاعر سعدي الشيرازي ما معناه:

إن اغتيب صاحبك يا حسن الاسم * فقد حرم شيئان على أصحاب الغيبة

واحدة أكل ماله بالباطل*والثاني أن ذكرهم لاسمه غيبة[3].

شروط حرمة الغيبة:

ذكر الفقهاء شروطاً عديدة في تحريم الغيبة، وهي:

١ـ أن يذكر الإنسان عيوب غيره المؤمن في غيابه، أي أن تكون بينهما رابطة الأخوة الايمانية. وقد شبّه، سبحانه وتعالى، الغيبة، في الآية المباركة من سورة الحجرات، بأكل المؤمن لحم أخيه الميت.



روى عبد الرحمن السيّاب عن الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه قال:

"إن من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه"[4].

وفي ضوء هذا، فلو ذكر المسلم عيوب الكافر، وكان غائباً، فلا يُعدُّ عمله غيبة.

---

١. الشيخ الأنصاري: المكاسب المحرمة، باب الغيبة.

٢. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ص ١٢٧و ١١٨، ح ١٠٤٠٧.

٣. قال سعدي في ديوان بوستانه:

رفيقى كه غايب شد اى نيكنام*دوچيز است از او بر رفيقان حرام

يكى آن كه مالش به باطل خورند*دوم آنكه نامش به غيبت برند.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

والمؤمن هو من يعتقد بأصول الدين كلّها (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة والمعاد).

٢ـ الغيبة شرعاً هي أن يذكر المؤمن عيوب الشخص ونقصه في غيبته، فإن ذكر كماله (رضي بذلک أم لم يرض) فلا يعدّ عمله غيبة.

٣ـ إن ما يذكره من عيوب ونقص مؤمن أو مؤمنة في غيابه عند عامة الناس هو أمر قبيح و سيّئ بل مذموم، فاذا استقبح عامة الناس هذا العيب، و لم يكن الشخص الغائب راضياً بقول ذلک، فهذا غيبة.

وهناک روايات كثيرة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) تبيّن «الفرق بين الغيبة والبهتان».

فقد روي عنه(صلى الله عليه وآله) في تعريف الغيبة أنّه قال:

"ذكرک أخاک بما يكره"[1].

فالمراد بقوله(صلى الله عليه وآله): «يكره»، في هذا الحديث: هو ليس أن تذكر كل ما يكرهه أخوک تحديداً، بل إن المراد هو ما يكون قبيحاً بصورة اعتيادية وطبيعية، وعند عامة الناس، لأن الله لا يرضى بإهانة المؤمن في جمع من الناس.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

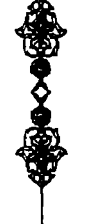
"قوا أعراضكم"[2].

وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أيضاً أنّه قال:

"ليس للمؤمن أن يذلّ نفسه"[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"إن الله تبارک وتعالى فوّض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه"[4].



فإذا كان المؤمن يرى قبح عيب أخيه المؤمن، وتقول ذلک في غيابه، أو كان راضياً به، فلا يرفع رضاه حرمة هذا الفعل.

٤ـ ذكر العيب والنقص المخفي عن الناس في غياب الفرد. فلو كان العيب مكشوفاً ومعروفاً عند الناس، فقوله عند من يعلم به ليس حراماً.

١. بحار الأنوار: المجلسي، ج٧٢، ص٢٢٢.

٢. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ٢٦٨.

٣. المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢١٠، ح ١٣٩٠٨

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنَّه قال:

"من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممَّا عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه"[1].

٥ـ أن يكون الذِّكر بقصد الانتقاص، كما لو ذكر شخص عيوب شخص آخر، وكان غرضه من ذلك الانتقاص منه. أما لو كان ذكره عيوبه بقصد معالجتها والتخلُّص منها، كما لو قال المريض أسباب مرضه إلى الطبيب، فلأنه لم يقصد من ذلك الانتقاص، فلا يعد تصرفه هذا من باب الغيبة.

٦ـ أن يكون له سامع، فلو كان جالساً وحده، فذكر عيوب غيره لأذى منه أو حالة من الغضب مثلاً، مع عدم وجود السامع له، فلا يعدّ تصرّفه و أسلوبه هذا حراماً، و لا يعدّ من باب الغيبة.

استماع الغيبة

إنما تتحقَّق الغيبة، كما سبق ذكره، إذا كان هناك سامع لها، فالسَّامع للغيبة هو كقائلها، له دور مهم في تحقُّقها، فيشمله حكمها في هذه الحالة.

وبهذا الوصف، حرّم الفقهاء الاستماع إلى الغيبة شرعاً، ولا خلاف بينهم في ذلك. وهناك نصوص وأخبار كثيرة تدل على ذلك، نشير إلى بعضها:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

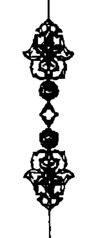
"نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن الغيبة والاستماع إليها"[2].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"السامع للغيبة أحد المغتابين"[3].

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً:

"ما عمّر مجلس بالغيبة إلا خرب من الدين"[4].



---

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٨، ح ٦.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢.

٣. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١٣٣، ح ١٠٤٦٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

وقال(ﷺ) في حديث آخر:

"فنزّهوا أسماعكم من استماع الغيبة"[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"الغيبة كفر، والمستمع لها والراضي بها مشرك"[2].

والكفر قسمان:

ألف: الكفر الاعتقادي.

ب: الكفر العملي.

أما الكفر الاعتقادي، فهو عدم الاعتقاد بالأصول الحقّة.

والكفر العملي، هو عدم إبداء أهمية لأوامر الله ونواهيه، ولو استمر الكفر العملي طبعاً، فربما يؤدي إلى الكفر الاعتقادي، فالصلاة وهي من التكاليف مثلاً، وركن من أركان الدين، لو تركت عمداً، فانها تخلّ بإيمان الإنسان، كما روي ذلك عن رسول الله(ﷺ) أنَّه قال:

"من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر"[3].

وقول الإمام الصادق عليه السلام في تعريف الغيبة:

"الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه"[4].

ومن جهة أخرى، يكون لسامع الغيبة، في إظهار ذلك العيب، الدور نفسه لقائل الغيبة، فلو لم تكن هناك أُذن لاستماعها، فلن يقدّم أو يؤخّر القائل لها شيئاً. وبناءً على هذا، فكلاهما قد ارتكب ذنباً ومعصية.

روي عن عبدالله بن سنان أنَّه قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام:

"عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: نعم، قلت: يعني سفلته[5]؟ قال: ليس



١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص ١٣٣، ح ٢ ١٠٤٦

٣. ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٣٦.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. مجاري «البول والغائط».

حيث تذهب! إنما هو إذاعة سرّه"[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"من أذاع الفاحشة كان كمبتدئها"[2].

وروي كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عز وجل: {**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم**}"[3].

وفي الغيبة: يكون القائل للغيبة بقوله، والسامع بسماعه، قد أذاعا سرّ كلّ منهما وأفشياه، وكانا سبباً في نشر هذا العمل السيّئ والمذموم. ولسماع كلّ شيء حالتان:

١ـ الإصغاء إما أن يكون سماعاً، بأن لا يكون متعمِّداً في السماع، بل صدر ذلك منه عفوياً من دون قصد منه، كأن يريد سماعه مثلاً.

٢ـ الإصغاء بمعنى «الاستماع»، بأن يكون الشخص قاصداً ذلك بشكل تام، أو أن ما يسمعه، يودعه في ذهنه فلا ينساه.

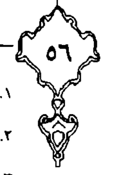
والأمر الآخر هنا هو أنه لا يكفي، في مسألة الغيبة، أن لا يستمع الشخص إليها فقط، بل عليه أن يرفضها ويقف ضدّها، ويحاربها في المجتمع الإسلامي. وقد أجمع الفقهاء على حرمة استماع الغيبة، ولزوم منع المغتاب عن القيام بها.

ردّ الغيبة:

توجد أساليب عديدة لردِّ الغيبة، منها:

كلَّما وقع فعل محرم، أو قبيح، مثلاً، يجب على كل مسلم أن ينهى عن المنكر، ولا تختص هذه المسألة بالغيبة وحدها.

وهنا، إضافةً إلى النَّهي عن الغيبة، ينبغي ردّها والدِّفاع عمن اغتيب، وهذا أمر ضروري ولازم. ويدل على ذلك ما استفاض من الروايات والنصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام،



١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٩٤، ح ١٦٣٤٠.

٢. المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٩٦، ح ١٦٣٤٥.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٧، ح ٢.

ومنه:

ما روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من ردّ عن عرض أخيه بالغيب، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار"[1].

وعنه(صلى الله عليه وآله)، أيضاً، رواية ذمَّ فيها من قدر على ردّ الغيبة فلم يردّها، فقال لأمير المؤمنين علي عليه السلام:

"يا علي، من اغتيب عنده أخوه المسلم، فاستطاع نصره، فلم ينصره، خذله الله في الدنيا والآخرة"[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام في تأييده رد الغيبة، وذمّ من سمع الغيبة فلم يردها أنَّه قال:

"من اغتيب عنده أخوه المؤمن، فنصره وأعانه، نصره الله وأعانه في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يعنه ولم يدفع عنه، وهو يقدر على نصرته وعونه، خفضه الله في الدنيا والآخرة"[3].

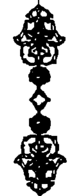
وروي عن النبي(صلى الله عليه وآله)، في تعظيمه أجر الرَّاد على الغيبة وثوابه، قوله:

"من ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس، ردّ الله عنه ألف باب من الشرّ في الدنيا والآخرة، فإن لم يردّ عنه، وأعجبه، كان عليه كوزر من اغتاب"[4].

وفي رواية أخرى عنه(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من سمع في مجلس غيبة أخيه المؤمن، وكان قادراً على ردّها فلم يردّها، كان وزره أكثر من سبعين مرّة من المغتاب"[5].

ويظهر، من هذه الروايات والنُّصوص التي ذكرناها، أن التزام الصَّمت والسكوت إزاء الغيبة سيفسح في المجال أمام المغتاب في فعل ما يشاء، وعدم الردّ عليه يعني تشجيعه أو الرضا والقبول الحقيقيِّين والعمليِّين بقوله وفعله.



---

١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٢٢٦.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

٣. المصدر نفسه، ح ١٦٣٣٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر نفسه، ص ٢٨٢، ح ١٦٣١٢.



كيفية الرد على الغيبة:

يجب أن يتناسب ردّ الغيبة والدفاع عمن اغتيب مع نوع الغيبة، فيكون الردّ جامعاً وكاملاً، فإذا ذكر العيب النَّفسي والباطني لشخص ما، كأن يقال: إن فلاناً متكبر أو حسود، مثلاً، ينبغي أن تتناسب الإجابة مع هذا القول، كأن يقال للمغتاب: كيف علمت بباطن ذلك الشخص وظاهره؟، فالإنسان في حالته الطبيعية غافل عن رذائله النَّفسية، وهو غير عالم بذلك، فكيف يمكنه أن يطّلع على الرَّذائل الدَّاخلية لشخص آخر؟

ويمكن في الإجابة عن هذا السؤال، استبدال الصفات الظاهرية التي تدلّ على الصِّفات الداخلية الذميمة، كأن يقول: فلان بخيل، لأنه يمتلك ثروة وأموالاً طائلة، ولكنه لا يستفيد منها ولا ينفقها، فيقال في جوابه: من أين تعلم أنه كذلك؟ فلعله لا يصرفها ولا ينفقها على نفسه، ويصرفها وينفقها على الآخرين. وإذا كان العيب يرتبط ببدن الشخص وجسمه، يقال في الإجابة: العيب أن يعدّ هذا نقص عند الله عزّ وجلّ، فإنه سبحانه وتعالى يعدُّ النَّقص الروحي أو العلمي فقط عيباً للإنسان، فلعلّ هناك من بهم عاهة صحّية وتشوُّهات خلقية، وهم أحبّ الخلق عند الله، وأن هناك من لهم صور وأشكال جميلة ووسيمة، وهم أبغض الخَلق والخُلُق عند الله.

وقد تكون الغيبة في القضايا الدينية مثلاً، فباب تسويغ الذُّنوب واسع ومفتوح دائماً، فهذا الباب يجعل أسلوب التعامل غير الصحيح والفعل المذموم عملاً صحيحاً وفعلاً حسناً!، وربما يكون للفعل وجهان: أحدهما وجه الذنب، والوجه الآخر هو غير ذلك الذنب، فإذا لم يكن هناك مجال للتوجيه، لكي يذكر الشخص بسوء بسبب عمله، فإنه يمكن أن يقول مثلاً: إن المؤمنين غير المعصومين عليهم السلام كلّهم خطّاؤون، فربَّما تتلوّث أيديهم بارتكاب الذنوب والمعاصي، ولا يمكن نسبة العيب إليهم وانتقاصهم، فربّما يتوبون إلى الله عز وجل. فيقع من يغتابهم في المعصية، ولا يتمكن من التَّوبة، فيكون التائب، في يوم القيامة، طاهراً بريئاً، والمغتاب من العصاة.



وإذا لم تسنح الفرصة لسامع الغيبة أن يردها بأي شكل من الأشكال، عليه أن يستخدم أساليب أخرى للردّ، كأن يغيّر مجرى الكلام والحديث مثلاً، أو يسعى إلى تغيير الكلام، فإذا لم يقدر على الحدّ من هذا الذنب و إيقافه، عليه أن يغادر المجلس،

وإذا لم يكن هذا ممكناً، أيضاً، كأن يكون سجيناً مثلاً ولا يقدر على ردّ الغيبة، أو أن يكون غير قادر على مغادرة المجلس، عليه أن يرفض ذلك بقلبه ولا يرتضيه، فإذا كان الشخص راضياً بغيبة شخص آخر، وفرحاً بإظهار عيوبه من دون أن يكون له دور في الغيبة، فهو آثم.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"الغيبة كفر والمستمع لها والراضي بها مشرك"[1].

كفَّارة الغيبة:

يجب على كل مسلم أن يتوب عمَّا صدر منه من الذنوب والمعاصي، كما عليه أن يندم على فعله. فإن قدر على التوبة؛ ثم مات وهو لم يتب بعد، فسيجد نفسه يوم القيامة أمام كثير من الذنوب والمعاصي، ولا يمكنه الفرار من عقوبته. ومن اغتاب، فقد ارتكب ذنباً كبيراً، وعليه التوبة منه فوراً.

روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من اغتاب أخاه المسلم، بطل صومه، ونقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك، مات وهو مستحلّ لما حرّم الله"[2].

طلب الحلّية والاستغفار:

« طلب الحلّية» هو أن يذهب المغتاب إلى من اغتابه، فيطلب منه العفو والصفح عما بدر منه من إساءة.

أما «الاستغفار» فهو أن يطلب المغتاب العفو و الصفح من الله تعالى بسبب ارتكابه الغيبة.

وعرض الفقهاء عدة احتمالات لحكم «طلب الحلِّية والاستغفار» من الغيبة:

منها: أنه إذا لم تترتَّب المفسدة على «الاستغفار»، و لم يكن هناك شحناء أو عداوة، لتؤجج الأحقاد والبغضاء، وتستعر نار الفتنة، على المغتاب أن يفعل ذلك. أما

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١٣٣، ح ١٠٤٦٢.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٤، ح ١٢٧٦٠.

إذا أوجب كل ذلك مفسدة، عليه بالاستغفار.

وإن صدر من المغتاب تصرفٌ غير لائق، مثلاً إزاء من اغتابه، وكان عازماً على الاعتذار منه، فلا يقول ذلك له، لأنه يزرع بذور العداوة والبغضاء في نفسه وقلبه.

وعلى كل حال، يستوجب الاحتياط من الناحية الفقهية: طلب الحلّية لقبول توبته.

ويرى بعض الفقهاء أن شرط قبول التوبة هو طلب الحلّية. وبناءً على هذا، فإن على المغتاب أن يطلب الصفح ممن اغتابه، ولن يُغفر له، حتى يعفو عنه هذا ويصفح عنه.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"يا أبا ذر، إياك والغيبة... والغيبة لا تغفر، حتى يغفرها صاحبها"[1].

وأما صاحب الغيبة فيتوب، فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه هو الذي يحلّه[2].

وقد ورد، في بعض الروايات والنصوص، أن الله لا يعذب المؤمن بعد توبته، إلا اثنان:

أحدهما: المغتاب، وربما يكون ذلك للمغتاب الذي لا يصفح ولا يعفو عنه من اغتيب.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من اغتاب مسلماً أو مسلمة، لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلا أن يغفر له صاحبه"[3].



ومعنى هذه الرواية، أن ليس في عبادة المغتاب أي تهذيب وبناء للنفس، وألاّ يظهر في وجهه نور، لا أنَّ صلاته وصيامه ساقطان عنه.

وقد ورد في أخبار أخرى لزوم طلب الدعاء والمغفرة من الله عز وجل لمن اغتيب، أي دعاء المغتاب لمن اغتابه بسبب ما صدر منه من غيبة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

---

١. المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٨٠، ح ١٦٣٠٨.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٨٤، ح ١٦٣١٧.

٣. المحدث النوري: مستدرك الوسائل. ج ٧، ص ٣٢٢، ح ٨٢٩٣.

سئل النبي(صلى الله عليه وآله): "ما كفارة الاغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلّما ذكرته"[1].

وقال(صلى الله عليه وآله) أيضاً:

"من ظلم أحداً ففاته، فليستغفر الله كلّما ذكره، فإنه كفّارة له"[2].

كفارة الغيبة من المنظار الأخلاقي:

ورد أن من حقوق الأخوة الايمانية أن لا يغتاب المؤمن أخاه أو أخته المؤمنة، وإذا اغتابهما، عليه ألاّ يضيّع حقّهما، فيكون هذا الحقّ الأخلاقي، في النهاية، لمن اغتيب ثابتاً في ذمة المغتاب.

وتدل على ذلك روايات ونصوص كثيرة:

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال:

"حق المؤمن على المؤمن.... ولا يغتابه"[3].

وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

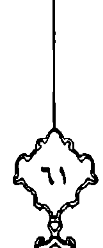
"للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله عز وجل... وأن يحرم غيبته"[4].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"للمسلم على أخيه ثلاثون حقّاً لا براءة منها إلا بالأداء أو العفو... إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً، فيطالبه به يوم القيامة، فيقضى له وعليه"[5].

من حقوق المؤمن أن لا يُغتاب، فإن ضاع حقّه، فإما أن يؤدى له ويسترجع، أو يعفو هو ويصفح عن المغتاب.

أما الجانب الأخلاقي، في مسألة طلب العفو والصفح ممن اغتيب، فهو:



١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٧، ح ٤.

٢. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ١٠٣، ح ١٣٦٣٧.

٣. المصدر نفسه: ج ٩، ص ٤٥، ح ١٠١٦٠.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر السابق، ص ٢١٢، ح ١٦١١٤.

أنه في اغتياب الإنسان أخاه، تخالفه نفسه، فتصغّر قدر الآخر، فيكون طلب العفو والتسامح نفسه نوعاً من تحقير النفس، ويقف طلب الاعتذار نوعاً ما معوِّقاً بوجه شرورها، أو القضاء عليها.

ويعتقد علماء الأخلاق، بلحاظهم الحقوق الأخلاقية، في ضوء ما مضى من الأخبار والروايات:

أنه إذا اغتاب شخص شخصاً آخر تربطه به علاقة إيمانية، فان كان يسهل الوصول إليه ولا يؤدي فعله إلى الضغينة والعداوة وأي مفسدة أخرى، فمن المستحسن طلب العفو والصفح منه، ليكون له دور البناء وتهذيب النفس وإنهاء رغباتها ومحاربتها، أما إذا لم يكن من اغتيب موجوداً، أو يترتب على قوله نوع من المفسدة، فعليه أن يطلب العفو والصفح من الله عز وجل ليغفر له ذنبه. وإذا جعل شريكاً في عبادته، فللتعويض عن ذنبه أثر أكبر من ذلك.

ويرافق طلب المغفرة والعفو نوع من الرأفة والإحسان، يقف مانعاً بوجه تمرُّد النفس وعصيانها.

موارد جواز الغيبة:

يكون الكلام، في هذا الفصل، على موارد جواز الغيبة، فلا تكون الغيبة في هذه الموارد حراماً ولا محظورة، وهي عبارة عن:



ألف: المجاهرة بالفسق:

المتجاهر بالفسق هو من يرتكب فعل المعصية جهاراً، من دون خوف أو وجل أو خشية من الله، وهو من لا يهاب أحداً ولو من الناس في فعله المعصية.

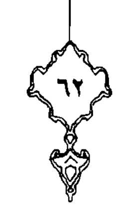
وللفقهاء، في غيبة من يرتكب المعاصي و الذنوب جهاراً، قولان هما:

١ـ قال بعضهم: إن هذا الفعل يعدّ غيبة، و لكنه ليس حراماً.

٢ـ وقال بعضهم الآخر: إن هذا الفعل لا يعدّ غيبة، وليس حراماً.

ولمعرفة المتجاهر بالفسق عدة أمور، ترتبط بهذا البحث، وتنبغي الإشارة إليها:

١ـ معرفة من هو «المتجاهر بالذنب» و«المصرّ على الذنب»:



المتجاهر بالذَّنب - كما سبق ذكره - هو من يرتكب الذنب والمعصية جهاراً، ولا يخاف من أن يراه الناس وهو يقوم بهذا التصرّف والفعل. ولكن هذا التَّعريف لم يذكر عدد الذنوب والمعاصي التي تتكرَّر، فإنه يمكن للشخص المتجاهر بالمعصية والذنب أن لا يكون مصراً على تكرار المعصية، أو لا يفعلها دائماً.

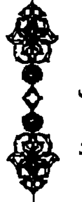
أما المصرّ على المعصية، فإنه يقال: لمن يكرّر فعل المعصية دائماً وباستمرار، فلا يكون هناك فرق حينئذ بين أن يفعله سراً أو جهاراً. فالمصرّ على الذنب قد لا يكون متجاهراً بالمعصية، والمتجاهر بالمعصية قد لا يكون مصراً عليها.

ومن ناحية أخرى، يمكن للإنسان أن يتجاهر بالمعصية، ويكون مصراً عليها، كأن يرتكب الذَّنب جهاراً مثلاً.

وتنبغي الدِّقة في بيان خصوص جواز الغيبة وهو: التَّجاهر بالفسق والمعصية، وليس الاصرار عليهما، كالغيبة لشخص ما باستمرار، فلا يجوز أن يفعل ذنباً في الخفاء، و لا يريد أن يعرف الآخرون بذلك.

٢- المراد بـ"الجميع"، في تعريف المتجاهر (وهو من يرتكب ذنباً أمام مرأى الجميع ومسمعهم): ليس كل المدينة التي يعيش فيها، فعلى هذا الفرض، لو عاش الإنسان في مدينة من المدن الكبرى التي يعيش فيها عدد كبير من الناس، وارتكب ذنباً ما مثلاً، فمن الواضح: أن كل سكّان تلك المدينة لا يعرفون بذلك!، بل المراد «بالتجاهر بالذنب والمعصية ومعرفة الجميع» هو أنه لا يخجل من صدور الذَّنب والمعصية منه أمام الجميع، وإن لم يروا ذنبه ومعصيته.

٣- يتحدَّد التجاهر بالذَّنب والمعصية بحدود استهانة الشخص بالذنوب وارتكاب المعاصي، فمرة يتحدَّد في استخفافه بها، وهي تعمّ الجميع، ومرَّة أخرى يتحدَّد بمجموعة خاصة.



وبناءً على هذا، فلو ارتكب شخص ذنباً أمام أصدقائه المقرّبين منه، وهو غير مستعدّ أن يقوم به أمام الآخرين، فهو متجاهر به أمام أصدقائه فقط، و بما أنه غير متجاهر به أمام الآخرين، فلا يمكن اغتيابه في هذه الحالة. ولو تجاهر الشخص بالذنب والمعصية في مدينة ما، ولم يكن كذلك في مدينة أخرى، فلا تجوز غيبته في المدينة التي لم يتجاهر بها بالمعصية.

و بعبارة أخرى: التجاهر بالذنب والمعصية، قابل للتحديد والتقييد..

٤- المتجاهر بالذَّنب والمعصية هو من لا يقدر على تسويغ فعله تسويغاً صحيحاً من الناحية الشرعية، أي بمعنى كون ذنبه ومعصيته مسلَّماً بهما ومعروفين عنده وعند الجميع، فيقوم بذلك جهاراً.

أمَّا في حال كانت الحقيقة العملية، في نظر المغتاب، تُعَدُّ معصية، ولكن لمؤدَّى العمل (من اغتيب) توجيه شرعي صحيح، فهذا الفرد لا يعد متجاهراً بالفسق، ولا تجوز غيبته، فكيف إذا كان للمغتاب توجيه صحيح لذلك العمل؟

٥- التجاهر بالذَّنب والمعصية يكون سبباً لجواز غيبة المتجاهر بتلك الذنوب والمعاصي فقط، لا بجميع عيوبه، وبناءً على هذا، فإن تجاهر الشخص بالذنب والمعصية الخاصة ليس فيه جواز وسماح لبيان كافة عيوبه ونقائصه.

روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"لا غيبة لثلاثة: سلطان جائر، وفاسق معلن، وصاحب بدعة"[1].

وقال(صلى الله عليه وآله) أيضاً:

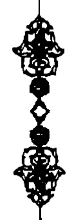
"لا غيبة لفاسق"[2].

وعنه(صلى الله عليه وآله) قوله:

"أربعة ليس غيبتهم غيبة: الفاسق المعلن بفسقه"[3].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"الفاسق لا غيبة له"[4].



أمَّا في مجال البعد الأخلاقي للتَّجاهر بالذَّنب والمعصية، فنشير إلى أمرين مهمَّين هما:

الأمر الأوَّل:

يحرَّم اغتياب الرجل والمرأة من المؤمنين، ولا إشكال في اغتياب غير المؤمن منهما، لأن المؤمن والمؤمنة محترمان عند الله، وتنبغي الإشادة بحرمتهما عند عباد الله

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١٢٨، ح ١٠٤٤٨.

٢. المصدر نفسه، ص ١٢٩، ح ١٠٤٥٣.

٣. المصدر نفسه: ص ١٢٨، ح ١٠٤٤٩.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

أيضاً، فإذا أظهر المغتاب عيوبهما ونقائصهما جهاراً، فقد دنّس حرمتهما واستهان بكرامة كلٍّ منهما، وهذا العمل نفسه حرام، وفيه إغضاب لله تعالى، وكسر حاجز حرمته. أما إذا لم يحافظ المؤمن والمؤمنة على حرمتهما وكراماتهما، وتجرآ على معصية الله، فقد كسر حاجز حرمته وشوكته.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"إذا جاهر الفاسق بفسقه، فلا حرمة له و لا غيبة"[1].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

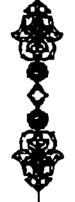
"ثلاثة ليس لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بالفسق"[2].

الأمر الثاني:

تعدّ مسألة الحفاظ على جلباب الحياء والستر، في ثقافة الأديان الإلهية، مسألة مهمَّة ومحوراً أساسياً في المجتمعات البشرية، فالغيبة هي رفع جلباب الحياء عن الإنسان، وهي تتناقض مع «جلباب الحياء والستر»، بل لا تنسجم معه أبداً. فمن يرفع هذا الجلباب جهاراً، ويلوّث نفسه بالذَّنب والمعصية من دون رادع، فإن غيبته حينئذ لا تعدّ رفعاً لهذا الجلباب عنه.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"من ألقى جلباب الحياء، فلا غيبة له"[3].



لا غيبة لمن ألقى عنه جلباب الحياء، فكيف إذا سرّ عندما يصدر عنه العمل القبيح، وإذا أخذ يفاخر به؟ فكم هو قبيح أن يباهي الإنسان بذنبه ويغترّ به!

ب: الظالم:

المورد الآخر، من موارد جواز الغيبة، هو اغتياب الظالم في غيبته، وبيان ظلمه أمام الملأ من الناس، فهذا العمل لا يعدّ غيبة ولا حراماً.



---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٩، ح ١٦٣٢٧.

٢. المصدر نفسه، ح ١٦٣٢٨.

٣. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٨، ص ٤٦١، ح ١٠٠١٢.

قال الله سبحانه وتعالى:

{**لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً**}[1].

تنبغي الإشارة هنا إلى عدم الفرق بين الظالم المتجاهر بالظلم والظالم غير المتجاهر به، بمعنى أنَّ الظَّالم، إن أبى التجاهر بذكر ظلمه أم لم يأب ذلك، لا يعدّ هذا العمل غيبة، فهل يلزم على السامع فيما لو ذكر أمراً عن الظالم بأن يكون له علم ومعرفة مسبقة بذلك أم لا؟ بمعنى أنه إن لم يكن عالماً بشيء من ذلك، فلا يضرّ أيضاً في جواز هذه الغيبة.

توجد عدة شروط لجواز غيبة الظالم، وهي عبارة عن:

١- الشرط الأول: قصد المظلوم من اغتيابه للظالم.

هل هو بدافع رفع الظلم عن المظلوم؟

فإن كان المظلوم يقصد ذمَّ الظالم أو تحقيره والاستهانة به، أو أراد هدر كرامته، فلا تجوز غيبته. وهذا الشرط باطني طبعاً، وهو يعود إلى قصد المغتاب ونيَّته.

٢- الشرط الثاني: يتعلق بقول المظلوم.

وهو: جواز أن يقول كل ما يتعلق به وحده ممَّا وقع عليه من ظلم، أما إذا ذكر عيوباً أخرى في غياب الظالم لا علاقة لها بظلمه، فكلامه هذا يعد غيبة وحراماً.

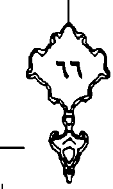
٣- الشرط الثالث يتعلق بسامع الغيبة. فالمظلوم له الحق فقط في أن يذكر الظالم بسوء ويغتابه، إذا كانت هناك قدرة على مساعدته، ومنحه الأمل في نصرته والدفاع عنه. فكم من الناس من هو قادر على تقديم المعونة والدعم والنصرة لغيرهم، ولكنهم لا يسعون إلى ذلك، بل ليس هناك أمل في مساعدتهم ودعمهم ونصرتهم.

وفي هذه الحالة، لا يجوز اغتياب الظالم عندهم!.

والأمر الآخر في شأن هذا النَّوع من الغيبة هو:

أنه لو قام الظالم بظلم شخص ما، فهل يجوز لشخص ثالث أن يخبر بظلمه أو لا؟

ينبغي القول، هنا، في الاجابة عن هذا السؤال: كلا، بل هذا من وظائف المظلوم



---

١. النساء (٤): ١٤٨.

نفسه بأن يدافع عن نفسه من خلال بيان ما حلّ به من ظلم.
والأمر الآخر الذي ينبغي بيانه هنا هو:
هل أن بيان الظلم مختص بالحاكم فقط، وعلى المظلوم عرض ما وقع عليه من ظلم في حضور الحاكم أو لا يشترط ذلك؟.
للإجابة عن هذا السؤال نقول: كلا أيضاً، فإذا لاقى الإنسان تهديداً لنفسه وماله وعرضه، وهو غير قادر وحده على الدفاع عن نفسه، وكان بحاجة إلى دعم ومساعدة الآخرين له، فإنه يجوز له أن يبين الظلم للآخرين، للدفاع عن نفسه.
قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد:
{والذين إذا اصابهم البغي هم ينتصرون.... ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل}[1].

ج: المبتدع:

المورد الثالث، من موارد جواز الغيبة، هو ذكر المبتدع في غيابه بسوء، بغية صون الناس عن السير في طريق الخطأ والانحراف. فالمبتدع يؤسِّس شيئاً ليس في الدين، فيحرف الناس ويضلّهم بما يقوم به.
وقد تكون البدعة، أحياناً، في أصل من الأصول الاعتقادية، أو في فرع من أحكام الدين أحياناً أخرى. ويعدّ أصحاب الفرق المذهبية العديدة ممن لهم عقائد منحرفة من جملة المبتدعين، وهؤلاء يجوز اغتيابهم.
ينبغي الالتفات إلى هذا الأمر وهو: إن اغتياب المبتدع إنما هو للحدّ من حدوث حالات الانحراف والشذوذ في المجتمعات من خلاله أو بوساطته، فلو امتلك شخص عقائد منحرفة مثلاً، ولم ينو إشاعتها ونشرها وتعليمها، ولم يكن هناك تخوُّف من الأساطير والخرافات ونشر الأكاذيب، فلا تجوز غيبته.
قال سعدي الشيرازي ما معناه:
سمعت أن ثلاثة يجوز اغتيابهم، وغير هؤلاء الثلاثة، لا رابع لهم.
أحدهم: الملك، فهو يستحق اللَّوم والتعرُّض له بسوء، بسبب ما ارتكبه من ظلم

---
١. الشورى (٤٢): ٣٩ و ٤١.

بحقهم، فهذا يجوز أن تذكره بسوء، ليحذر منه الناس و يأمنوه.

والثاني: من لا يستحيي، فلا تتستَّر عليه، لأنه فضح نفسه، فلا تخف على من وقع في حوض الماء أن تبتل ثيابه، لأنه قد حصل له أكبر من هذا، فمثل هذا وقع في أعماق البئر ودياجير الظلمات السحيقة.

والثالث: "مخسر الميزان"، وهذا قل ما شئت عنه ولا حرج! بسبب فعله السيّئ، فإن مصيره إلى النار[1].

الأمور المشتبهة مع موارد جواز الغيبة:

قد يتصوَّر الإنسان، أحياناً، خطأً، أنَّ الغيبة التي يقوم بها تعدُّ من موارد جواز الغيبة، مع أنها ليست كذلك، فيكون فعله حراماً، ونشير، هنا، إلى بعض هذه الأمور:

١ـ رضا من اغتيب:

لا أثر لرضا الإنسان بأن تذكر عيوبه أو عدم رضاه بذلك، في أصل الغيبة، فهذا الأمر لا يرفع حرمة الغيبة ومعصيتها، أي أن رضا من اغتيب لا يرفع حرمة الغيبة أصلاً.

وتنبغي الإشارة، هنا، إلى أن رضا الإنسان بذكر مساوئه يختلف عن التجاهر بالذنب والمعصية. فلعلّ بين هذا الشخص ومن اغتابه علاقة شخصية وصداقة عاطفية مثلاً، ولكنه غير مستعد لأن يقوم بهذا العمل، فيفضحه عند كل أحد. وفي هذه الحالة، لا ضير عليه في القيام بهذا العمل، فلا يعم تعريفه للمتجاهر بالفسق، وغيبته حرام قطعاً.

٢ـ معرفة سامع الغيبة المسبقة بعيب من اغتيب:

---

١. قا ل سعدي في بوستانه:

سه کس را شنیدم که غیبت رواست * و زین در گذشتی چهارم خطاست

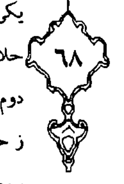
یکی پادشاهی ملامت پسند * کزو بر دل خلق باشند ازو بر حذر

حلال است از او نقل کردن خبر * مگر خلق باشند از او بر حذر

دوم پرده بر بی حیایی مکن * که خود می درد پرده بر خویشتن

ز حوضش مدار ای برادر نگاه * که او می درفتد به گردن به چاه

سوم کي ترازوی ناراست خوی * ز فعل بدش هر چه دانی بگوی



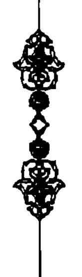
لو ذكر المغتاب عيب شخص ونقصه عند آخر يعلم بهذا من قبل، فهذا العمل هو غيبة أيضاً وحرام. فعلم سامع الغيبة بعيب من اغتيب لا يوجب جواز غيبته، لأن المراد من العلم، أو الإظهار، الذي يزيل الحرمة ويرفعها ليس المعرفة الشخصية، بل المراد به كونه معروفاً والشهرة العرفية، أي بمعنى: أنه لو كان في شخص عيب أو نقص، وكان هذا العيب أو النقص معروفاً عند الجميع، فلا يعدّ بيان عيبه ونقصه غيبة، لأن لعيبه شهرة عرفية، وليس المراد بالشهرة العرفية طبعاً هي: أن الناس كلهم يعرفون ذلك العيب أو النقص من دون استثناء، فالغيبة تتمثَّل في ما يعرّف بأنَّه نقص وعيب فحسب، ولا إشكال في ذلك، شريطة أن يعتقد السامع بأنها نقص وعيب، أما إذا لم يعلم بذلك، فسيكون هذا حرام أيضاً.

الأمور التي تلحق بموارد جواز الغيبة:

وهناك أمور أخرى تجوز فيها الغيبة، أيضاً، وليست هذه الموارد من الأمور التي استثنيت في الروايات، بل تحصّل جوازها من بعض الضوابط الفقهية العامة، وهي:

١- نصيحة المستشير:

قد يؤدِّي ذكر أمور لم يرد فيها عيب ونقص لذلك الشخص، إلى ظهور أضرار ومشاكل لمؤمن آخر، أو إلى مفسدة كبرى، فيأتي هنا بحث التزاحم والأهم والمهم. بمعنى أن الإنسان يقع بين الأمر المهم والأهم، فعليه أن يقدّم الأهم بحكم العقل. وفي هذه الحالة، تكون مصلحة قول العيب أحياناً أهم من عدم قوله، فتجوز الغيبة، كقول عيوب من تقدَّم لطلب الزواج من إحدى المؤمنات ونقائصه مثلاً، فلو كان هذا الشخص على ثقة ومعرفة تامة بالخاطب، فقام أهل البنت بالتحقيق والسؤال عنه، واستشاروه في هذا الأمر، فتجوز الغيبة في هذه الحالة وذكر معايبه وذمّه، لتقدُّم مسألة نصيحة من أراد الاستشارة والنُصح.

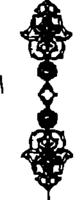


تأتي النصيحة هنا بمعنى الرَّغبة في طلب الخير والنُصح، ذلك أن الذي يغتاب، في هذا المورد، يطلب الخير في الحقيقة والنصح للمستشير، ما يعني أن الخاطب المتقدِّم للزواج لو كان إنسانا منحرفاً ومنحطّاً، أو فيه عيوب وتشويهات

خلقية وروحية، فلا ينبغي إلقاء البنت المؤمنة في مفسدة كبرى، بسبب الاعتقاد الخاطئ بأنّ بيان عيوب الأشخاص يعدّ غيبة!. وفي هذه الحالة، لا يتمثل جواز الغيبة بطلب المشورة فحسب، أي أنه متى ما سئل الشخص أو طُلب منه الرأي والمشورة، يكون القول هنا جائزاً، ليس هذا فحسب، وإنما ينبغي إن لم يطلب رأيه ومشورته، أن يقول المعايب والنَّقائص في الخاطب، وذلك لأنه إذا شاهد الإنسان أخته المؤمنة ستتعرض إلى مشاكل أو معاناة كبرى، وكان قادراً على رفع هذه المعاناة وحلّ تلك المشاكل، وكان الطريق الوحيد أمامه هو الغيبة، فمع وجود حكم العقل في مسألة «تزاحم الأهم والمهم»، عليه أن يدقق في أهمية ما يقول، ومقارنته بالتزام الصمت وعدم التفوُّه بشيء من ذلك، واختيار السكوت. بمعنى: أنه لو كان الطريق للحدّ من هذه المفسدة، إنما يحصل في بيان عيب الشخص ومنقصته، فإنه يمكن الاستعانة بهذا الطريق، واستخدام هذا الأسلوب.

وهناك عناوين ثانوية في المسائل الفقهية الأخرى، كالأكل والشرب، وأكل المال الحرام أيضاً. فإذا لم يكن للإنسان ما يأكله، واحتمل أنه إن لم يأكل المحرّم: أنه سيموت، فإنه يجوز أكله بمقدار الضرورة، ورفع موضع الحاجة. فيكون المناط في تشخيص أهمية قول العيوب وذكرها للآخرين وترجيحها على السكوت أو عدم ذكرها، هو تشخيص الشارع في الحالة الاعتيادية، وتنبغي العودة والرجوع إلى الفقهاء في هذه الحالة.

ولكن الأهم من ذلك كله هو أن على الإنسان أن يقارن نفسه من الناحية الداخلية والنفسية، ويرى ما هو السبب الباطني والنفسي الذي دعاه للغيبة؟



وهل يتألم له، بسبب انتحاله صفة التدين ؟

أو يتبع رغباته النفسية ويطيعها؟

كما لو حصل على موقع و مركز اجتماعي مرموق ومهم مثلاً، فإن ذلك يجوّز له أن يذكر عيوب الآخر، ويفشي أسراراً كان قد أخفاها في نفسه لمدَّة طويلة! وفي هذه الحالة، يكون قد فتح عقدة قلبه المغلقة، ولم تكن نيَّته طلب رضا الله سبحانه وتعالى.

فإذا كانت الغيبة جائزة، في بعض الحالات، فعلى الإنسان مراجعة نفسه، فيفرض عليها أن لا تقع أسيرة الهوى والشهوات، ويسعى إلى أن تكون أعماله هادفة إلى

اكتساب رضا الله سبحانه وتعالى.

٢- رفع المنكر ودفعه:

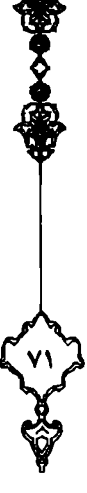
لو انحصر رفع المنكر أو الذنب أو المعصية ودفعه بالغيبة وحدها واستلزم الأمر ذلک، فقد لزم. فمن ابتدع في الدين، مثلاً، وكان عمله هذا يسبّب انحراف الأمة عن مسار الدين الصحيح، فمن اللازم، هنا، إن كان هذا هو الأسلوب الوحيد للحدّ من فعله هذا، بيان النقائص والعيوب المرتبطة بممارساته وتصرُّفاته المنحرفة، ونشرها.

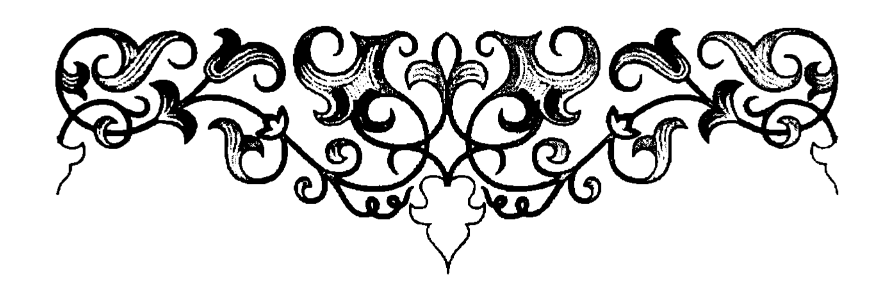
١ـ الشهادة عند الحاكم:

لو استدعى دفع المفسدة أو المنكر أن يذكر الإنسان عيوب الآخر ومثالبه عند القاضي، فلا يعدّ فعله هذا حراماً. ولو طلب القاضي شاهداً على ذلک، فلا إشكال شرعاً في طلبه، لكن من الواضح أن المقصود بالنقائص والمثالب: هي تلک المثالب التي لها علاقة بذلک المنكر، وكان لها دور مهم وتأثير في دفعها.

٢ـ الإفصاح عنها:

لو نفى شخص كمال الآخر، في غيابه، ولم يقصد بذلک الاستخفاف به أو ذكر عيوبه، فلا يعدّ فعله هذا غيبة، كمن نفى كفاءة طبيب ما، أو ضعّف الكفاءة العلمية لمجتهد ما في عملية الاستنباط، ففي هذه الحالات لا يعدّ فعله غيبة.





(٤)
الجذور الدّاخلية للغيبة

نقوم، في هذا الفصل، ببحث الجذور الداخلية للغيبة والأمور التي تعدّ منشأً وأساساً لها، وهي عبارة عن:

١- التّخفيف من حدّة الغضب:

إن من يغضب على أخيه المؤمن، وتتأجّج نار الغضب في نفسه، يمكن أن تظهر لديه حالتان:

الأولى: أن يذكر عيوبه في غيبته، فيطفئ نار غضبه المتوقّدة.

والثانية: أن يخفّف من شدّة غضبه وسخطه وتعقّده من أخيه، من دون أن يقتلع هذا الغضب من جذوره. بل يتربص بأخيه الدوائر، فكلما أتيحت فرصة، أو كانت مناسبة لذلك، ذكر عيوبه ومثالبه باستمرار، وكلا هذين الأمرين من الرذائل.

٢- مسايرة الأصدقاء ومجالستهم:

وتحصل الغيبة، أحياناً، عندما يحضر الإنسان مجالس الأصدقاء ومنتدياتهم، ويجرى الحديث عن بعض الناس، والانتقاص منهم، فيساير المتحدّثين في حديثهم لكي لا يتخلّف عنهم في هذا الحديث، كما إذا اغتاب أحد الأصدقاء شخصاً ما، وكان



شخص آخر حاضراً في المجلس لم يقصد غيبة أحد، لكنَّه إذا سمع الحديث يساير المتحدِّثين المغتابين، خوفاً من أن يرفضه أصدقاؤه، أو لا يدعونه إلى مجلس أنسهم وناديهم المنكر، فيشاركهم الغيبة.

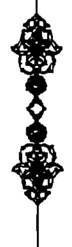
٣ـ إزالة الأثر:

وقد يبتلى الشخص بالغيبة، أحياناً؛ وذلك إذا أراد الحدّ والوقاية من أثر ما أو إزالته، كأن يقال عنه كلام، فيرد، فيمزج ردّه بالغيبة. فلو أراد الإنسان إزالة آثار كلام من شوّه سمعته، أو أراد أن يشهد ضدّه، فسبقه في ذلك، وذكر نقائصه وعيوبه في غيبته، فعيوبه ونقائصه، وإن كانت قد صدرت منه حقيقة، فقد اغتاب ذلك الشخص، ولو كان كاذباً في ذلك ليكون كلامه نافذاً ومؤثراً، فقد أصيب بالافتراء أيضاً.

ويتضح، هنا، أن هذه القضية تعود إلى صغر نفس الإنسان أو خوفه.

٤ـ دفع الاتهام وردُّه:

قد يرتكب الإنسان عملاً قبيحاً، أحياناً، أو يُتّهم بذلك، ولكي يرفع أصابع الاتهام عن نفسه ويردُّه، فإنه يغتاب أخاه المؤمن، ويتهمه بالمشاركة في هذا العمل القبيح والسيّئ، أو ينسب إليه وحده ارتكاب الفعل، فعلى هذا، يكون قد أضاف عيباً آخر إلى عيوبه، ولهذا جذور أيضاً في ضعف نفس الإنسان.



٥ـ الكبر:

يسعى الإنسان، أحياناً، لكي يسجّل فضيلة من الفضائل لنفسه، في قضية ما، فيغتاب أخاه المؤمن، فهو، بهذا العمل يذمُّ شخصاً آخر، ليفرض أفضليَّته عليه بصورة غير مباشرة، فيصاب هذا الشخص بالرذيلة النَّفسيَّة بسبب حالات الغرور والكبر أو الاستعلاء.

٦ـ الحسد:

إن من ابتلي بمرض نفسي كالحسد، يعتصر ألماً إذا سمع مدحاً ومنقبة لأخيه

المؤمن، فيكون هذا سبباً في ذكر عيوبه ونشرها على الملأ العام، لكن أهل الفن ممّن لا يطيقون مشاهدة نجاح الفنّان لشدة حسدهم له، تراهم ككلاب السوق التي تلهي وتشغل كلاب الصيد، فلا تدعها تقترب منه. يعني أن الكسول الذي يعجز عن منافسة البارع الجدير، يسعى إلى إيذائه وتقريعه بشتى وسائل الإيذاء والتهريج.

قال سعدي الشيرازي:

"الحسود العاجز يغتاب، فيكون اللّسان الفصيح صامتاً أمامه"[1].

٧ـ المزاح:

وقد تتصف الغيبة أحياناً بصفة شهوانية وبطابع اللّهو، كمن يذكر عيوب أخيه المؤمن في سياق المزاح والضحک والتسلية بين أصدقائه. يعدّ هذا التصرف من جملة الأفعال المذمومة التي تستمد جذورها من القوة الداخلية للشهوة.

وسنتعرض إلى بحث المزاح في ما بعد.

٨ـ السخرية:

وتتحقق الغيبة أحياناً من خلال سخرية الشخص بغيره، فيكشف عن أسراره.

٩ـ تألُّم المغتاب من دون أن يشعر:

لم يتخلّق المغتاب بعد بالآداب الإلهية، فهو يحب أن يمضي في طريق الله، ولكنه ضالّ عن الطريق، لا يعلم كيف يسير؟ وإلى أين يتجه؟. فإذا رأى عيب مؤمن، تراه يطلق لسانه بالقدح والذّم والتعرض له بسوء من باب التألم عليه، واحتراق قلبه عليه، كمن رأى خطأ أخيه المؤمن، أو رأى فيه نقصاً، في البعد الديني أو أبعاد أخرى، فيعدّ عيوبه ويحصيها، في غيبته، من دون اختيار وإرادة منه، فتألّمه وحرقة قلبه عليه هو أمر طبيعي وحقيقي، فلو لم يذكر عيبه ومثالبه، لأثيب على فعله هذا، ولكن بما أنه ذكر من يريد أن يقول فيه، وذكر صفاته، فإن ثوابه يتبدل إلى عقاب.

---

١. قال سعدي في گلستان، الباب ٨، الحكاية ٤٧:

كند هر آينه غيبت، حسود كوته دست * كه در مقابل گنگش بود زبان مقال.

وعلى هذا، ينبغي لحاظ المناط الشرعي في الرحمة والإشفاق، لكي لا تكون رحمة هذا الشخص وعطفه سبباً في عذابه، وتحوُّل ثوابه إلى عقاب.

١٠ـ الغضب في سبيل الله:

وقد يغضب الإنسان أحياناً لتصرف أو إساءة صدرت من شخص ما، فيذكر اسمه تعبيراً عن حالة معينة، أو لكراهية صدرت منه جرّاء فعل سيّئ وتعامل مرفوض، فيكون قد ابتلي بالغيبة في هذه الحالة، لأن بإمكانه أن يعبّر عن غضبه وسخطه لهذا الفعل السيّئ والمذموم من دون ذكر اسمه، فهذا الغضب ممدوح ومرضي بهذا الوصف، ولكن الغيبة مذمومة وممنوعة.

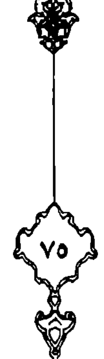
روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"أصل الغيبة يتنوع بعشرة أنواع:

شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتهمة، وتصديق خبر بلا كشفه، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، وتعجّب، وتبرّم، وتزيّن"[١].

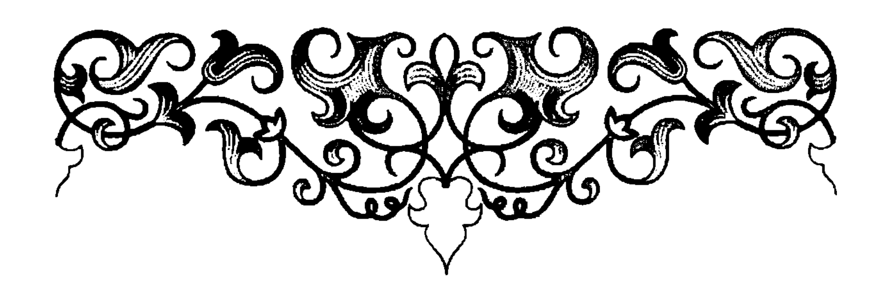
ويتضح من هذه التفاسير جيداً لزوم مراقبة اللّسان والتحفظ عليه، للأمن من عذاب الله، كما روي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام. قال:

"فإن أردت السلامة، فاذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك مكان الغيبة عبرة، ومكان الإثم ثواباً"[٢].



١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل: ج ٩، ص ١١٨، ح ١٠٤٠٧.

٢. المصدر نفسه.



(٥)
المعطيات المذمومة للغيبة

للغيبة نتائج وأضرار سيِّئة ومؤلمة تعود على المغتاب ومن اغتيب في آن واحد، وقد قسّمها علماء الأخلاق إلى قسمين:

دنيوية، وأخروية.

ألف ـ النتائج المترتِّبة على مساوئ الغيبة في الدنيا:

١ـ تذهب بالكرامة وتكسر الحواجز:

يذهب من يغتاب غيره بكرامات الآخرين؛ وذلك بسبب تصرفاته غير المدروسة وغير المعتبرة والمرفوضة، فيذهب الله، سبحانه، بكرامته جرّاء ما يرتكبه من أفعال، ويفضحه في الحياة الدُّنيا.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"لا تغتَب فتُغتب، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها"[١].

ومعنى هذا أن من يغتاب غيره، فسيُغتاب أيضاً، لأن من يغتاب غيره ويفضحه بذكر عيوبه أمام الآخرين، فسيسعى الآخرون أيضاً إلى فضحه بذكر عيوبه، وانتقاصه بذكر

---

١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٢٤٧، ح ١٦.

مثالبه.

روي عن رسول الله المصطفى محمد(ﷺ) أنَّه قال:

"يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عوراتهم، تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله تعالى عورته، يفضحه في بيته"[1].

٢- إثارة العداوة والبغضاء:

تزيل الغيبة كرامة المؤمن، وتجعله عدوّاً لمن اغتابه، وينظر أصدقاء من اغتيب إلى من اغتابه نظرة الحقد والكراهية والعداء. بل حتى لو تبدلّت نظرتهم تجاه من اغتيب، وأظهر نقصه لهم أيضاً، فالغيبة إذن تجعله ممقوتاً من الله والناس، وتؤجج نار الغضب فيهم، وتحبط ثواب الأعمال.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

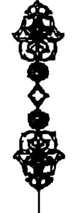
"إيَّاک والغيبة، فإنها تمقتک إلى الله والناس، وتحبط أجرک"[2].

٣- سلب الثقة:

إذا ذكر الإنسان عيوب أخيه المؤمن، فقد سلبت ثقة الآخرين به، بل حتى ثقته بنفسه، لأن الآخرين يصلون إلى هذه الحقيقة وهي: إن ذلک الإنسان هو غير ثقة، وإنه يفشي أسرار الناس.

قال سعدي الشيرازي ما معناه:

"من يفشي أسرار الناس ويذكرهم بسوء، فلا ترجو منه الخير، فهو يتقول عليک من خلفک في غيبتک كما يذكرک عند الناس"[3].



فلو ازداد الشعور بالثقة في الناس وحالات الاعتماد بهم، كان المجتمع متلاحماً

١. الكليني: الكافي. ج ٢، ص ٣٥٤، ح ٢.

٢. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢١، ح ٤٤٢٥.

٣. قال سعدي الشيرازي في بوستانه:

هر آن كه برد نام مردم به عار * تو خير خود از وی توقع مدار.

كه اندر قفای تو گويد همان * كه پيش تو گفت از پس مردمان.

ومنسجماً، أما إذا نمت الغيبة في المجتمع، فستتعرض وحدته وانسجامه إلى الخطر.

٤- نشر المساوئ:

الغيبة هي بيان عيب شخص ونقصه، ذكر مساوئه في غيبته. وبهذا التصرّف، سيذهب قبح ذلك العمل السيّئ ويزول عنه، فكما أن السامع يختار الصمت أمام من يغتاب، ولا يردّ عليه، إلا أن هذا يبعث فيه نشاطاً وحيوية أكثر في الإصرار والاستمرار على هذا الفعل، ولا يدرك قبح الغيبة، فكذلك قبح العمل المذكور، فقد كان السامع يعرفه قبل الغيبة، فيجعله منكسراً أو ضعيفاً وهزيلاً.

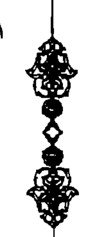
روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"من قال في مؤمن ما رأته عيناه، و سمعته إذناه، فهو من الذين قال الله عز وجل: {**إن الذين يحبُّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم**}"[١].

فللغيبة نتائج وآثار سيئة: كسلب الثقة، وإيجاد الحقد والكراهية، ونشر المساوئ، والذهاب بعزّة الإنسان وكرامته، وهذا العمل يعدّ تهديداً جاداً لسلامة المجتمع، قد يعرّضه إلى الخطر.

ب ـ نتائج الغيبة وآثارها المعنوية والأخروية:

١ـ الإطاحة بالدِّين:



الغيبة سبب في تقويض الدين و هدم معالمه و الإطاحة به.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه"[٢].

بمعنى أن الغيبة تذهب بدين الرجل بسرعة.

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٧، ح ٢.

٢. المصدر نفسه، ص ٣٥٦، ج ١.

٢ـ منع قبول الأعمال الصالحة:

وتصدّ الغيبة عن قبول عمل الإنسان لأربعين يوماً عند الله. فقد تكرّر، في الرِّوايات والنُّصوص الإشارة إلى أن وضوء من اغتاب مسلماً وصلاته باطلان، والمراد بالبطلان هنا ليس البطلان الفقهي، بمعنى أن الشخص لم يؤد العبادة، فيوبّخ ويعاقب على فعله، بسبب عدم أدائه العبادة والتزامه بها، بل إنّ المراد منه خلو هذا العمل من الأثر الذي ينبغي أن يترك انطباعاً في العمل الصالح والتخلّق بالأخلاق الكريمة على روح الفرد وشخصيته. فالأعمال الصالحة تصنع السعادة والجنة، وتصدّ عن العذاب والنار يوم القيامة. أما إذا لم تترك أثراً على روح الإنسان، فلا تمنعه من الذهاب إلى جهنم، بمعنى أنها لن تصدّه عن ارتكاب الذنوب والآثام، ولا تصنع روح الإيمان والعزيمة في الإنسان.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنّه قال:

"من اغتاب مسلماً أو مسلمة، لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلا أن يغفر له صاحبه"[١].

وروي عنه(ﷺ) أنّه قال:

"من اغتاب مسلماً في شهر رمضان، لم يؤجر على صيامه"[٢].

وروي أيضاً:

"أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم، وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له، فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء ويقول: يا رسول الله، ظللت صائماً فأذن لي لأفطر، فأذن له [لا لرجل والرجل] حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله، فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما تستحيان أن تأتيانك، فأذن لهما أن تفطرا، فأعرض عنه ثم عاوده، فأعرض عنه، ثم عاوده فقال ﷺ إنهما لم تصوما، وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟ اذهب مرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا، فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم، فرجع إلى

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ٣٢٢، ح ٨٢٩٣.
٢. المصدر نفسه.

النبيﷺ فأخبره فقال ﷺ: والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار. و في رواية أنه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا تموتان، فقالﷺ: أيتوني بهما فجاءتا ودعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قئى، فقاءت من قيح ودم صديد حتى ملأت القدح، وقال النبيﷺ للأخرى قئى فقاءت كذلک، فقالﷺ: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا عما حرّم الله عليهما. جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس"[1].

٣- انتقال الحسنات:

الغيبة توجب نقل الحسنات ممَّن يغتاب غيره، فتسجّل في كتاب من اغتيب.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنَّه قال:

"يؤتى بأحَد يوم القيامة يوقف بين يدي الله، ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي، ليس هذا كتابي، فإني لا أرى فيها طاعتي!، فقال: إن ربّک لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملک باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر، ويدفع إليه كتابه، فيرى فيها طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي!، فإني ما عملت هذه الطاعات!، فيقول: إن فلاناً اغتابک، فدفعت حسناته إليک"[2].

٤- تأخير الثواب و تقديم العقاب:



روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنَّه قال:

"أوحى الله تعالى عزّ وجلّ إلى موسى بن عمرانعليه السلام: المغتاب إن تاب، فهو آخر من يدخل الجنة، وإن لم يتب، فهو أول من يدخل النار"[3].

٥- عذاب القبر (عقاب في عالم البرزخ):

يبدأ عقاب المغتاب بعد هذه الدنيا و دخوله في عالم البرزخ.

١. الشهيد الثاني: كشف الريبة، ص ٨.

٢. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١٢١، ح ١٠٤١٨.

٣. العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ح ٧٢، ص ٢٥٧، ح ٤٨.

روي عن ابن عباس أنَّه قال:

"عذاب القبر ثلاثة أثلاث، ثلث للغيبة، و..."[1].

٦- تجسّم المساوئ يوم القيامة:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه المعصومين عليهم السلام قولهم:

"من اغتاب امرأً مسلماً.. جاء يوم القيامة تفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة، يتأذى به أهل الموقف"[2].

قال جلال الدين الرومي ما معناه:

"يا من يشمُّ الخالق روائح أفواهكم، لن ينجو أحد منكم يوم القيامة إلا من كان صادقاً.

آه لمن كانت لفمه رائحة نتنة، فتصل إلى منكر ونكير ويشمّانها.

فأنت لا يمكنك أن تخفي رائحة فمك النتنة، ولا تقدر أن تطيّب رائحته بالأدوية والروائح الزكية والطّيبة"[3].

٧- الخروج عن ولاية الله:

روي عن الإمام السادس عليه السلام في كلام طويل له أنَّه قال: "ومن اغتابه بما فيه، فهو خارج عن ولاية الله تعالى ذكره، داخل في ولاية الشيطان"[4].

فالغيبة، في بعدها المعنوي، هي أن تخلّ في علاقة الصداقة بين الخالق والمخلوق، فإذا كان الإنسان تحت حكم الله عز وجل، فإن كافة أعماله تخضع لإرادته سبحانه، وتصطبغ بالصبغة الإلهية، أما إذا كان تحت حكم الشيطان وسيطرته، فإن لكلّ أعماله صفة شيطانية، فيسقط من أوج قمم المعالي الشاهقة إلى حضيض الذل والخنوع.

---

١. المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٤٥، ح ٧٢.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ١٦٣١٢.

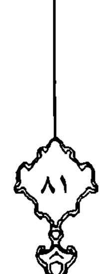
٣. قال المولوي في المثنوي المعنوي، الدفتر الثالث، قصة آكلي الفيل الصغير:

هان كه بوياي دهانتان خالق است * كى برد جان غير آن كو صادق است

واى آن افسوسى اى كشى بوى گير* باشد اندرگور، منكر يا نكير

نه دهان دزديدن امكان زان مهان * نه دهان خوش كردن از دارو دهان

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



الآثار الجميلة في ترك الغيبة:

تم، إلى هنا، عرض الآثار والنتائج السيئة للغيبة وتحليلها، ليعلم الإنسان أضرارها ومساوئها، ويستعد لتركها واجتنابها. غير أن هناك آثاراً جميلة لترك الغيبة، وقد تمّت الاشارة إليها في كثير من الرِّوايات والأخبار.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لحمران بن أعين:

"إنّه لا ورع أنفع من تجنُّب محارم الله، والكفّ عن أذى المؤمنين واغتيابهم"[1].

"فالورع يساوق «التقوى» في المعنى، وأما في معناه الخاص فهو: ترك الشبهات"[2].

ويمكن القول، هنا، في تفسير هذه الرواية: لو أصبح ترك الغيبة «عادة» لروح الإنسان، لأمكن تحصيل أنفع الورع وأثمنه.

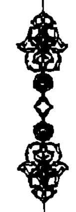
وقد ورد ذلك في الروايات و النصوص الإسلامية بنحو مطلق كقوله عليه السلام:

"من كفّ نفسه عن أعراض الناس، أقال الله نفسه يوم القيامة"[3].

والغيبة هي من المصاديق البارزة لهذه الرِّواية.

وهناك روايات أخرى تشير إلى الارتباط المباشر بين عدم الغيبة والإيمان، أي كونها تبيّن أن من كفّ لسانه عن التعرض للآخرين واجتناب كلام السوء فيهم، فقد استقام إيمانه، كما روي ذلك عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللّسان من أعراضهم، فليفعل"[4].



وتعمّ الروايات الأخرى للغيبة في باب الصدقة أيضاً، فكل عضو من أعضائنا صدقة، وصدقة اللّسان، هي ترك الكلام البذيء، ويعمّ الامتناع عن الغيبة وتركها.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

---

١. الكليني: الكافي، ج ٨، ص ٢٤٤، ح ٣٢٨.

٢. الأمور التي فيها شبهة الحرمة.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٠٥، ح ١٤.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

"امسک لسانک، فإنها صدقة تصّدق بها على نفسک"[1].

وفي بعض الروايات، يعدُّ ترک الغيبة من أفضل من كثير من العبادات المستحبة.

روي عنه(عليه السلام) ببيان آخر أنَّه قال:

"ترک الغيبة أحبّ إلى الله عز و جل من عشرة آلاف ركعة تطوعاً"[2].

وروي عنه(عليه السلام) أيضاً أنَّه قال:

"الصائم في عبادة، وإن كان نائماً على فراشه، ما لم يغتب مسلماً"[3].

قال عطار في ديوان أشعاره ما معناه:

"إن كل عضو من الجسم صائم، فليكن صومک صوماً عند الله، فامنع أولاً نظرة الوجه كالورد، لكي لا تقع شوكة في عينک من فرط حبک، ثم اسدد مسامعک عن كلّ ما ليس بمسموع، فالعقل يختل من سماع كل ما هو ضعيف موهن، والآخر لسانک وهو محل ثنائه ومدحه، فاجتنب الكذب والغيبة واستقم على ذلک"[4].

وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أيضاً أنَّه قال:

"الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل:

يا رسول الله! وما يحدث؟ قال: الاغتياب"[5].

ويكون ترک هذا العمل القبيح سبباً لدخول الإنسان إلى الجنة.

روي عنه(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"ست خصال ما من مسلم يموت في واحدة منهن إلا كان ضامناً على الله أن يدخله الجنة:

رجل نيته أن لا يغتاب مسلماً، فإن مات على ذلک، كان ضامناً على الله..."[6].

وإن في ترک الغيبة خير الدنيا والآخرة.

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١١٤، ح ٧.

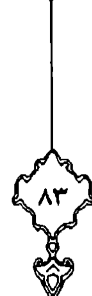
٢. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٤.

٣. الصدوق: الفقيه، ج ٢، ص ٧٤، ح ١٧٧٢.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٦، ح ١.

٦. المحدث النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٥.



روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

"وجدنا في كتاب علي عليه السلام هذه الرواية عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال، وهو على المنبر:

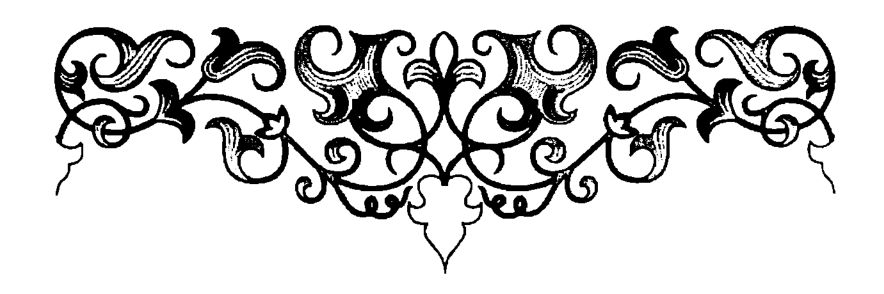
"والذي لا إله إلا هو، ما أعطي مؤمن قطّ من خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنّه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين"[1].

وقال(صلى الله عليه وآله) أيضاً:

"والذي لا إله إلا هو، لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله، وتقصيره من رجائه، وسوء خلقه، واغتيابه للمؤمنين"[2].

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٧١، ح ٢.

٢. المصدر نفسه.



(٦)
أساليب علاج الغيبة

شدَّد علماء الأخلاق على أسلوبين في معالجة كافة الأمراض النفسية، ومنها الغيبة، وهما:

١ـ الأسلوب العلمي، ويضم قسمين: إجمالي، وتفصيلي.

٢ـ الأسلوب العملي، ويبحث في كل طريق وأسلوب من طرق معالجة الغيبة وأساليبها، بمختلف أنواعها، بصورة مستقلة.

أما المعالجة العلمية الإجمالية للغيبة:

فقد تقدّم، في الأبحاث السابقة، أن لعيوب الأخ المؤمن ونقائصه المذكورة في غيابه حيثيتين هما:

١ـ مادية (جسمانية).

٢ـ معنوية (روحية).

١ـ أما العيوب والنقائص البدنية والجسمانية:

فينبغي القول هنا: إنَّ بيان عيب الأخ المؤمن، أو نقصه، واستصغاره، يرتبط بظاهرة خلق الله عز وجل له، ويعود هذا الفهم، في الحقيقة، إلى تصوُّر النقص في

فعل الباري سبحانه وتعالى، فلو اغتيب مؤمن به عاهة جسمانية وبدنية، مثلاً، فهذا الاغتياب ينتقص في الحقيقة من قدرة الله عز وجل وإرادته. إن معرفة هذا الموضوع والتأمل فيه، يساعدان الإنسان على ترك هذا الأسلوب الخاطئ والعمل المرفوض، فعلى المغتاب أن يلتفت إلى أن حقيقة أسلوبه وتعامله الخاطئ والمرفوض هو الاعتراض على الله!!.

٢- أما النقص الرُّوحي والنَّفسي:

فيمكن القول، في شأنه: إنَّ الابتلاء بالنقص الروحي والرذائل الأخلاقية هو عيب للمؤمن، ولكن على المغتاب أن يعلم ما إذا كان منزَّهاً عن هذا العيب، أو النقص أم لا؟.

فإذا كان معتقداً بأنه منزّه وبرىء من كل نقص وعيب، فهو بهذا الاعتقاد والتعامل مصاب بعيب، أو مرض، كبير وخطير، وهو الغيبة.

قال سعدي الشيرازي ما معناه:

"بما أنك تقول بسوء الخلق، فقولك هذا هو سيّئ ولو كنت صادقاً"[١].

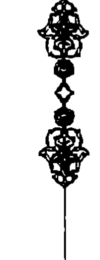
إن من قرّر معالجة مرض الغيبة، عليه أن يعلم أنه بدل أن يحصي عيوب الآخرين ونقائصهم ويذكرها، فالأفضل له أن يحصي أخطاءه وعيوبه ويعدَّها.

روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"طوبى لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين"[٢].

وروي عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أنَّه قال:

"طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس"[٣].



١. قال سعدي الشيرازي في بوستانه:

به بد گفتن خلق چون دم زدی*اگر راست گویی سخن هم، بدی.

٢. الكليني: الكافي، ج ٨، ص ١٦٨، ح ١٩٠.

٣. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ١، ص ١١٦، ح ١٣٧.

أمّا المعالجة العلمية التفصيلية للغيبة:

فنقول، في شأنها: الغيبة هي مرض روحي ونفسي، وهي ناتجة عن أمراض باطنية أخرى. ومن هنا على المغتاب أن يبحث عن جذور ابتلائه بهذا المرض وأسباب ذلک؟ وبعد معرفته تلک الأسباب والعلل، عليه قطع تلک الجذور بشكل كامل وتام، لإزالة الغيبة من تصرفاته وأفعاله.

وتنبغي معرفة أن إصلاح البناء الفوقي غير كاف ومفيد في حدّ ذاته، فلو امتنع الشخص عن القيام بهذا العمل في عدة مجالس، مثلاً، فبما أن أصل المسألة متشعّب في ذاته، و قد امتدّت جذوره في وجوده، فإن فروعه وأغصانه متشعّبة في موضع آخر، وقد عبث بنفسه وأصابها نوع من التلوث. وإذا قطعت تلک الجذور، سيكون ترک الغيبة أمراً مفروضاً وقهرياً، أي أن نفس الإنسان تصدّ وتمتنع عن الغيبة بذاتها، وبشكل إرادي وطبيعي.

وكما تقدم، في بحث الجذور والعوامل النفسية والداخلية، فإن الإنسان بحاجة إلى تبرئة نفسه من كل تصرّف قبيح ومذموم، كحاجته إلى لغة اغتياب الآخرين، وفي هذه الحالة، ينبغي التنبّه إلى أنه لو كان الابتعاد عن الانتقاص من الناس وذمِّهم بحاجة إلى استعراض عيوب الآخرين ونقائصهم، فمن المحتمل هنا أن يرفض الناس هذا الكلام. وفي هذه الحالة، ولكي يصون الإنسان نفسه عن انتقاص الآخرين، فإنه يصطنع لنفسه نقصاً بضرس قاطع وأمر حتمي من الله عز وجل، في حال: أن أي عاقل لا يقدم على الإضرار بنفسه في الوقت الراهن لأجل كسب نفع محتمل ومزعوم في المستقبل، هذا من جهة ومن جهة أخرى، ربما يحصل في هذه الغيبة على نفع دنيوي مزعوم، في حال أن هذا الضرر قطعي ومعنوي، وله علاقة وارتباط بالحقيقة. فهذا التوجيه العملي الخاطئ بهذا النحو: «أن فلاناً فعل كذا، فأنا أفعل مثله كذلک» هو نفسه موضع تساؤل وإثارة حالة من الغرابة والاستفهام.

وبهذا البيان، فإن الإتيان بالعذر هو أقبح من الذنب والمعصية نفسها، لأن اتباع العمل الخاطئ هو نفسه عمل مخالف، فلا يمكن لعمل مخالف أن يتلبس بثوب مخالف آخر كالغيبة.

والأمر الآخر الذي يكون سبباً في الغيبة هو أن الفرد الذي يختلق لنفسه فضيلة في

انتقاصه للآخرين، وذكره عيوبهم ونقائص أفعالهم، ويظهر لغيره بأنه فاقد لكل عيب!
فالسؤال المعروض هنا، وينبغي التوجه والالتفات إليه هو:

كيف يمكن للإنسان إثبات كمال نفسه من خلال بيان عيب الآخر؟.

و هل يمكن إثبات كمال نفسه؟ أو كسب فضيلة بهذا العمل الخاطئ والتصرّف المخالف؟.

وذلك في حال أن القيمة الواقعية والفضيلة الحقيقية للإنسان، هي ما يناله من منزلة ودرجة عند الله، لذا ينبغي السعي إلى عدم إنقاص تلك الفضيلة والمنزلة.

إضافة إلى هذا، كم تُنقص غيبة الآخرين من قيمة المغتاب ومنزلتة؟ أو كم تؤدِّي إلى سلب الثقة والاعتماد عنه؟.

قال سعدي الشيرازي ما معناه:

"تكلّم شخص بالغيبة طويلاً * فقال له: أيّها العاقل المتعال.

لا تسئ بذكر البعض عندي * ولا تجعلني أسيء الظن في حقك.

أخذت من تمكينه القليل * ولا يراد بحقك أن يزيد"[1].

ومن الجذور والعلل الأخرى للغيبة نذكر:

متابعة الأخوة والأصدقاء في المحافل العامة والمجالس على الغيبة، فمثل هذا الشخص في غيبته، قدّم رضا المخلوق على رضا الخالق، فكل من اغتيبوا في المجلس إن لم يكونوا عقلاء، ولا مؤمنين، ولا ملتزمين أو متدينين، فهل يمكن في هذه الحالة أن نتصور تقدم رضا هؤلاء الأشخاص على رضا الله؟!

وربما تؤثِّر الغيبة في التَّصدِّي لتأثير كلام ربما يطلق بحق المغتاب أو منعه أو إحباطه، وفي هذه الحالة، على الإنسان أن يفكّر كيف يمكنه أن يثق بأن عيوبه قد قيلت؟ وربّما يكون هذا الاحتمال واهياً وضعيفاً؟ فهل أن ذكر عيوب الآخرين والتحامل عليهم وإدخال الخدشة عليهم، لأجل ما يحتمله المغتاب هو بعد نظر ؟



١. قال سعدي الشيرازي في بوستانه:

زبان كرد شخص به غيبت دراز*بدو گفت داننده اى سرفراز

كه ياد كسان پيش من بد مكن*مرا بد گمان در حق خود مكن

گرفتم ز تمكين اولم بود *نخواهد به جاه تو اندر فزود.

إضافة إلى ذلك، لا يمكن الثقة والاطمئنان أيضاً بأن يقبل الآخرون فيما إذا سمعوا الغيبة أو يعرفوا سبب غيبته، كونها تلبية لرغبة وإرادة من اغتيب، فالغيبة إذن قائمة على أمور موهومة ومزعومة، ولا يصيب الإنسان إلا إضراراً أخروية.

المعالجة العملية للغيبة:

إنّ أول علاج عملي للحدِّ من الغيبة هو: إنّ الإنسان وقبل أي نوع من الكلام: مشروع أو غير مشروع، أو «له منافع وأضرار دنيوية وأخروية»، عليه التفكير في هذا الكلام قبل النطق به وبيانه، لأنّ هذا التفكير يحول دون حدوث كثير من المعاصي والذنوب.

وثاني علاج هو أنَّ على الإنسان أن يحتاط كثيراً في آداب معاشرته للأصدقاء، أو مشاركته في المحافل العامة، وفي اختياره لأصدقاء هم ليسوا من أهل الغيبة، ومشاركته في مجالس خالية من النميمة، لأن المشاركة في مجالس الغيبة تؤثر بشكل إرادي أو لا إرادي على روح الإنسان وعقله. وبما أن استماع الغيبة حرام أيضاً، تنبغي الدِّقة في اختيار الأصدقاء وصلة الأرحام.

الطريق الثالث هنا هو طلب المساعدة والعون من الله.

وهو على نحوين:

الأول: أن يطلب الإنسان من ربه العون والمساعدة بصورة كاملة وعامة وفي كافة الأوقات، لكي لا يصاب بالرذائل الأخلاقية كالغيبة، كما ورد ذلك في الأدعية، كقوله عليه السلام: "وأعذني فيه من الغيبة"[1].

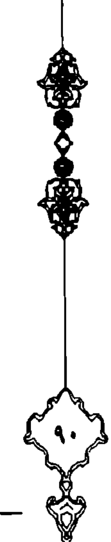
الثاني: إذا توافرت دواعي الغيبة، وتعرضت كرامة الإنسان إلى الخطر، واقتضت الحالة أن تتمثَّل المحافظة على كرامته في اغتياب الآخرين وإظهار عيوبهم فقط. ثم يتلوها، أن يكون مع الله، ثم الطلب منه أن يحفظ كرامته، ويقول: إلهي، إني أتعامل معك، وأدع كرامتي لك وعندك، فاحفظ كرامتي، لأن الله أقدر وأحسن من كل إنسان مخلوق في حفظ كرامة البشر وصيانتها، ولأنه هو خالقه وربّه.

---

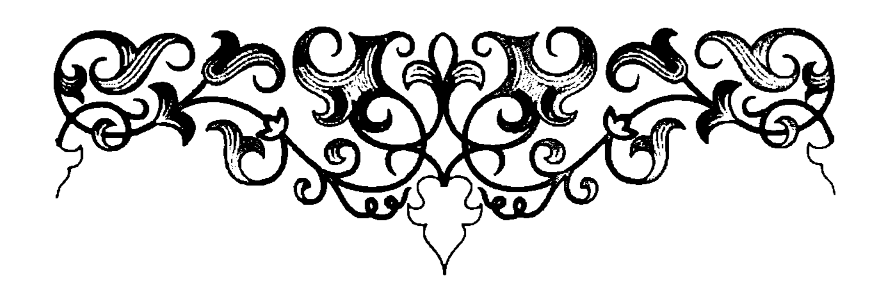
١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٩٤، ص ٣٤٣، ح ٢.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"الغيبة جهد العاجز"[1].



١. صبحي الصالح: شرح نهج البلاغة، ص ٥٥٦، ح ٤٦١.



الفصل الثاني
الكذب

"إن الله عز وجل جعل للشرّ أقفالا، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب"[1].

الإمام الباقر عليه السلام

مقدمة:

من الأمراض المزمنة والخطيرة التي عانت، وتعاني، منها كثير من المجتمعات البشرية الكبرى، دائماً، هو مرض «الكذب». فهو من الأمراض المستعصية التي لم تعالج في كافة العصور والأزمنة من تاريخ البشرية. ويمكن تحليل الكذب وتفسيره في بعده الأخلاقي والفقهي، لكونه موضع اهتمام علماء الأخلاق، وكانت لهم وللفقهاء منهم بخاصَّة، دراسات وبحوث في هذا المجال، وبما أن المحور الأصلي والأساسي هنا هو البحوث الأخلاقية، فستتحدد البحوث والدراسات هنا أكثر في التَّركيز على الجوانب الأخلاقية، وإن تم إكمال الحديث عن الأحكام الفقهية والشرعية المتعلقة بهذه البحوث.

---

١. الكليني: الكافي، ج٢، ص ٣٣٨، ح٣.

يتناول بحث «الكذب» المحاور المهمة والأساسية لهذه الموضوعات، وهي:

١- تعريف الكذب.

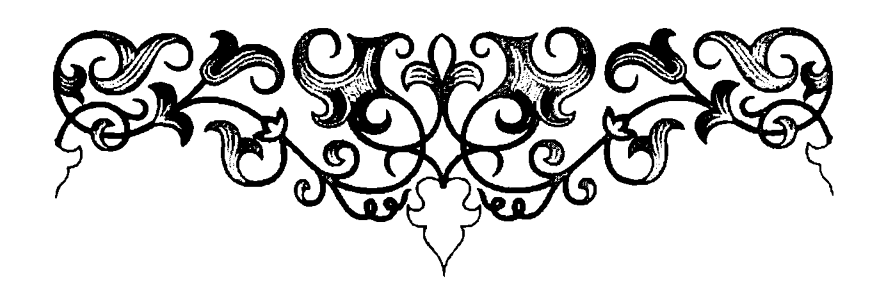
٢- أقسام الكذب.

٣- ذمُّ الكذب شرعاً وعقلاً.

٤- الجذور والأسباب الداخلية للكذب.

٥- نتائج الكذب ودوافعه.

٦- الوقاية من الكذب وكيفية معالجته.



(١)
تعريف الكذب

الكذب والمصطلحات المشابهة له، في اللغة العربية، من قبيل: «الافتراء»[١] و«الإفک»[٢]، تعني: الخبر المخالف والمناقض للواقع.

أمَّا الكذب، في مصطلح علماء الأخلاق والفقهاء، و في العرف أيضاً، فهو بهذا المعنى أيضاً.

فقد ورد، في تعريف الصدق، أنَّه ما يقابل الكذب، و هو يطلق على الخبر المطابق للواقع.

ويمكن تأكيد هذا الأمر، وهو أن «الصدق» و«الكذب»، في الأصل، هما من صفات الخبر، ومن هذه الناحية، يتصف الخبر باعتبار إخباره بصفة الصدق أو الكذب، فمن أراد أن يخبر، إذا طابق خبره الواقع، هو صادق، وإن خالف الواقع، فهو كاذب ومفتر.

وبناءً على هذا، فإن الصدق والكذب صفتان ترتبطان أولاً وبالذات[٣] بالخبر، وثانياً وبالعرض[٤] ومن خلال الخبر، فإنَّهما تنسبان إلى قائل الخبر.

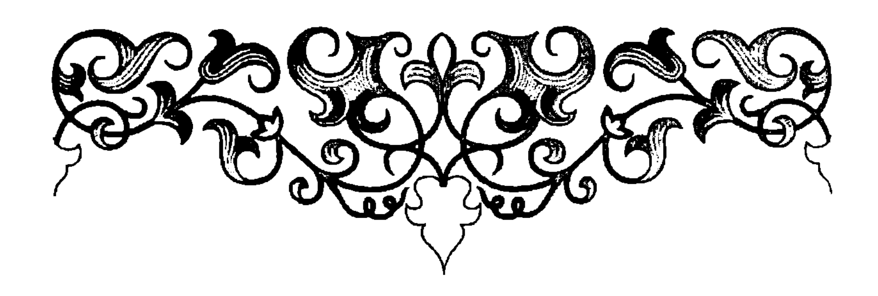
---

١. «فرى فرياً عليه الكذب: اختلقه... افترى عليه الكذب: اختلقه. الفرية: الكذب". المنجد في اللغة والأعلام، بيروت: دار المشرق، ط٢٤، ص ٥٨٠.

٢. "أفکَ أفكاً: كذب. وحديث الإفک: الحديث الذي لا أصل صحيحاً له. أفک أفكاً عن رأيه: صرفه وقلبه رأيه". المصدر نفسه، ص ١٣.

٣. أولاً و بالذات: يعني من دون أي نسبة مجازية وغير حقيقية.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



(٢)
أقسام الكذب

قسّم علماء الأخلاق والفقهاء الكذب، في نظرتهم الخاصة إليه عدّة أقسام. وكان للفقهاء أيضاً نظرة إلى ظاهر أسلوب التعامل، حيث تم، في ضوء هذه النظرة، العثور على أحكام عديدة لذلك الأسلوب من التعامل، مع أن علماء الأخلاق كانوا قد شدَّدوا في أبحاثهم، على باطن أسلوب التعامل لا على ظاهره، وركّزوا على الزّوايا الداخلية للعمل.

أقسام الكذب في رأي الفقهاء:

تنبغي، قبل بيان أقسام الكذب وأنواعه، في رأي علماء الأخلاق، معرفة أن أسباب الإنسان ووسائله في الإخبار مختلفة، وبهذا تتعدد أساليب الكذب وصيغه.

فإخراج الذبذبات والأمواج الصوتية من الفم، عند التكلم ليست هي الطريقة الوحيدة أو الأسلوب الوحيد في الإخبار، فكذلك الكذب، فإنه لا يتحدَّد فقط في اللفظ أو القول والكلام الخارج من الفم أيضاً، بل يمكن أن يحصل بأساليب وطرق مختلفة، كالإشارة بتحريك الرأس أو اليد أو العين، أو الكتابة، أو الرسوم والكاريكاتورات، ومن خلال عرض الحالات غير الواقعية وغير المتكافئة، وقد حرّم الفقهاء كافة هذه الأمور الثلاثة المذكورة.

أقسام الكذب عند علماء الأخلاق:

إن ما يبحث عنه الفقهاء هو الكذب في القول والإشارة والكتابة. أما علماء الأخلاق فقد قسَّموا الكذب ستة أقسام هي:

١ـ الكذب في القول.

٢ـ الكذب في النيَّة.

٣ـ الكذب في اتّخاذ القرار والعزم.

٤ـ الكذب في الوفاء بالعزم.

٥ـ الكذب في الأعمال.

٦ـ الكذب في المقامات الدِّينية، وهو من بحوث المعرفة والبحوث العرفانية.

١ـ الكذب في القول:

سبق القول: إنَّه عندما يخبر الإنسان خبراً مخالفاً للواقع والحقيقة، يكون قد ابتلي بحالة «الكذب في القول»، فربما يتجه الإنسان أحياناً إلى الكذب في مواقع خاصة ومحدّدة، أو يقول كلاماً مطابقاً للحقيقة والواقع أحياناً أخرى، وقد تصدر أخبارُ مخالفة للواقع في حالة ثالثة تتمثَّل في القول أو الكتابة أو الفعل، فيتجسَّد هذا الكذب عنده على شكل «عادة»[1].

وفي هذه الحالة، يبتلى هذا الفرد بمرض الكذب. ويكون الكذب والأخبار المناقضة للواقع، في هذه المرحلة، عبارة عن أساليب ووسائل سهلة ودعايات رخيصة، تجعل من هذا الفرد شخصاً لا يستحيي ولا يخجل مما صدر منه من أسلوب وتعامل سيّئ ومذموم.

إنّ من ابتلي بعيب الكذب، فإن قلمه ولسانه وتعامله تتركّز على هذا المحور، وهو محور الكذب.

أما من لم يكن لهم الكذب «عادة»، في وجودهم وتصرفاتهم وأفعالهم، بل كذبوا في مواطن خاصة، جرّاء ضغوط وحالات اضطرارية فرضتها عليهم طبيعة تلك

---

١. العادة: هي تجسيد الاخلاق و التعامل في روح الانسان.

المرحلة، فإنَّ أسس كذبهم وجذوره ، وإن كانت قد عدّت جزءاً من الرذائل النفسانية، قد تحولّت في وجودهم إلى نوع من الإحساس والشعور بالأذى، ولحسن الحظ لم يبتلوا بصفة الكذب.

لقد ذمَّت الروايات والأخبار كلا الوجهين.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"لا شيمة أقبح من الكذب"[1].

وعنه عليه السلام أيضاً أنَّه قال:

"شرّ الأخلاق الكذب، وشرّ الشيم الكذب، وأقبح الخلائق الكذب"[2].

وعنه عليه السلام أيضاً أنَّه قال:

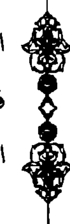
"ليس الكذب من خلائق الإسلام"[3].

إنَّ من يدَّعي لنفسه ارتباطاً معنوياً بالإسلام ومبادئه السامية وقيمه المثالية، ويرى أنه مسلم، فلن يصاب أبداً بداء الكذب المذموم، وذلك بسبب حالات العناد والتضاد القائمة بين الروح المعنوية وصفة الكذب.

روي عنه عليه السلام أنَّه قال:"الكذب مجانبة الإيمان"[4].

وتتحدث هذه الرواية عن الكذب في حالة التعامل والفعل، أمَّا الرِّوايات المتقدِّمة فهي تتحدَّث عن الكذب في كيفية الأسلوب والتخلُّق به.

وبناءً على هذا، فإن الكذب، وإن كانت له علاقة بحالات التطبّع والأخذ بالرذائل النفسانية أو التخلّق بها، يتحوّل بعد ذلك إلى خلق وعادات طبيعية واعتيادية يومية، فيكون أقبح صفة في وجوده، وهذه الصفة، أو الحالة المتواجدة، لا تنسجم مع البعد المعنوي الموجود في الإنسان.



١. الآمدي: غررالحكم، ص ٢٢٠، ح ٤٣٨٣.
٢. المصدر نفسه، ح ٤٣٧٣و ٤٣٧٥، و ٤٣٦٦.
٣. المصدر نفسه، ح ٤٣٧٩.
٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٢- الكذب في النيَّة:

قد ينوي الإنسان، أحياناً، القيام بعمل صالح من الطَّاعات والعبادات أو أعمال الخير والبرّ، إلا أن نيته لأداء هذا العمل، لا يعلمها إلا الله وحده، بل إن لعزمه وإرادته جذوراً تمتد وتنتشر في دعواته ومطالباته الوجدانية والنفسية وغير الإلهية.

وبعبارة أخرى: إن كان، في نيته ورغبته، أمر آخر هو غير طاعة الله عز وجل، يسمى عمله بـ«بالكذب في النيّة». ومما يلفت النظر إليه، هنا، هو: إن لبحث «الرِّياء» علاقة وارتباطاً بهذا الموضوع أيضاً.

ففي مقولة «الرِّياء»: يكون قصد تدخل إرادة هي غير رضا الله في نية الفرد، وقصده هو القيام بالعمل الصالح، وهذا يقع في الجهة المقابلة للإخلاص في النية.

ومن هنا يعدّ الرِّياء» من فروع «الكذب في النية»، فالرِّياء هو إشراك إنسان آخر في النيَّة وقصد العبادة، بمعنى قيام الإنسان بعمل ما لجذب أنظار الآخرين، وهكذا فإنَّ «الكذب في النية» هو إدخال كل شيء من دون الله في نية العبادة، كمن صام للتقليل من وزنه مثلاً، ويظن أنه عبد لله، فقد حقّق رغبته الأخرى أيضاً. و«الكذب في النية» له معنى أوسع من الرياء، فاذا ابتلي الإنسان بقضية ما، بحيث يدخل في نيته وغرضه لفعل الخير كلاً من الرغبات والمطالبات النفسية، فيكون حينئذ قد ابتلي بـ«الكذب في النية».

٣- الكذب في اتخاذ القرار والعزم:



قد يتَّخذ الإنسان، أحياناً، قرارات حاسمة في عمل الخير، من الطاعات والعبادات للتقربّ إلى الله عز وجل، ولكنَّه يتهاون في اتخاذ القرار الحاسم، بسبب وجود خلل ما في منظومته الفعلية، فلا يكون بهذا صادقاً. و ليس منشأ هذا التزلزل والتَّردُّد سوى تلك الرغبات والمطالبات النفسية، وفي هذه الحالة يكون قد أصيب بحالة تدعى «الكذب في العزم والإرادة».

ويتنافى هذا الضَّعف والوهن الحاصلان لدى الإنسان مع دعواه في اتخاذ قراراته الحاسمة في هذه المجالات.

وبهذا، فهو غير صادق في عزمه وإرادته، ومهما بلغ مقدار هذا الضعف والوهن،

فهو كاذب بهذا المقدار نفسه، وكما سبق ذكره في ما تقدم من هذا القسم، لم تكن النوايا صادقة، فهنا كذلك لم يكن هذا القرار، أو العزم صادق أيضاً.

٤- الكذب في الوفاء بالعزم:

قد تنفّذ بعض أعمال الخير في زمن خاص وظروف وشروط محدَّدة، كأداء مناسك الحج التي هي من الواجبات، وينبغي أداؤها في وقت محدد، بعد توافر شروط خاصة، كالاستطاعة المالية، أو الصيام الواجب، فهو من العبادات والواجبات الإلهية والفرائض التي يتوقف أداؤها على حصول بعض الشروط الخاصة والمحددة، فيمارس الإنسان هذه الأعمال من الخير أحياناً قبل إكمال شروطها، ويتخذ قراراً في أدائها، ويكون جاداً ومستقيماً في اتخاذه هذا القرار، بمعنى أن لا يكون الكذب في نيته وعزمه، ولكن بمجرد حصول تلك الشروط كحصول الاستطاعة، ووصول زمن الوفاء بالقرارات والالتزامات التي تعهدها على نفسه، فإن الرغبات وهوى النفس، تهجم عليه من كل جانب، ومن كل حدب وصوب، فتتغلب عليه وتنتصر، وما ينبغي عليه سوى أن يدير ظهره لكافة ما التزم به من قرارات سابقة، ووعود وعهود كان قد قطعها على نفسه، فيسحقها بقدميه، ولا يلتزم بتطبيقها، ويولّي عنها، فيبتلى حينئذ بـ«الكذب في الوفاء بالعزم وصنع القرار»، ولا يكون صادقاً في ذلك.

٥- الكذب في العمل:

ومعناه أن الإنسان يتّخذ لنفسه أسلوباً وطابعاً خاصّين ومعيَّنين في الظاهر، ويدلاَّن على وجود صفة وحالة خاصَّتين في باطنه، فإذا لم يتميَّز بهما، فإن عدم الانسجام والدعم يمثِّل حالة ظاهرة بالصفة الداخلية، وقد سمي هذا بـ«الكذب في العمل». فالوقار والسكينة مثلاً هما من العادات الداخلية الجميلة، و الصفات الإنسانية الحميدة الممدوحة جداً، فإذا لم يتميَّز الإنسان ويتحلى بهما، فسيتخذ لنفسه أنموذجاً، أو طابعاً إنسانياً متماسكاً وموقّراً، ويكون قد أصيب بحالة «الكذب في العمل»، لأن ظاهره في التعامل لا يتناسب مع باطنه في السلوك.

والأنموذج الآخر هو الإنسان في حال الصلاة، فإنه يتجلى في الظاهر وعليه سيماء المتّقين من خشوع وخضوع لله عز وجل، فيبدو كأنه غارق في عظمة الله وجبروته،



ولكنه يكون غافلاً عنه في الباطن، وهذا من علامات ابتلائه بـ«الكـذب فـي العمـل» أيضاً.

وينبغي التدقيق، من دون شـك، بـأن «الكـذب فـي العمـل» أو «الريـاء» يختلـف عـن «الكذب في النية». «فالرياء» يظهر في إشراك غير الله في نية عمله الـصالح، فهـو عنـدما يريد أن يُظهر أسلوبه وعمله الصالح للآخرين، فإنه يقوم بفعل هذا العمل، ويكون الكـذب في العمل فقط بـسبب عدم التعاون والتفاعل بين العمل الظاهر والباطن، سواء كـان الهـدف هو الإظهار للغير، أم لم يكن كذلک. فكثيراً ما ترى الـشخص يظهـر الخـضوع والخـشوع في صلاته، والحال أن لا صلة لذلک بباطنه أبداً، أو تراه يتحلـى أو يتظـاهر فـي وحدتـه بصفة هي مفقودة في باطنه وضميره. فالخضوع في العمل له ارتبـاط مباشـر وصـلة وثيقـة دائماً بالخشوع الباطني، وبما أن أعماله لا تتفق مع باطنه، فإنه يصاب بالكذب فـي العمـل، أما إذا كان له هدف في عرض هذا العمل على الآخرين، فإنه يصاب بالكذب في النية.

٦- الكذب في مقامات الدِّين والسُّلوک:

قد يحصل هذا النَّوع من التصوُّر للانسـان في سيره وحركته إلـى الله، وذلـک مـن خلال المراتب المعنوية والمقامـات الدينيـة، كالإيمـان والتقـوى والتوكـل والرضـا، والتسليم والخوف والرجاء، ويتمثَّل ذلک في أن يحصل الإنسان علـى هـذه المراتـب والمقامات ظاهراً، ولكن واقع الحال هو غير ذلک، لأن لكلّ من هذه المقامات أسساً وثوابت وحقيقة ونهاية، يصعب الوصول إليها وتحقيقها، فيتصور بعض الأفراد أنفسهم في مثل هذه المقامات[1]، مثل: عدم وجود حقيقـة فـي الإنـسان[1]، ولا تـشاهد لوازمـه



١. يحكي العطار النيسـابوري، في منطق الطير، قصة عاشق كان نائماً، فخاطبه المعشوق: إنک إن كنت عاشـقاً فلمـاذا تنـام؟ فـأي مفهوم للنوم في عيني العاشق؟، فقال:

غطّ العاشق من فرط عشقه في نومه، واستلقى على الأرض فجعلها فراشاً له، فوقف المعشوق عند رأسـه، فـرآه يغـط في نـوم عميق، فوجد رقعة وكتب عليها، وعلّقها على عضد عاشقه، فلما استيقظ العاشق من نومه، قـرأ هـذه الرقعـة، وسـرى الـدم فـي عروقه، واحمر وجهه، وقد كتب فيها: أيّها الرجل الصامت الهادئ، انهض واسمع، فإن كنت تاجراً، فاسمع، وإن كنـت زاهـداً، فاستيقظ، وأحيي ليلتک، وإن كنـت عابداً، فلتكن عبداً له، وإن كنت عاشقاً، فاستح واخجل، فما معنـى النـوم وطعمـه وأنـت عاشق؟! فكن عاشقاً واطو صفحة يومک، واطو الليل كله واستضئ بضوء الشمع، فأنت لا من هذا ولا هـذا، ولا تـدع لنفسـک شيئاً، فأنت كاذب في هذا العشق، فإذا صمت العاشق، فلا ينفع عاشقه الا الكفن، ولا يضر إلا نفسـه، وإذا جهلـت بـأمر هـذا

وآثاره في وجوده، أما هـو فيتـصور نفـسه «مرعوبـاً وخائفـاً»، ولهـذا، فهـو مـصاب بالكذب.

إن منشأ الخوف والقلق ودواعيهما، لدى الإنسان هو نتيجـة افتقـاد الإيمـان، فـإذا وجد الايمان، زال الخوف والقلق عن الإنسان، وحقيقة الخوف والقلق أنَّهما نـوع مـن الأمراض الباطنيَّة والرُّوحية، تتأجج في أعماق الإنسان، ثم تطـيح بـه أخيـراً وتـودي

→

العشق، فنم هانئا رغداً، وليطب نومک يا من هو ليس أهلاً لذلک.

و رأى سعدي الشيرازي، في ديوان أشعاره، أن النظرة التوحيديه في المحبة والجهل عن الاغيـار، وعـدم الخـوف والقلـق مـن الأخطار، هي من نتائج وثمار العشق والمحبة الى الله سبحانه، فيخاطب السـائرين الـسالكين في وادي المحبة قائلاً:

قال: عندي خبر عن حقيقة العشق، و هو كاذب إن أخبر عن ذلک من نفسـه، فإذا انظر إلى كلا العالمين، فليكن عليـه حرامـاً، إن كان ذلک عن صفاء الباطن. وتختص نظرته بواحد منهما، فمن يقدر على مواجهة الأسد، فلا يسلّ سيفه من الخلـف، كـلا، لأن العاشق هو من يفكر بالمجازفة والمخاطرة، ولو صوّرت الجنة، فالعارف لا يرفع بـصره ولا يقـع نظـره إلا علـى الـصديق، وليكن إلقاء النظرة على وجهک حراماً، فهناک من هو غيرک في هذا العالم.

١. ذكر عطار النيشابوري في منطق الطير: حكاية العاشق لمعشوقة في عالم الرؤيا يقول:

عاشقی ازفرط عشق آشفته بود* بر سر خاکی بزاری خفته بود

رفت معشوقش به بالینش فراز * دید او را خفته وز خود رفته باز

رقعه ای بنبشت چست و لایق او* بست آن بر آستین عاشق او

عاشقش از خواب چون بیدار شد * رقعه برخواند و برو خون بار شد

این نوشته بود کای مرد خموش * خیز اگر بازارگانی سیم گوش

ور تو مرد زاهدی، شب زنده باش * بندگی کن تا به روز و بنده باش

ور تو هستی مرد عاشق، شرم دار * خواب را با دیده عاشق چه کار

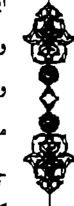
مرد عاشق باد پیماید به روز * شب همه مهتاب پیماید ز سوز

چون نه اینی نه آن، ای بی فروغ * می مزن در عشق ما لاف دروغ

گر بخفتند عاشقی جز در کفن * عاشقش گویم، ولی بر خویشتن

- چون تو در عشق از سر جهل آمدی * خواب خویش بادت که نااهل آمدی

وقال سعدي الشيرازي في ديوان أشعاره:



که گفت من خبری دارم از حقیقت عشق دروغ گفت گر از خویشتن خبر دارد

اگر نظر به دو عالم کند حرامش باد * که از صفای درون با یکی نظر دارد.

گر از مقابله شیر آید از عقب شمشیر * نه عاشق است که اندیشه از خطر دارد.

وگر بهشت مصور کنند عارف را * به غیر از دوست نشاید که دیده بر دارد.

نظر به روی تو انداختن حرامش باد * که جز تو در همه عالم کسی دگر دارد.

بحياته.

فإذا ظهرت هذه الحقيقة من عمق كيان الإنسان وباطنه، فستظهر نتائج هذه الأمراض على الروح أيضاً، وتثير موجة اضطراب في تسلسل الأفكار المتصلة عند ظهور القلق والخوف، وتعدّ هذه الأعراض جزءاً من تلك الآثار، ما يؤدي أخيراً إلى الدخول في مرحلة العمل، فترتعش فرائص أجسام أولياء الله مثلاً عند إقامة الصلاة، ويتغيّر لون وجه الإمام الحسن عليه السلام عند الوضوء خوفاً ورهبة من الله.

وقد تؤدي آثار هذا القلق والخوف إلى حالة من العصيان ورفض الطاعة والأوامر والانصياع لله، ومن ثمّ يتبع ذلك اجتناب الذنوب والامتناع عن المعصية أو الضياع.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"إياكم والكذب، فإن كل راج طالب، وكل خائف هارب"[1].

وإذا استشعر الإنسان الخوف والقلق، فستحصل في نفسه رغبة في الاستجابة إلى الذنوب والمعاصي، لكنه يبقى يعيش في حالات الرجاء والأمل، وهذا أحد المقامات المعنوية، التي يبتلى فيها بالكذب أيضاً.

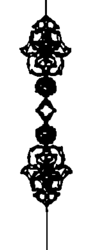
روي عن إمام المتقين علي عليه السلام أنَّه قال:

"يدّعي بزعمه أنه يرجو الله كذباً، والعظيم ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله"[2].

وهذا هو الكذب في مقام الرجاء.

ثم قال عليه السلام: "وكل راج عرف رجاؤه فيْ عمله.."

إن من كان من أهل «الرجاء»، فلا يترك واجباته أبداً، ولا يتعلق قلبه بالآخرين في الطلب، ولكن يمكن مشاهدة: أن الحذر والخوف من الله عز وجل والأمل به غير متأصل وقوي في البشر، إلا أن المخاوف المادية والبشرية قوية وثابتة في محلّها.



روي عنه عليه السلام أنَّه قال:

«يرجو الله في الكبير، و يرجو العباد في الصغير"[3].

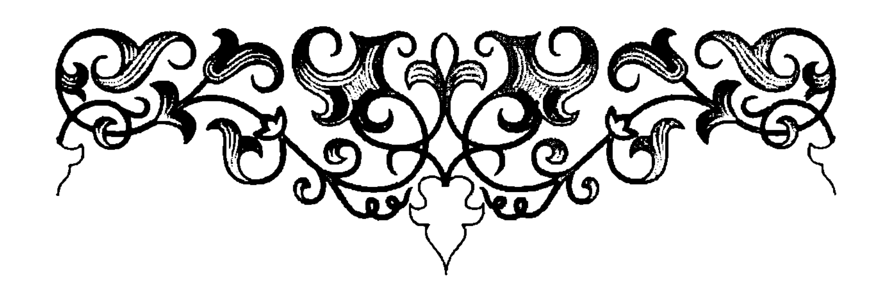
وهذه هي، نفسها، مرتبة الكذب في مقامات الدين التي ابتلي بها الإنسان.

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٢٣، ح ٢١.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢١٨، ح ٢٠٣١٨.

٣. صبحي الصالح: شرح نهج البلاغة، ص ٢٢٥، الخطبة، ١٦٠.



(٣)
ذمّ الكذب شرعاً وعقلاً

يشعر كل إنسان يُكذب عليه بعدم الارتياح والرضا، و يحسّ بالانزعاج الشديد والكراهية، وهذا أوضح دليل على أن الطبيعة، أو الغريزة البشرية تكره هذا الفعل وتبغضه، فتعمل على اجتنابه، والابتعاد عنه، وذلك لأن الطبيعة البشرية، أو الفطرة الإنسانية لا تتلاءم مع طبيعة الكذب، وتبدي من نفسها انزعاجاً ونوعاً من التحدّي والمقاومة لهذا الفعل، الذى تطلق عليه تسمية «القبح العقلي».

روي عن موسى بن جعفر عليه السلام، في خطابه لهشام أنَّه قال له: "يا هشام، العقل لا يكذب، وإن كان فيه هواه"[١].

وللكذب نتائج كثيرة عدّها العقل من القبائح المذمومة، ومن جملتها: الإغراء بالجهل مثلاً، «كوضع الشخص في الجهة المخالفة للحقيقة والواقع تماماً».

ومن نتائجه أيضاً: عدّ هذا الفعل نوعاً من الخيانة.

ولهذا السبب، يستقبح العقل هذا النوع من التصرف، ويبرأ منه.

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٨٨، ح ١٠٢٩٦.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المضمار أنَّه قال:

"الكذب مهانة وخيانة"[1].

وقد ذمّ الكذب في كثير من الآيات القرآنية أيضاً.

قال الله تعالى: {**إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله**}[2].

وقال الله عزّ وجل: {**إن الله لايهدي من هو كاذب كفّار**}[3].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في مقارنة قبح الكذب بالقبائح الأخرى:

"إن الله عزّ وجل جعل للشرّ أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب"[4].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين زوّجني فاطمة عليها السلام فقال:

"إياک والكذب، فإنه يسوّد الوجه، وعليک بالصدق، فإنه مبارک والكذب شؤم"[5].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"اجتنبوا الكذب، وإن رأيتم فيه النجاة، فإن فيه الهلكة"[6].

وتشير الآيات والروايات بوضوح إلى أن الكذب مذموم عقلاً، وحرام ومذموم شرعاً.

فالكذب، في اعتقاد الفقهاء، قبيح ومذموم عقلاً وشرعاً، وقد ثبتت حرمته بالأدلة الأربعة، أي: القرآن والسنّة - أي سنة المعصومين عليهم السلام -، والإجماع والعقل.

واعتقد أكثر الفقهاء بأن حرمة الكذب بلغت مرتبة من الوضوح جعلتها تعدُّ من «ضروريات»[7] الدين، ولا حاجة فيها إلى دليل. فكما أن وجوب الصلاة والصيام يعدّ من ضروريات الدين، فقد عدّت حرمة الكذب من ضروريات الدين أيضاً، ولا ريب في



---

١. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢٠، ح٤٣٩٤.

٢. النحل (١٦): ١٠٥.

٣. الزمر (٣٩): ٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المحدّث النوري: مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٨٨، ح ١٠٢٩٨.

٦. المصدر نفسه، ح ١٠٣٠١.

٧. الأمور البديهية، لا حاجة لها الى دليل و برهان.

ذلک.

ويرتبط حكم الحرمة، في تقسيم علماء الأخـلاق طبعـاً، بـبعض أقـسام الكـذب فحسب، أمَّا بعض تلك الأقسام الآخر، فـلا يعـدُّ حرامـاً، وإن عـدَّت جميـع أقـسام الكذب حراماً في تقسيم الفقهاء.

إن المحور الأصلي، في هذا البحث هو دراسات أخلاقية، لذا تنبغـي الإشـارة إلـى بعض النقاط المهمة الآتية، وهي:

ألف: الكذب من دون سامع:

سبق أن ذكرنا أن الكذب هو بثّ الخبر المخـالف للواقـع والحقيقـة، فلـو كـذب شخص سرّاً ولوحده دون أن يسمعه أحد، أو كـان الحاضـر عنـده أصـمّ أو أخـرس، عاجزاً عن سماع كلامه، أو كان عاجزاً عن النطق و الكلام، فقد عدّ كاذباً.

لقد قيّدت هذه الحرمة في الكذب عند الإخبار، أما فـي الوقـت الحاضـر، وعنـد افتقاد السامع، فليس هناک أي طابع من الإخبار، ورأي الفقهاء هنا هو: أنه لم يرتكب حراماً في هذه الحالة، ولكنه في بعده الأخلاقي قد ارتكب حرامـاً، بـسبب اسـتهانته بالقيم الأخلاقية والإنسانية الرفيعة، وإشاعته للفساد.

ب ـ الإخبار عن أمور غير قطعية:

وتتعلق أهم قضايا هذا النَّوع من الكلام بالإخبار عن الأمور المشكوک فيها، فـإذا جهل إنسان أمراً ما، وأخبر عنه، يكون قد ارتكب خطأً وعمـلاً غيـر صـحيح شـرعاً وعقلاً، لأن هذا الحكم مطابقٌ للواقع، فلا تنتج عنه أي مشكلة[1]. أما إذا خالف الواقـع والحقيقة، فقد ارتكب حراماً، واستحق عليه العقوبة.



وفى ضوء هذا، فلو اعتقد الإنسان، عقلاً، بأن أحد «الاحتمالين فـي هـذا الإخبـار حرام»، فلا يكون ذلک جائزاً، بدليل «لزوم دفع الضرر المحتمل»[2]. فلو كـان هنـاک مثلاً آنيتان، وضع في إحداهما سمّاً قاتلاً، ووضع فى الأخرى ماءً عذباً، وهو لا يـدري

١. يذمه العقل عليه في الظاهر، بدليل عدم رعاية الاحتياط.

٢. لزوم دفع الضرر المحتمل هو من أحكام العقل العملي لدى البشر، فإنه يصده عن الصيام بعمل يحتمل الضرر عليه.

بأي تلك الآنيتين الماء والسم القاتل!، فعقله يحكم بلزوم اجتنابهما، وإراقة مائهما معاً، هذا هو في البعد العقلي.

أما في البعد الشرعي، فهناك الكثير من الروايات والنصوص في هذا الصدد، نشير إلى بعض منها:

روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنَّه قال:

"ليس لك أن تتكلم بما شئت، لأن الله يقول: {**ولا تقف ما ليس لك به علم**}"[1].

وروي عن هشام بن سالم أنَّه قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام:

"ما حقُّ الله على عباده ؟.

فقال عليه السلام:

أن يقولوا ما يعلمون، ويكفّوا عمّا لا يعلمون، فاذا فعلوا ذلك، فقد أدّوا إلى الله حقّه"[2].

وقال عليه السلام في رواية أخرى أيضاً:

"إذا سئل رجل منكم عما لا يعلم، فليقل: «لا أدري »، ولا يقل: «الله أعلم»، فيوقع في قلب صاحبه شكاً"[3].

وهناك روايات ونصوص عديدة أخرى في هذا المضمار لا مجال لذكرها.

و يمكن تقسيم الأمور المشكوكه فيها التي يخبر عنها الإنسان قسمين:



القسم الاول:

قضايا يعلم الإنسان حالاتها السابقة وموقعها، كما لو سافر شخص مثلاً، فسُئل صديقه: هل عاد أو لا؟ وصاحبه يعلم أنه قد سافر، ولكنه لا يعلم أنه عاد من سفره أو لا؟ فيجيب في هذه الحال: كلاّ.



---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ١٧٢، ح ٢٠٢٢٥.

٢. الكليني: الكافي، ج ١، ص ٥٠، ح ١٢.

٣. المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٣، ح ٦.

القسم الثاني:

قضايا لايعلم الإنسان بحالاتها السابقة وموقعها، كمن لا يعلم بسفر صديقه، فيعلن عن رأيه للإجابة عن السؤال فقط.

وفي كلا الحالتين، يكون جوابه للسائل غير جائز وغير أخلاقي.

وينظر بعض الفقهاء بدقة، في هذا المقام، ويرون أن الإنسان إذا لم يتأكد من صحة الخبر، فلا يجوز له بيان ذلك والحكم بشيء ما، وإنما يسمع له ذلك فيما إذا تيقن بصحته.

وهم يعتقدون أيضاً بأن الصدق في القول واجب، وهذا ليس بمعنى أن يفرض على الإنسان أن يقول الصدق في كل موضوع، بل إنه إذا أراد القول به، فعليه أن ينطق بالصدق والقول الحق.

هل الكذب من الذنوب الكبيرة:

وردت روايات ونصوص كثيرة عن صغر ذنب الكذب وكبره، ففي بعضها، وتحديداً في قسم عدّ الذنوب الكبيرة، عُدَّ الكذب من الذنوب الكبيرة، كما روي ذلك عن الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا عليه السلام:

أنه بعث برسالة إلى المأمون وقد عدّ فيها الذنوب الكبيرة، ومنها الكذب[1].

ولا يعدّ الفقهاء كل أقسام الكذب من الذنوب الكبيرة، بل إن بعض أقسام الكذب، كالكذب على الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين عليهم السلام، وشهادة الكذب، واليمين الكاذبة، والتهمة، هي من جملة الذنوب الكبيرة الواضحة والمسلّم بها.



روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"الكذب على الله و على رسوله و على الأوصياء عليهم السلام من الكبائر"[2].

وقال الفقهاء في باب مبطلات الصيام[3]: الكذب على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام، لا

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٢٩، ح ٢٠٦٦٠.

٢. المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٤٩، ح ١٦٢٢٤.

٣. الأعمال الموجبة لإبطال الصيام.

أنه يبطل الصيام فحسب، بل تجب فيه كفارة الجمع أيضاً[1].

وينبغي فهم أن كبر ذنب الكذب أو صغره، لا يرتبط بميزان نتائجه وخطابه العام، فربما ينتج من كذبة واحدة ذنب عظيم و مفسدة بالغة، إلا أنها لا تعدّ ذنباً ومعصية كبيرة، وعلى العكس من ذلك، فلعلّ مفسدة صغيرة تعدّ ذنباً كبيراً.

فلا أثر لميزان غير واقعية الكذب في كبر الذنب والمعصية أو صغرهما، ولكن الإصرار على الذنوب الصغيرة يحولها إلى ذنوب كبيرة.

ورأى الشيخ الأنصاري رحمه الله - وهو من كبار فقهاء الشيعة - أن عدم التوبة من الذنب، و إن لم يتكرر مرّة أخرى، هو إصرار على الذنب والمعصية، ويوجب عظم الذنب وكبره أيضا[2].

روي عن عبد الله بن الحجّاج أنّه قال:

"سألت الإمام الصادق عليه السلام: هل الكذّاب من يكذب في شيء؟

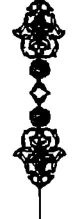
فأجاب عليه السلام: لا، ما من أحد إلا يكون ذلك منه، ولكن المطبوع على الكذب"[3].

وروي عن أبي بصير أنّه قال:

"سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول: إن العبد ليكذب حتى يكتب من الكذابين، فإذا كذب، قال الله عز وجل كذب وفجر"[4].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"ما يزال أحدكم يكذب حتى يقال: كذب وفجر"[5].



ومع العلم بأن كل ذنب ومعصية لا يوجب « الفسق » وإزالة « العدالة »، فلا تضرّ الذنوب والمعاصي الصغيرة بالعدالة.

ويستنبط من هذه الأحاديث: أن من يجبل على الكذب، يكون « فاجراً وفاسقاً ».

ويعدّ الإصرار على الكذب من الذنوب الصغيرة، وتكراره وإعادته يعدّان من

---

١. عدّ جمع من الفقهاء كل الكفارات الثلاثة مبطلة للصيام عمداً.

٢. الشيخ الأنصاري: المكاسب المحرمة، فصل الكذب.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٤٠، ح ١٢.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر نفسه، ص ٢٥٠، ح ١٦٢٢٧.

جملة الأمراض الداخلية المزمنة، التي تظهر على صفحات الروح الناصعة شيئاً فشيئاً، فتؤثر عليها تدريجياً، ويتحول الكذب إلى «عادة»[1] في باطن الإنسان وأعماق وجوده، حتى يصل به الأمر إلى أن يصعب عليه الصدق في الحديث.

إن تواجد هذه « الطبيعة الثانوية »[2] في الإنسان، تضعف فيه بعده المعنوي والنفسي، وتقضي على إيمانه، فتطيح به نهائيا، وتزيله إلى الأبد، ويحلّ الفسق والفجور في مثل هذه الحالة في نفسه بدل الإيمان والحالات المعنوية.

موارد جواز الكذب:

هل يحرَّم الكذب في كل عصر، و في كل زمان ومكان، وعلى أي حال؟ ويعدّ من المعاصي والذنوب الكبيرة؟ أو يحرَّم في بعض الموارد والحالات، ويجوز في موارد وحالات أخرى؟.

يتحدّد البحث، في هذا القسم، عن جواز بعض أقسام الكذب، ولكن السؤال هو:

أي أنواع الكذب جائز؟

أو في أي الموارد لا إشكال في الكذب؟

أعطى الفقهاء، وعلماء الأخلاق جملة من التّساؤلات، أولوية واهتماماً خاصَّين بها، ورؤى محدّدة، وتندرج هذه التساؤلات في موارد هي:

١ ـ عند الضرورة:

الضَّرورات تبيح المحظورات كما قيل، وهي من الموارد المهمة التي يجوز فيها الكذب في نظر الفقهاء،، فجواز التعامل المحظور بسبب الضرورة، لا يختصّ بالكذب وحده، فإسعاف المريض مثلاً ومعالجته المحدَّدان في استخدامه الأطعمة والأشربة المحرّمة أو المحظورة، يجعل الاستفادة منها بميزان الضرورة جائزاً، فتناول لحم ميتة الحيوان الذي لم يذبح ذبحاً شرعياً هو حرام شرعاً، لا يجوز أكله، إلاّ في حال الضرورة، كالخوف من الموت مثلاً بسبب اشتداد

١. صفحة باطنية خالدة.

٢. الطبيعة التي تختلف عن الطبيعة البشرية الأصيلة.

الجوع، أو عدم توافر أي طعام للأكل، فقد عدّ الأكل بالمقدار اللازم جائزاً.

قال الفقهاء: الضرورات تبيح المحظورات.

وتنبغي الإشارة، هنا، إلى أن الاضطرار، وإن كان يبيح المحظورات، ويزيل الحرمة، فإنّه لا يعني تغيير حقيقة الكذب المذمومة، بل يعنى استمرار «القبح العقلي» للكذب وبقاءه، ولكن الشرع والعقل يدعوان الإنسان مضطراً إلى اختيار أحد هذين الأسلوبين في التعامل عند الضرورة الملحّة، وهما: « المذموم » و « الأكثر ذمّاً».

فإذا واجه الإنسان، في تعامله، أمرين محظورين، أو كان له حق الاختيار بين «السيّئ» و«الأسوأ»، فقد أجاز الشرع والعقل اختيار «السيّئ» وترك الأسوأ، وهذا ليس بمعنى: أن السيّئ يصبح أمراً مطلوباً وحسناً، بل إن عقل الإنسان يحكم بأن «السيّئ » هو دائماً سيّئ، فيحكم باجتنابه، ولا طريق أنسب له في الاختيار سواه، أما إذا عثر على طريق للخلاص، أو على مهرب آخر من كلا الأمرين « المذموم» و «الأكثر ذماً»، فالشرع والعقل يحكمان معاً بضرورة اختياره واتباعه، واجتناب الأمرين المحظورين. وبهذا الدليل، يعدّ الكذب جائزاً لدفع الضرر شرعاً، وإن كان على الإنسان أن يلتزم بذلك ويطبّقه، وهنا يظهر بحث « التورية».

والأمر الآخر: هو أن يكون بقاء جواز الكذب مع بقاء زمن الاضطرار، وزواله بمحض زوال الضرورة، فكذلك حكم الجواز، فهو بمقدار رفع الضرورة، بمعنى أن الشخص غير قادر مع وجود الضرورة بأن يرتكب معصية الكذب كيفما يشاء؟، ومتى يريد؟، لأن الضرورات لا تجيز العبور لوطء وادي الفساد؟.

وبناءً على هذا، لا يجوز الكذب بحجة أي ضرر كان !!!.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"علامة الايمان: أن تؤثر الصدق، حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك"[1].

ولهذا، فإذا كان هناك اضطرار ودواعٍ للكذب، و ليس هناك أساليب «للتورية»، فإنه يجوز الكذب بمقدار رفع الضرر.

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٠٠، ح ١٦٢٣٩.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال:

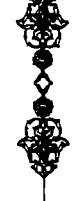
"إن الرجل ليصدق على أخيه، فيناله عنت من صدقه، فيكون كذاباً عند الله، وإن الرجل ليكذب على أخيه، يريد به نفعه، فيكون عند الله صادقاً"[1].

ويجوز كذب المسلمين عند اضطرارهم للحرب والقتال مع الكفار، فليس هناك فتوى صريحة في حرمته، كما يستفاد ذلک من بعض الروايات والنصوص الإسلامية، وهذا الكذب هو بمقدار الضرورة و الحاجة فقط، فلا إشكال في الكذب في الحرب، إذا كان ينقذ المسلمين ويخلصهم من القتل، ويؤدي بهم إلى النصر.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"كل كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلا كذباً في ثلاثة: رجل كائد في حربه، وهو موضوع عنه.."[2].

وينبغي الالتفات إلى ضرورة هذه المسألة، وهي: إن المراد بالحرب في هذه الرواية هي الحرب الساخنة والطاحنة، والقتال المباشر، والمواجهة وجهاً لوجه، وليس ما يصطلح عليه اليوم بالحرب الباردة و حرب الإعلام. و يظهر من كلمة «كيد» في الرواية، أن الكذب، هنا، هو خداع العدو بالأساليب العلمية، وليس بالخداع الكلامي والقولي، ولكن وكما سبقت الإشارة إليه: يمكن تحقق الكذب بالأسلوب الكلامي والقولي، وكذلک بالأساليب العلمية أيضاً، فالكذب بالأسلوب الكلامي والقولي هو الإخبار المخالف للحقيقة والواقع، أما الكذب بالأساليب العلمية، فهو أن يقوم الإنسان بعمل ما، ينتزع منه مفهوماً غير واقعي وغير حقيقي.



روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي عليه السلام:

"ثلاثة يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب..."[3].

فالحرب، كما ورد ذكرها في الرِّوايات والنُّصوص: هي نوع من التحايل والخديعة للإطاحة بالعدو، وهي تعتمد أساليب الخداع، وتتقوم بمحاور التضليل، وهذا ممدوح مَرضي، فحسن الأعمال أو قبحها ذاتي طبعاً، بمعنى أن ذات كل عمل أو حقيقته هي

١. المصدر نفسه، ح ١٦٢٣٨.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٤٢، ح ١٨.

٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٥٢، ح ١٦٢٣٠.

حسنة أو سيئة، جميلة أو قبيحة، ولكن هذا العمل القبيح والمرفوض ذاتاً قد يتحول أحياناً إلى حسن ومقبول، وذلك بسبب اتصافه بمواصفات وحالات خاصة، ولكن هذا لا يعني تغيير ذات الفعل، لأن الفعل بصورة «عرضية»[1] ممدوح ومقبول، كالكذب الذي له ذات مرفوضة وقبيحة، ولكنه في حال الاضطرار وبصورة عرضية، يمتلك صبغة حسنة وطابعاً مقبولاً.

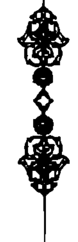
فإذا واجه الإنسان، في حياته، أمرين قبيحين ومرفوضين، مثلاً، واختار منهما عملاً أقل ضرراً وقبحاً، فإذا سئل: لماذا اخترت هذا الفعل؟

فيجيب: لأن هذا أفضل من ذاك.

وينبغي القول هنا: إنَّ لهذا الفعل صفة مذمومة ومرفوضة، ولكن الحالة الرافضة صيّرته حسناً ومقبولاً بصورة نسبية وبالعرض.

ويتضح، من هذا المثال، أنه عندما يقال: إنَّ الكذب ممدوح في ثلاثة مواطن، فهو لا يعني زوال قبحه الذاتي، بل هو بمعنى أن له حسن عرضي فقط.

ويمكن مشاهدة هذا الأمر في كثير من الأفعال الحسنة والتصرفات الممدوحة أيضاً، أي الأفعال التي لها ذوات مرضية وحسنة، فهي تكون أحياناً وبسبب حالات خاصة ومحدّدة قبيحة ومرفوضة، كالصدق مثلاً في مواقع خاصة ومحددة، لكونه يؤدي إلى نشوب النزاع، وظهور نوع من الفتنة والإثارة. وفي هذه الحال، يكون قول الصدق قبيحاً ومذموماً بصورة عرضية، وبالمصطلح المعاصر: له قبح عرضي.



روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي عليه السلام:

"ثلاثة يقبح فيهن الصدق: النميمة...."[2].

أما النميمة: فهي نقل كلام شخص لآخر يؤدي إلى نشوب الفتنة ووقوع القتال، وظهور الشحناء والعداوة والبغضاء بين الطرفين المتنازعين، فهو، وإن كان صادقاً في كلامه، ونقل قوله في ذلك، يكون قبيحاً و مذموماً، لما يؤدي إليه من التنازع والاقتتال والفتنة.

---

١. الأوصاف التي لا دخل لها في الذات وحقيقة الأشيا.

٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٥٢، ح ١٦٢٣٠.

٢ ـ الإصلاح بين المسلمين:

الأمر الثاني لجواز الكذب الذى لا يتبعه عقاب للقائل يوم القيامة، ولا يعدّ من موارد الكذب هو: «إصلاح ذات البين».

فإذا استوجب الكذبَ حلُّ النزاع والاختلاف، وإيجاد نوع من المصالحة والتآلف بين المسلمين، كان ذلك جائزاً وغير حرام شرعاً.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس"[١].

والمراد بالقسم الثالث هو: قول الكذب، لحلّ النزاع والاختلاف بين المسلمين.

إن «للكذب»، حسناً عرضيّاً، فلهذا لا يعد حراماً، وقد وافق القسم الثاني، ولم يعد كذبا، فليس هنا أي اضطرار، ولكن رابطة الأخوة الإسلامية تقتضي أن لا يعير الإنسان أهمية إلى التصدّي لمواجهة مخالفات المسلمين ونزاعهم، ويكون سبب جواز الكذب هنا هو إصلاح المجتمع.

روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) في وصيته لعلي عليه السلام أنّه قال:

"إن الله أحبّ الكذب في الصلاح، و أبغض الصدق في الفساد"[٢].

وتنبغي هنا، رعاية المقادير والموازين اللازمة لإيجاد هذا الصلاح والإصلاح، ولا ينبغي اجتياز حدوده اللازمة والمتعيّنة وتعدِّيها، لأن اجتياز الحدود اللاَّزمة يصرف الإنسان إلى استخدام صفة المراوغة والكذب، وتطبيعهما في المجتمعات.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"المصالح ليس بكذاب"[٣].



ويفهم مما سبق من الرواية: أن دواعي إصلاح المجتمعات ومقاصدها وإيجاد دعائم السلام والمصالحة بين مسلمين اثنين، لا تسمح لهما باستخدام الكُذب من دون وجود ضوابط وقواعد محدّدة وأجل معلوم، ولهذا، تنبغي مراعاة الموازين اللازمة والمشروعة.

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٦.

٢. الحر الاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٥٢، ح ١٦٢٢٩.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٢١٠، ح ٧.

٣ ـ إعطاء الوعود:

الأمر الثالث، في جواز الكذب، هو: مسألة « الوعد » أو « العهد ».

وعد الحرِّ دين كما يقال، ومن لا يفي بالوعد إما أن يكون غير قادر على الوفاء بوعده، فلا يكون في هذه الحالة كاذباً أصلاً، أو أنه كذب، بيد أن كذبه غير حرام في حال الاضطرار.

ورأى بعض الفقهاء أن الوعد هو تعهّد والتزام، وليس فيه إخبار.

وبناءً على هذا، بما أن الكذب هو إخبار عن الواقع، فلا تعدّ مخالفة مثل هذه التعهدات والالتزامات كذباً. أما إذا عُدَّ « التعهد » نوعاً من الإخبار، بمعنى: أن الوعد والإيعاد: هو إخبار عن القيام بعمل في المستقبل، وعليه أن يلتزم بهذا العهد قبل وصول زمانه المقرر، فيفي به، ففي هذه الحالة، لا يوجد هناك استثناء، ولو خالف هذا الوعد حقيقة، فهو حرام وكذب، إلا إذا كان هناك ضرورة تفرض نفسها على واقع تلك الحال، كما لو قطع شخص عهداً على نفسه، ولكنه نوى في قلبه أن لا يفي بهذا الوعد أو العهد، إلا أنه يلتزم بأدائه في ظرف خاص، فلا يعدّ فعله وقوله كذباً.

أنواع الكذب:

يمكن عرض الخبر المخالف للواقع بنماذج وأشكال مختلفة، ويمكن الإشارة إلى ذلك بما يأتي:



ألف: التورية:

التورية هى الكلام المستبطن لوجهين، ويفهم منه معنيان، أحدهما المعنى الظاهري والواضح الذي ينتقل إليه ذهن السامع بسرعة.

والآخر هو المعنى النهائي وغير الواضح، وهو مقصود القائل الأصلي، الذي لا ينتقل إليه ذهن السامع إلا بتكلُّف.

ولا يرى بعض الفقهاء «التورية » نوعاً من الكذب، واعتقد بعضهم الآخر أنَّها كذب، ولكن ليس لها حكم « حرمة الكذب ». والأمر المسلّم به والقطعي هنا هو: إذا اضطر الإنسان إلى التورية أو الكذب لإزالة الضرر عنه أو عن شخص آخر، فالتورية

هي الأفضل والأتم، فإذا كذب ولم يوار، فلا إشكال بنظر الفقهاء في فعله.

ب ـ المبالغة، الكناية، المثل و الحكاية:

المبالغة في واقعة ما هي: أن يقول مثلاً: « قلت لک مائة مرة!» وهو لم يقل إلا مرّة واحدة !، أو أقل من المائة مرّة!.

وكذلک في الكنايات: كما لو كان قصد القائل الإخبار عن الشيء، فتنسب إليه صفات « الصدق والكذب».

أما إذا كان قصده، من المبالغة أو الكناية، هو عدم الإخبار، بل بيان الكثرة فقط، أو التكرار، أو المدح، أو ذم شخص ما، فلا تعدّ تلک المبالغة أو الكناية كذباً.

إضافة إلى ذلک، يرتبط جمال الكلام مباشرة أحياناً بالكناية، وقد استخدمت هذه في القرآن الكريم، كقوله تعالى: {**واسئل القرية**}[1].

وينبغي الالتفات إلى أن المدح والثناء، والذم الفارغ والكاذب لشخص لا يستحق الإطراء، إنما هو بحث منفصل عن بحث الصدق والكذب، ولا مجال لذكره هنا في هذا البحث.

والأمثال والقصص والأساطير لها الحكم نفسه أيضاً، فلو كان مقصود القائل لبيان المثل أو سرد القصة الإخبار عن مفادهما مثلاً، بمعنى أن وقوع معنى المثل أو القصة، سيتضمن فيهما الصدق والكذب، وأما إذا قصد القائل تفهيم أمر آخر غير مفاده، بأن يحكي مثلاً عن حوار الجمادات والحيوانات بعضها مع بعض، لإلقاء بعض المعاني والقيم الأخلاقية وتفهيمها، فلا يعدّ كلّ هذا نوعاً من الكذب أو التدليس، وليس حراماً.

ج ـ الكذب بالمزاح:

المزاح والطُرفة: وهو موضوع من هذا النمط أيضاً، ولكن تنبغي الإشارة إلى هذا الأمر المهم، وهو: إذا لم يكن الإنسان قد قصد الإخبار عن الواقع، بل كان يمزح في حديثه منذ البداية، ففي هذه الحالة: إما أن توجد قرينة وشواهد على طرفته ومزاحه

---

١. يوسف (١٢): ٨٢.

في كلامه أو لا؟... فإذا توافرت القرينة على ذلک، كما لو لم يكن جاداً في تعيين وقت المجلس أو زمن إقامته، ولكن يفهم من قرائن هذا المجلس، أن المتكلم يمزح ولم يكن جاداً في ذلک، أو أن نسق كلامه يشير إلى أن المتكلم يمزح في كلامه، فلا إشكال في هذه الحالات في نظر الفقهاء.

أما لو كان قصد الإنسان من الإخبار هو المزاح أو الطرفة، ولكن لا يعثر السامعون له على أي علامة أو قرينة تدلُّ على ذلک، ففي هذه الحالة، لا يخلو حديثه من الناحية الفقهية من إشكال، إلا إذا كان خبر الشخص يصل إلى حدّ يخالف الواقع والحقيقة، حيث يتبين كل سامع منه ذلک بوضوح، ويعرف أن المتكلم يمزح في ذلک، كما لو وصف النار بالبرودة، والثلج والجليد بالحرارة والانصهار. فلو أراد الإنسان أن يعرض خبراً غير حقيقي وغير واقعي على أنه خبر واقعي وحقيقي، فسياق كلامه وقوالب حديثه، وإن كان يفهم منها المزاح وعدم الجدّ، أنه ارتكب حراماً.

وهناک روايات ونصوص عديدة تمنع الإنسان عن الكذب حتى في حال المزاح أيضاً.

فحصيلة هذه الأخبار والرِّوايات الموجودة عن الكذب هي: بيان الموضوع الأخلاقي في هذا الأسلوب من التعامل المذموم، وهذا هو:

إنّ الكذب يؤثر على روح الإنسان وتفكيره، ولو كان في حالة الجواز، فإن له تأثيراً سيئاً وغير مطلوب أيضاً، لكونه يسهّل انتشار عملية الفساد والانحطاط الخلقي في سلوک الإنسان وطريقة تعامله.

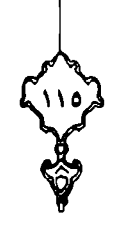
روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال:

"اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير في كل جدّ وهزل"[1].

فالإنسان الذي يكذب الكذبة الصغيرة يتجرأ على الكذبة الكبيرة، ويستعدّ، عندما يكذب في الهزل اليسير، للانطلاق باتجاه الكذب في الجدّ الكبير أيضاً.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"لا يجد عبد طعم الإيمان حتى ينزل الكذب هزله وجدّه"[1].



---

١. الكليني: الكافي: ج ٢، ص ٣٣٨، ح ٢.

لا يشير هذا الحديث بصراحة إلى حرمة الكذب في الهزل، بل هو بيان لخطاب الكذب المذموم، الذي يسيطر على روح الإنسان وعواطفه ومشاعره.

روي عنه عليه السلام أنَّه قال:

"لا يصلح من الكذب جدّ وهزل... إن الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي إلى النار"[2].

وروي عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"يا أبا ذر، ويل للذي يحدّث، فيكذّب ليضحك به القوم، ويل له، ويل له، ويل له"[3].

وقال(صلى الله عليه وآله):

"أنا زعيم بيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى الجنة، لمن ترك المراء، وإن كان محقاً، ولمن ترك الكذب، وإن كان هازلاً، ولمن حسن خلقه"[4].

ويتضح، من خلال عرض هذه الأحاديث والنُّصوص، أن الكذب في المزاح، وإن لم يكن حراماً من الناحية الشرعية يؤثر على الروح والجسم، وتأثيره هذا أمر حتمي وواضح.

لقد روي في سيرة النبي(صلى الله عليه وآله) أنه كان له دعابة في كثير من الأمور، ولكنه لم يكذب في أي حال من الأحوال قطّ، وإن كان في الهزل.

روي أن امرأة من الأنصار سألت النبي(صلى الله عليه وآله):

"ادعُ لي بالجنَّة؟

فقال لها النبي(صلى الله عليه وآله): إن الجنة لا يدخلها العجز!.

فبكت العجوز، فأجابها النبي(صلى الله عليه وآله) مسرعاً:



→

١. المصدر نفسه، ص ٣٤٠، ح ١١.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٥٠، ح ١٦٢٢٧.

٣. المصدر نفسه، ص ٢٥١، ح ١٦٢٢٨.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

ليس في الجنة عجوز!"[1].

(أي يعود الجميع شباباً ثم يدخلون الجنة).

د : الكذب في المناسبات والمجاملات:

على الإنسان أن يراقب نفسه، في أقواله وأفعاله، في المناسبات والمجاملات المعتادة أيضاً، فقد يجامل الإنسان ويجادل أحيانا في شيء.. وهو غير راض بذلك في قلبه لسبب ما مثلاً -، فعليه أن يحذر هنا من تلويث نفسه بالكذب، كالصائم الذي لا يحب أن يعرف أحد بصومه، فيكذب عند الإجابة على مجاملات الآخرين، للحدّ من الرياء. ومنعه، أو يشكل في حرمة مال المجامل وحلّيته كما هو متعارف عليه في ذلك، وبما أنه لا يريد أكل المال الحرام أو المشكوك، فإنه يتوسَّل بالكذب، ويقول: لا رغبة لي في ذلك، رغم أنه جائع جداً، ويشتهي تناول الطعام، وله ميل ورغبة مفرطة في الأكل.. فيستبدل هذا الشخص تركه هذا العمل الحرام، بارتكاب عمل حرام آخر، وهو الكذب.

وبناءً على هذا، تنبغي صيانة اللّسان وحفظه ومراقبته عند المجاملات، فهذا أمر ضروري ولازم جداً في هذه الحالة.

ولا تنبغي الاجابة في هذه الموارد بصيغة الإخبار.

ومن الأمثلة عن ذلك الأمور التي يجامل فيها الإنسان، أيضاً، في المتابعات اللازمة والضرورية جداً، كأن يجامل مثلاً بإظهار أنه غير راض بذلك!.

ويظهر، من خلال كثير من الروايات، أن كثيراً من الناس سيدخلون النار بسبب حصاد ألسنتهم. ومعنى هذا أن معاصي البشر وذنوبهم ناتجة عن ألسنتهم، فأكثر الذنوب والمعاصي التي توردهم النار هي بسبب حصاد ألسنتهم، وهي أكثر من الذنوب والمعاصي الأخرى.

هـ ـ الكذب في نقل الأقوال وسلوك الآخرين:

قد ينتشر الكذب أحياناً عبر نقل أقوال الآخرين وتعاملهم وسلوكهم، ويعبّر عن

---

١. المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١١٦، ح٢.

ذلك « بالبهتان». فالكذب على الآخرين يعني أن شخصاً لا يقول شيئاً، ولا يرتكب ذنباً، ولكن ينسب له القول والفعل، فهذا التصرف حرام، ويعدّ من الذنوب الكبيرة.

فالكذب على الله ورسوله(ﷺ) والأئمة المعصومين عليهم السلام، كما تقدّم، هو من مصاديق هذا النوع من الكذب.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"الكذب على الله وعلى رسوله(ﷺ) من الكبائر"[1].

وروي عن الرسول الأكرم(ﷺ) قوله:

"من قال علي ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار"[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام لرجل من أهل الشام:

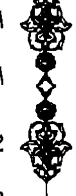
"يا أخا أهل الشام، اسمع حديثنا ولا تكذب علينا، فإنه من كذّب علينا في شيء، فقد كذب على رسول الله(ﷺ)، ومن كذب على رسول الله(ﷺ)، فقد كذب على الله"[3].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنَّه قال:

"يا أبا النعمان، لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية"[4].

إن ترجمة الآيات ونقل أقوال الأئمة عليهم السلام من دون ثقة بسندها وتأكُّد منه، هو من المصاديق البارزة لهذا القول، وهو:

إن على الإنسان مسؤولية كبرى لمراقبة هذه الظواهر ومواجهتها بكل الأساليب المتاحة والممكنة، فإذا لم يطمئن الإنسان إلى سند ذلك القول، ونسب ذلك إلى النبي(ﷺ)، أو أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام، فلا يبطل صومه، بل إن بطلان صومه يتحقق فيما إذا كان له معرفة تامة وعلم كامل وحقيقي بكونه خلاف الواقع، ثم ينسب ذلك إلى الله تعالى أو إليهم عليهم السلام.



وعلى الإنسان أن يراقب نفسه في عدم نسبة الأمور المشكوك فيها والمسائل

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٣٩، ح ٥.

٢. الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٤٩، ح ١٦٢٢٤.

٣. الكليني: الكافي، ج ٤، ص ١٨٧، ح ١.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

والقضايا التي ليست له بها معرفة تامة وكاملة.

و ـ اليمين الكاذبة:

قد يكون الإنسان، أحياناً، على علم تام وكامل بكذب أقواله، فيقسم بالله وبأيمان كاذبة على صحة ما يقول، وهو ذنب كبير، ومن المعاصي العظيمة.

روي عن عيسى بن مريم عليه السلام أنَّه قال:

"من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد: إن الله يعلم لما لا يعلم"[1].

أي يطلب شهوداً على كذبه.

وقد يكذب الإنسان، فيستشهد الله على ذلك بلغة العلم، وهذا من الذنوب الكبيرة، علاوة على أنه يعدّ من أقبح الأفعال، وقد يكون لهذا الاستشهاد طابع المعرفة وصبغتها، ويظهر بصورة الأيمان الكاذبة، ويعدّ هذا أيضاً من الذنوب الكبيرة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"من قال: علم الله ما لم يعلم، اهتزّ العرش إعظاماً له"[2].

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنَّه قال:

"إذا قال العبد علم الله وكان كاذباً، قال الله عز وجل: أما وجدت أحداً تكذب عليه غيري"[3].

واليمين، هنا، من سنخ الأمور الإنشائية لا الإخبارية، فإذا أقسم شخص، فهو ينشئ في الحقيقة جملة خبرية ويؤكدها. وفي ضوء هذا، لا يتصف القسم واليمين نفسه بالصدق والكذب، بل باعتبار الخبر الذي يؤكده ذلك القسم واليمين، فيتصف بالصدق أو الكذب، بمعنى أن القسم واليمين إذا كان صادقاً في تأكيد الخبر، فهو تابع لخبره، فيتصف بالصدق، ولو كان ذلك الخبر كاذباً، فالقسم واليمين يكون نوعاً من الكذب.



---

١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢٥٨.

٢. الكليني: الكافي، ج ٧، ص ٤٣٧، ح ٣.

٣. المصدر السابق، ح ٢.

أقسام الكذب في علم الفقه:

١ ـ « يمين العقد »:

لو تعهَّد الإنسان بأن يقوم بعمل ما أو تركه في المستقبل، ولم تتوافر شروط الوفاء بهذا العهد، فقد انعقد القسم واليمين، وعدّت مخالفته حراماً، ووجبت الكفَّارة.

٢ ـ « يمين المناشدة »[1]:

إذا طالب إنسان شخصاً ما ليقوم له بعمل ما، و ناشده بأن يقسم له، ليقوم بفعل ما طالبه به، فإن لم يفعل ما ناشده القيام به، فهو لم يرتكب حراماً لعدم فعله ذلك، لأنه لم يلتزم بذلک العمل، فلا تجب عليه الكفّارة.

٣ ـ « يمين التاكيد »:

وهذا النَّوع من القسم واليمين هو محل النِّزاع في هذا البحث والدراسة، ومحل نظر علماء الأخلاق أيضاً، ومفاده أن يخبر الإنسان بوقوع شيء، ويقسم يميناً ليؤكِّد وقوع ما أخبر به، ولا فرق طبعاً في أن يكون خبره قد وقع في الزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

وعلى كل حال، يتصف القسم واليمين، في هذه الحالة، بالصدق والكذب، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: يعدّ القسم أمراً إنشائياً، أي لا يتّصف بنفسه ذاتاً بالصدق والكذب، بل باعتبار الخبر المتعلق به، فيتصف بالصدق أو الكذب، ولو كان الخبر كاذباً، فالقسم كاذب وحرام أيضاً.

ولو دققنا، في كافة موارد جواز الكذب،كمواقع الاضطرار، فالأيمان الكاذبة جائزة أيضاً، فإذا تمكّن من إزالة الاضطرار إلى الكذب، و لم تكن هناك حاجة الى الأيمان الكاذبة إذن، فلا يجور له أن يحلف كاذباً، أما إذا كان لرفع الاضطرار، فلا حاجة لليمين الكاذبة أيضاً، ولا يكون القيام بذلک الفعل حراماً.

---

١. المناشدة: أي اليمين.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"احلف بالله كاذباً، ونجّ أخاك من القتل"[1].

وإذا لم يكن اضطراراً، فاليمين الكاذبة تعد من كبائر الذنوب والمعاصي.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"من حلف على يمين، وهو يعلم أنه كاذب، فقد بارز الله عز وجل"[2].

وقال عليه السلام لسدير:

"يا سدير من حلف بالله كاذباً كفر"[3].

و الكفر طبعاً نوعان هما:

١ ـ الكفر الاعتقادي.

٢ ـ الكفر العملي.

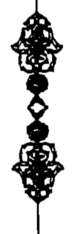
أما الكفر الاعتقادي فمعناه أن ينكر الإنسان ربه ونبيَّه والمعاد.

أما الكفر العملي فهو أن يقوم الإنسان من دون تفكير أو سابق مقدمة، بفعل حرام، فإذا استمر هذا الكفر العملي، فإنه يؤدي إلى الكفر الاعتقادي.

ويعدّ القسم الكاذب أو اليمين الكاذبة، في عداد الكفر العملي، كما روي ذلك عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في تارك الصلاة، قال:

"من ترك الصلاة متعمداً، فقد كفر"[4].

والأمر الآخر هنا هو: إنّ اليمين الكاذبة لا تختص بالقضايا والمسائل الاعتقادية والدنيوية، بل يقسم المرء أحياناً حتى في القضايا والمسائل الأخروية أيضاً، كما إذا تخيل في مرحلة ما أن ترويج الدين ونشره جائز بأي أسلوب وبأي طريقة ووسيلة ممكنة؟!.



فعلى هذا، يكون كاذباً لو ظن أنَّه يحصل على ذخيرة في الآخرة! ثم يقسم على ذلك، فهذا القسم أو اليمين حرام، ولا عاقبة له إلا النار.

وتختص كثير من الأقسام والأيمان الكاذبة بالأمور الدنيوية، كإضاعة حقوق

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٢٣، ص ٢٢٥، ح ٢٩٥٢٨.

٢. الكليني، ج ٧، ص ٤٣٥، ح ١.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٣٤، ح ٤.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

الآخرين في كسب المال والشهرة والمقام.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"وأما التي عقوبتها دخول النار، فهو أن يحلف الرجل على مال امرئ مسلم، أو على حقّه ظلماً، فهذه يمين غموس توجب النار، ولا كفارة عليه في الدنيا"[1].

وقال عليه السلام أيضاً في تفسيره اليمين الغموس التي توجب النار:

"الرجل يحلف على حقّ امرئ مسلم على حبس ماله"[2].

وقال الله تعالى في سورة آل عمران:

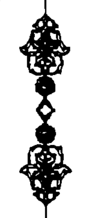
{إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب عظيم}[3].

وروي عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"ثلاثة لا يكلمهم الله المنّان: الذي لا يعطي شيئاً إلا بمنّة، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر"[4].

وعلى أي حال، إن من يقسم بأيمان كاذبة فسيتضرّر في بعدين: البعد الدنيوي والأخروي.

ولا نصيب له من المعاني الإلهية والنعم الأخروية، فلا يغفر الله له، ولا يزكّيه، وله عذاب أليم. وسيصاب بأضرار جسيمة في الدُّنيا أيضاً.



روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"اليمين الغموس ينتظر بها أربعين ليلة"[5].

وقد ورد في روايات أخرى أيضاً:

"إن اليمين الكاذبة سبب في انقطاع النسل والفقر أيضاً"[1].

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج٢٣، ص ٢١٥، ح ٢٩٤٠٠.

٢. الكليني: الكافي، ج ٧، ص ٤٣٨، ح ١.

٣. آل عمران (٣): ٧٧.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الكليني: الكافي، ج ٧، ص ٤٣٦، ح ٧.

فلو كان القسم أو اليمين صادقاً، ففي هذه الحالة، لو كان ما أقسم عليه من خبر هو موضوع مهم، كالخبر الذي يبيِّن حقيقة من الحقائق عند القاضي في المحكمة، فليس في هذا القسم أو اليمين إشكال. أما إذا كان هذا القسم أو اليمين الصادق، هو في أمور صغيرة وجزئية لا قيمة لها، فهو مكروه.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له: يا معلّم الخير، أرشدنا، فقال لهم: إن موسى كليم الله عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله تبارك وتعالى كاذبين، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين"[2].

وروي عن علي بن مهزيار قال: "كتب رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام: إن فلاناً قال عنك كذا، وأنك قلت كذا، فأجابه عليه السلام:

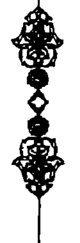
والله ما كان ذلک، وإني لأكره أن أقول: « والله » على حال من الأحوال، ولكنه غمّني أن يقال ما لم يكن"[3].

والقسم الصادق مذموم وقبيح أيضاً في بعده الأخلاقي، لأنه لا حاجة للاستشهاد بالله في القضايا الصغيرة والأمور الجزئية والدنيوية!.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من أجلّ الله أن يحلف به، أعطاه الله خيراً مما ذهب منه"[4].

وبناءً على هذا، فإن الداعي والهدف من ظهور هذه الظاهرة والنزعة في الإنسان: هو أنه يرى الله عز وجل أسمى وأجلّ من أن يذكره ويدعوه في قضايا جزئية وصغيرة تافهة هي من حطام الدنيا وشؤونها! فيقسم به لذلک.



ز ـ شهادة الزور:

شهادة الزور هي أمر لا ينفصل عن الكذب، لأن الإنسان يخبر في شهادة الزور

←

١. الصدوق: ثواب الاعمال، ص ٢٢٦ و ٢٢٧.

٢. الكليني: الكافي، ج ٥، ص ٥٤٢، ح ٧.

٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٢٣، ص ٤٣٤، ح ٢.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

بخلاف الحقيقة والواقع، ولهذا شدَّد الإسلام كثيراً على اجتناب شهادة الزور، وعدّها فعلاً محرَّماً، فشهادة الزور يستتبعها تضييع وهدر لمال الإنسان أو نفسه أو كرامته.

روي عن الرسول الاعظم(ﷺ) أنَّه قال:

"إن شهادة الزور تعادل الشرك بالله تعالى"[1].

إن الإنسان المشرك يتبع، في عبادة الأوثان والأصنام، هوى نفسه، فكذلك في شهادة الزور، فإنه يقع أسيراً لهوى نفسه وشهواته أيضاً، فيعبدها.

ولو قسّمت مخلوقات الله إلى قسمين هما:

١- الموحِّدون لله.

٢- وعبّاد الأصنام والأوثان.

فمن يشهدون شهادة الزور، ويعبدون أوثان أنفسهم وأصنامها، هم في زمرة عبّاد الأصنام والأوثان يحشرون.

قال الله تعالى في وصفه لعباده الحقيقيين:

{وعباد الرحمن... والذين لا يشهدون الزور}[2].

يتّضح من خلال الرواية والآية سالفتى الذِّكر، أن شهود الزور يخرجون من دائرة عباد الله الحقيقيين، ويكونون في قائمة عبّاد الاصنام والأوثان. ولكن ينبغي الالتفات الى أن هذه القضايا لا تدرس من منظار فقهي، بل هي بحوث ودراسات أخلاقية، وهي بحاجة الى التأمل وتدقيق النظر في ذلك، وقد أشار النبي(ﷺ) إلى ذلك بقوله: "فإنهم لعبّاد الأصنام والأوثان".

ويعني هذا أن تلك المجموعة من المسائل الفقهية المختصة والمرتبطة بالمشركين، كالنجاسة، ونفي الأحكام الظاهرية في الإسلام، لم تكن معروضة أو مطروحة على طاولة البحث والنقاش، وهي غير ثابتة لشهود الزور أيضاً.

ومن الضروري الإشارة إلى أن شهادة الزور، وقبل أن تنصبّ أضرارها على الآخرين، وتضيّع حقوقهم، فإن تخصّ وبالدرجة الأولى الشَّاهد نفسه، باعتبارها تقود

---

١. النوري: مستدرك الوسائل. ج ١٧، ص ٤١٦، ح ٢١٧١١.

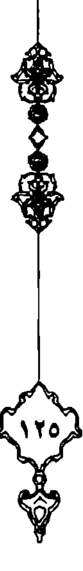
٢. الفرقان (٢٥): ٧٢.

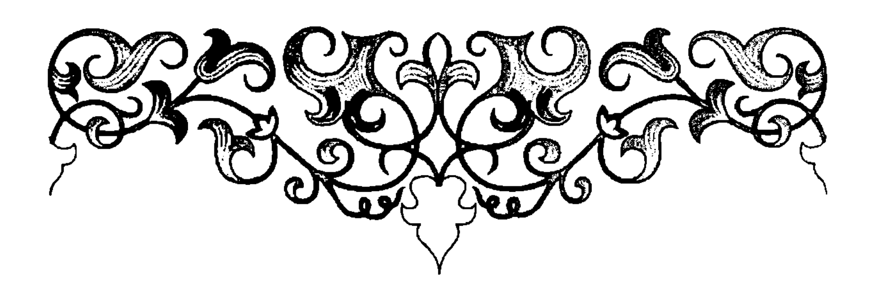
الإنسان بهذا الفعل من وادي التوحيد الى وادي الشرك والظلال.

ح: كتمان الشهادة:

إذا اطّلع الإنسان على الحقائق الكونية والظواهر الموجودة المنتشرة في العالم، سواء كان ذلک بدليل صادق أم كاذب، فابتعد عن الشهادة ولم يشهد، فإنه لم يقل كذباً، ولا يعدّ من أصناف الكاذبين.

ويختلف « كتمان الشهادة » عن « إنكار الشهادة »، ولا ارتباط لهما بالكذب، لأن الباحثين كما سبق ذكره؛ عرّفوا الكذب بكلّ ما هو مخالف للواقع، فإذا كان في «كتمان الشهادة»، فليس فيه إخبار عن شيء، ليكون كاذباً أو صادقاً، بل يجتنب عن الإخبار. وأما إذا كان في «إنكار الشهادة»، فإن الإنسان يشهد بأنّه لم يشهد الحادثة أو الواقعة، ولا علم له بأن ذلک مخالف للواقع، فيعدّ كذباً. وإذا أدى الامتناع عن الشهادة إلى ضياع حق من الحقوق، فالممتنع مذموم وعمله قبيح، ولكنه لا يعدّ كذباً.





(٤)
الجذور الدَّاخلية للكذب

للكذب، بشكله الطبيعي، جذور عميقة تتمثَّل في إحدى الصِّفات المذمومة وغير الحميدة، مثل:

١ـ العداوة:

قد يكذب الإنسان، أحياناً، لمجرّد توافر نوازع العداوة والكراهية، والرَّغبة في إيذاء الإنسان الآخر وإزعاجه، ومنشأ هذا العداء وهذه الكراهية ناتج عن الحركة غير الصحيحة والممارسات السقيمة والفاقدة للسيطرة لقوَّة الغضب.

٢ـ الحسد:

قد يبعث حسد الإنسان للآخر، بسبب تألّقه في كفاءاته العلمية واستعداده الراقي والنشط، إلى وجود صفة الكذب في الإنسان الحاسد.

٣ـ الغضب والعصبية:

وربما يكون الغضب من شيء أو شخص معين سبباً في ظهور أساليب وتصرُّفات سيئة تصدر من الإنسان.

٤ـ حبُّ مال الدنيا:

وقد تكون العلاقة والرغبة الشديدة والمفرطة والطمع في أموال الدنيا، سبباً في

ظهور مثل هذه الأساليب و الممارسات اللاأخلاقية في التعامل.

٥ـ حبُّ الجاه والمناصب الدنيوية:

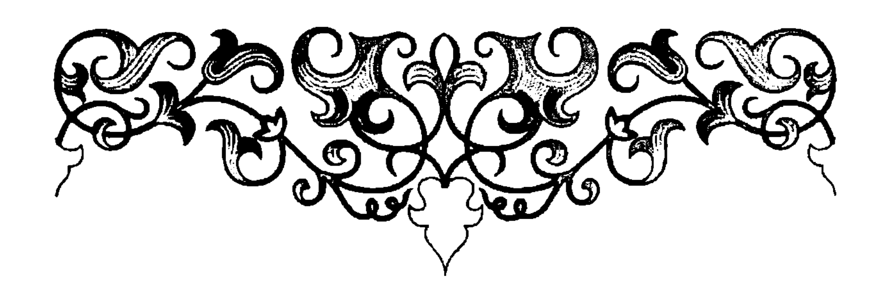
وقد يكون حبُّ الجاه والمقام الدنيوي سبباً في إظهار الكذب.

٦ـ العلاقة الدنيوية بالأشخاص:

ويمكن أن تصبح المحبة والرغبة تجاه الأولاد والأشخاص سبباً أيضاً في جرّ الإنسان إلى الكذب، فتراه يكذب مثلاً للفت نظر المحبوب، وشدّة رغبته وشوقه إليه.

وقد عدّ علماء الأخلاق بحث الكذب من جملة البحوث والدراسات التي لا ترتبط بقوَّة خاصة ومعيَّنة من القوى النفسيَّة فحسب، بل ترتبط بها كلها، فربما استمّد هذا الأسلوب المذموم والخصال غير الحميدة من كل قوَّة من القوى الداخلية، كالشهوة والغضب. فللكذب أحياناً جذور في قوى الشهوة، وأحياناً في قوى الغضب، وكل من هاتين القوتين، أي: الشهوة والغضب سبب في ظهور صفات مثل «حب المال» و«العداوة والبغضاء»، وهذه الصفات هي المصدر والقناة الرئيسية والأساسية للكذب. ويمكن الاعتقاد، عند تحليل مصادر الكذب ودراستها، بأنَّ أسوأ حالة في ذلك: هي مجالسة الأشخاص الذين لا يعدّون الكذب تعاملاً مذموماً فحسب، بل يعدّونه أمراً مشهوراً وشائعاً لدى كافّة المجتمعات في العالم. وإذا تكررت هذه الحالة في سلوك الإنسان من خلال تلك المشاركات والمجالس، فستعوّد الإنسان حينئذ على الكذب، وربما يستخدم الكذب في طلبه للرئاسة أو المحافظة عليها، أو الحصول على المال، أو يتعرض الإنسان أحياناً من دون وجود أي سبب قاهر إلى هذا الأسلوب من التعامل والتعاطي المذموم، نتيجة معاشرة الكذّابين ومجالستهم والأنس بهم.

وفي اعتقاد علماء الأخلاق: يستمّد هذا النوع جذوره من قوى الشهوة أيضاً، فتظهر حالة من التعاطي بصورة ممارسات يومية واعتيادية في سلوك هذا الفرد، وتترك معاشرة هؤلاء الأشخاص آثاراً وانطباعات كثيرة في نفس الإنسان، فهو وإن لم يلتفت لها في بداية أمره، سيجد وبمرور مراحل زمنية محددة أن لسانه من دون شعور واختيار منه قد اعتاد على الكذب، فلا ينطق إلا به.



(٥)
النَّتائج المذمومة للكذب

١ـ هدم الإيمان:

يجانب الكذب حقيقة الإيمان، فلا ينسجم معه، ويستتبعه ضعف قوى الإيمان وعراه وهدمها.

روى الحسن بن محبوب، قال:

"سألت الإمام الصادق عليه السلام: يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قلت: فيكون كذّاباً؟ قال: لا، ولا خائناً، ثم قال: يجبل المؤمن على كل طبيعة، إلا الخيانة والكذب"[1].

وليس في قلب المؤمن كذب ولاخيانة أبداً.

روي عن النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"يطبع المؤمن على كل خصلة، ولا يطبع على الكذب ولا على الخيانة"[2].

فلا يتلاءم عنصر الكذب وطبيعة الإيمان، بل يخرج الإيمان عن القلب عند الكذب.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال:

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل. ج ١٤، ص ١٣، ح ٦٦ ٩ ١٥٩.

٢. العلامة، المجلسي: بحار الانوار. ج ٧٤، ص ١٦٠، ح ١٥٠.

"إن الكذب هو خراب الإيمان"[1].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"جانبوا الكذب، فانه يجانب الإيمان"[2].

٢ ـ الحرمان من الهداية الإلهية:

ويحرم الكذب الإنسان من الهداية الإلهية.

قال الله عز وجل في القرآن الكريم:

{إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار}[3].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً:

{إن الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب}[4].

٣ـ التمهيد للكفر والنِّفاق:

يساعد الكذب، أحياناً، في ظهور نوازع الكفر والنفاق في الإنسان، فإذا فرغ قلب الكاذب وخلا من الإيمان، فسيمتدّ إليه الكفر والنفاق.

روي عن رجل دخل على النبي(صلى الله عليه وآله)، فقال:

"يا رسول الله، ما عمل أهل النار؟

فقال النبي(صلى الله عليه وآله):

ـ الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر، دخل النار"[5].



فعلى هذا، يُخرج الكذب الإيمان من قلب الإنسان، ويمهّد أرضية مناسبة ولازمة لظهور كفره العملي.

أمَّا الازدواجية بين الواقع وخبر الشخص الكاذب، فهي سبب لظهور صفة النِّفاق

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٢٩، ح ٤.

٢. الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٤٦، ح ١٦ ١٦٢.

٣. الزمر (٣٩): ٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٨٩ ح ١٠٣٠٥.

المذمومة ونموّها في قلبه. روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"الكذب؛ يؤدي إلى النفاق"[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: "ثلاث من كن فيه كان منافقاً، وإن صام وصلّى، وزعم أنه مسلم:

١ـ من إذا اؤتمن خان.

٢ـ وإذا حدّث كذب.

٣ـ وإذا وعد أخلف"[2].

قال جلال الدين الرومي ما معناه:

"لا يهدأ القلب من قول الكذب... فالماء والسمن لا يستعران بالنار"[3].

٤- تضعيف المروءة والرجولة:

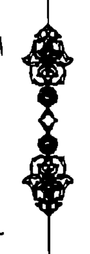
روي عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"أقلّ الناس مروءة من كان كاذباً"[4].

وإذا تعوّد الشخص على الكذب، فستزول عنه المروءة، كما روي ذلك عن علي عليه السلام أنَّه قال:

"من كذب أفسد مروءته"[5].

ولا يتحقّق جوهر المروءة إلا بالصدق والاستقامة، فصفة المروءة تهرب عن الاعوجاج وعدم الاستقامة أو الانحراف.



روي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال:

"لا يجتمع الكذب والمروءة"[6].

---

١. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢، ح ٤٤٠٨.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٢٩٠، ح ٨.

٣. المولوي، المثنوي المعنوي، الدفتر الثالث، قصة من أكل ولد الفيل... قال:

دل نيارامد ز گفتار دروغ * آب و روغن هيچ نفروزد فروغ.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢٢١، ح٤٤١٥.

٦. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٥.

٥ـ النسيان:

تتعارض أخبار الإنسان الكاذب مع الواقع، إذ ليس هناك حدّ وملاك لمخالفة الواقع، فكم من أخبار له عن واقعة وحادثة هي غير مشابهة أو مضاهية لها، بل هي على العكس منها تماماً.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"إن مما أعان الله به على الكذّابين، النسيان"[١].

٦ـ الحرمان:

ويصدّ الكذب، أحياناً، الإنسان عن الوصول إلى بعض المقامات والرتب العالية، أو القيام ببعض الأعمال الصالحة.

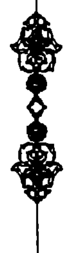
روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"الكذاب لا يكون صدّيقاً ولا شهيداً"[٢].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"إن الرجل ليكذب الكذبة، فيحرم بها صلاة الليل، فاذا حرم صلاة الليل، حرم بها الرزق"[٣].

٧ـ التقليل من القيمة الاجتماعية:



يؤدِّي الكذب الى سحب صفتي الثقة والاعتماد عن الكاذب، فلا يعتمد الناس عليه بعد معرفتهم بكذبه، ولا تكون له قيمة ولا اعتبار عندهم، لأن قيمة الإنسان في المجتمع البشري تعود إلى ثقة الناس به واعتمادهم عليه، فإذا امتلك الشخص جاهاً ورتبة اجتماعية خاصة، فهذا له قيمة ومنزلة عالية، وأما زوال هذا الاعتبار والكرامة، فمعناه هدم لقيمته ومنزلته الاجتماعية، وهو عين الكذب والدجل والنفاق، وهذا أسلوب مذموم وقبيح، سيؤدي إلى الإطاحة بشأن الإنسان والقضاء على كرامته

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٥.

٢. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٨٤، ح ١٠٢٨٠.

٣. الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج ٨، ص ١٦٠، ح ١٠٣٠٥.

ومنزلته الاجتماعية.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"الكذاب والميّت سواء، فإن فضيلة الحّي على الميت الثقة به، فاذا لم يوثق بكلامه، بطلت حياته"[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"إن عيسى ابن مريم قال: من كثر كذبه ذهب بهاؤه"[2].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذاب، فإنه يكذب حتى يجيء بالصدق، فلا يصدّق"[3].

ويستمر عدم تصديقه، ويتسع، ليصل الأمر إلى عدم استشارة الناس له في شؤونهم.

روي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"لا رأي لكاذب"[4].

٨ ـ يوجب لعنة الله والملائكة للكاذب:

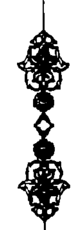
قد يصل قبح الكذب إلى أن يكون موجباً للعن الله والملائكة، ويجعل الكاذب في عداد من لعنهم الله تعالى..

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"فلعنة الله على الكاذب وإن كان مازحاً"[5].

وروي عنه عليه السلام أنَّه قال:

"المؤمن إذا كذب بغير عذر، لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن



---

١. الامدي: غرر الحكم. ص ٢٢، ح ٤٣٨٦.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٣.

٣. المصدر نفسه، ح ١٤.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣٧٢، ح ١٣٢٩٤.

حتى يبلغ العرش، فليعنه حملة العرش"[1].

٩ـ الفقر والعوز:

إذا تحول قول الكذب إلى أسلوب وتعامل ثابت وأمر عادي وطبيعي في حياة الإنسان، فسيؤدي إلى ظهور صفة الفقر والعوز والحاجة، وسلب النعمة والبركة من حياته الطبيعية.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في عدّه أسباب الفقر قوله:

"واعتياد الكذب يورث الفقر"[2].

١٠ـ العتب والنَّدم:

مصير الكذب هو العتب والندم عما صدر من الإنسان الكاذب من تجاوزات وخروقات وأخطاء، فسيعرف الناس، من قريب أو بعيد، كلّ ما يصدر عنه من تصرُّفات وأساليب مقيتة وبغيضة، وكلام صدر منه خلاف الحقيقة والواقع، وسيظهر على حقيقته.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"عاقبة الكذاب ملامة و ندامة"[3].

١١ـ ذهاب الخجل والعفّة والحياء:



إن من اعتاد الكذب، لن يعير أي أهمية للقيم والمبادئ والقيم الإنسانية السامية، ولن يحترم مشاعر الآخرين، وسيحطّم بأفعاله السيئة حاجز الحياء وستره بينه وبينهم، فيصبح إنساناً جريئاً على الله لا يستحي ولا يخجل من شيء، كما روي ذلك عن سيّد المتقين علي عليه السلام أنَّه قال:

"لا حياء لكذّاب"[4].

---

١. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٨٦ ح ١٠٢٩١.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٤٧، ح ٢٠٧٠٤.

٣. الآمدي: غرر الحكم. ص ٢٢١، ح ٤٤١٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

وللكذب أيضاً تداعيات ونتائج سلبية وقبيحة أخرى أيضاً، تودي كلها به إلى النار والعذاب الإلهي في الآخرة.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

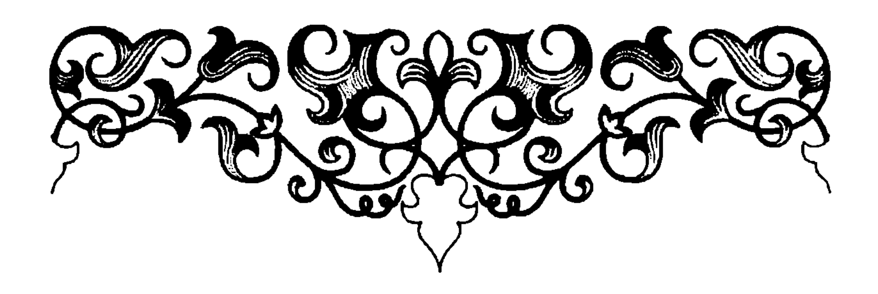
"إياكم والكذب، فإنه من الفجور، وإنهما في النار"[1].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"ثمرة الكذب المهانة في الدنيا، والعذاب في الآخرة"[2].

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٨٨ ح ١٠٣٠٢.

٢. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢٠، ح ٤٤٠٠.



(٦)
أساليب معالجة الكذب

ذكر علماء الأخلاق طريقتين لمعالجة الأمراض الخلقية في الإنسان، ومنها الكذب، وهما:

١ـ الطريقة العلميَّة.

٢ـ الطريقة العمليَّة.

فالطريقة العلميَّة هى التركيز على المعارف المؤثرة والمفيدة.

أمَّا الطريقة العمليَّة فهى التركيز على الأساليب المزيلة لهذا المرض.

قد تتلوث شخصية الإنسان، أحياناً، وبصورة مؤقتة وعفوية، بالكذب، إلا أنّه ومن خلال استعادة ذاكرته ومعرفته قبح الكذب وفساده، سيستولي ذلك التفكير بسرعة وسهولة على كيانه ونفسه، فيحدّ من هذا الأسلوب والتعامل المذموم، ويتمكّن من اجتيازه بصورة واضحة وكاملة.

وقد تظهر فيه صفة الكذب أحياناً بصورة محدّدة وخاصة، فعليه في هذه الحالة: أن يعالج هذا المرض بطريقة واضحة وباستمرار، ويستخدم كلا الأسلوبين في العلاج، وهما: الأسلوب «العلمي» و«العملي».

الطريقة العلميَّة لعلاج الكذب:

تعدُّ معرفة نتائج الكذب وآفاته، المضرّة بالإنسان، أسلوباً مؤثراً في معالجة هذا المرض الخطير والمزمن، كالحرمان من الهداية الإلهية، والعجز عن تذوّق طعم الإيمان، ،السقوط في مزالق النفاق والكفر السحيقة، والمسخ في يوم القيامة، والسقوط في نار جهنم، والبعد عن المروءة والحياء، وعدم ثقة الآخرين، والذلّ وآثار مشؤومة أخرى، وهذه الأمور جميعها نتائج مذمومة وسيئة، يفيد تذكّرها والتذكير بها دائماً في معالجة الشخص المبتلى بالكذب.

أما الغفلة عن معرفة هذه النتائج المذمومة والأساليب السيئة، فقد عُدَّت من أهم عوامل أزمة الإنسان، وأسره بها، وأكثرها خطراً عليه، وهي تزول بالذكر والتذكير والموعظة.

قال الله تعالى:

{وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين}[1].

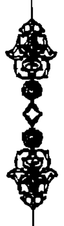
الطريقة العملية لعلاج الكذب:

أمّا الأساليب العملية لعلاج الكذب، فمن أهمها:

أن يفكّر الإنسان، قبل كل شيء، بصحَّة ما يقوله أو عدم صحَّته، ويلتفت إلى آثاره، وعواقب ما ينتج عنه.

روي عن الإمام العسكري عليه السلام أنَّه قال:

"قلب الأحمق في فمه، وفم الحكيم في قلبه"[2].



وينبغي أن يكون صدور الأمر في الكلام والنطق به نابعاً من بيت «العقل»، لا أن يتكلم الإنسان بكلام من دون تفكير، ثم يلوم نفسه على ما صدر منه من أفعال وتصرفات مشينة، فهناك من يتكلم بشيء من دون أن يحسب لذلك حسابه، فتسوقه نتائج فعله إلى الهاوية والانحطاط.

---

١. الذاريات (٥١): ٥٥.

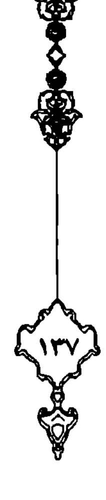
٢. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣١٢، ح ١١.

والأسلوب الآخر، في المعالجة العملية للكذب، هو: اجتناب معاشرة الكذّابين من الأصدقاء، فالكثير من حلقات السوء والقبائح: هي ناتجة عن مماشاة المفسدين من الناس ومصادقتهم. وعلى العكس من ذلک، تنبثق كثيرا من حالات الروعة والجمال الأخلاقي والخلقي بسبب مجالسة الصلحاء والمتقين.

قال الشاعر:

"جالس ابن نوح رفاق السوء * فأضاع بفعله كيان النبوّة.

وتابع الكلب أصحاب الكهف * الأتقياء فصار أمة"[1].

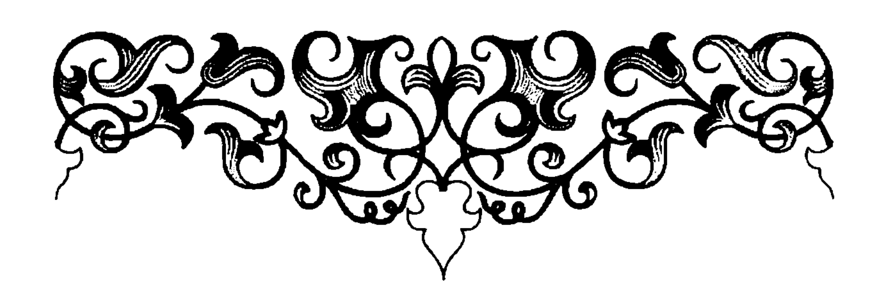


---

١. قال الشاعر:

بسر نوح با بدان نشست *خاندان نبوتش گم بشد.

سگ اصحاب كهف روزی چند * پی نيكان گرفت و مردم شد.



الفصل الثالث

البهتان

{والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً}[1].

القرآن الكريم

مقدمة:

«البهتان»: هو أحد أساليب التعامل المذمومة والسّيّئة في المجتمعات البشرية، ومن فروع الغيبة أحياناً. ويُعدّ من جملة آفات اللّسان، وكسائر الرذائل الأخلاقية، يؤدي إلى زوال المجتمعات البشرية و اندثارها.

وقد عدّ علماء الأخلاق البهتان من أسوأ أمراض اللّسان شيوعاً وانتشاراً وضرراً على الإنسان. ولهذا السبب، سيتم عرض هذا المرض المزمن وبيان حقيقته وخطورته، في هذا الفصل، ودراسة أبعاده العديدة والمتنوعة، والحثّ على ترك هذه الأمراض والابتعاد عنها.

---

١. الاحزاب (٣٣):٥٨.

وسوف يتم عرض مسائل هذا الموضوع ودراستها، في هذا الفصل، وهي:

١ـ تعريف البهتان.

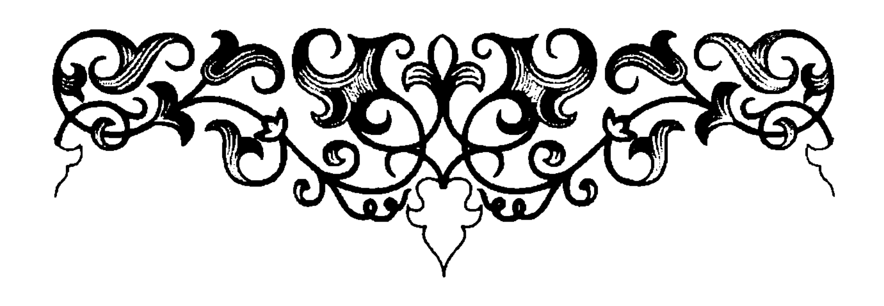
٢ـ أقسام البهتان.

٣ـ ذم البهتان شرعاً.

٤ـ الجذور الداخلية والعوامل النفسية للبهتان.

٥ـ النتائج والتداعيات المذمومة للبهتان.

٦ـ طرق معالجة البهتان وأساليبها.



(١)

تعريف البهتان

البهتان في اللُّغة والعرف:

البهتان، في اللُّغة، يعني: افتراء الكذب. جاء في المنجد: بَهت وبَهُت بَهْتاً وبَهَتاً: دَهش، سكت متحيّراً. بَهَتَ بَهْتاً وبُهْتَاناً: افترى عليه الكذب[١]. وفي العرف يعنى «نسبة الكَذب إلى الأشخاص مما يبعث على التحيّر».

وتستخدم المصطلحات الثلاثة: «البهتان» و«التُّهمة» و«الفرية» بمعنى واحد، رغم وجود الاختلاف بينها لغة واصطلاحا. فالبهتان: هو نسبة الكذب، والفرية: صناعة الكذب، والتهمة: إظهار سوء الظن.

حقيقة البهتان في علم الأخلاق:

البهتان، عند علماء الأخلاق، هو نسبة القول أو الفعل أو العمل السيِّئ والمذموم إلى شخص هو منّزه عن الإساءة والنقص.

وقد استفاضت الروايات والنصوص في بيان حقيقة هذا الأسلوب من التعامل السيِّئ والمذموم.

روي عن أبي ذر الغفاري (ره) أنّه قال:

"سألت رسول الله(ﷺ): ما الغيبة؟

---

١. المنجد، م.س.، ص ٥١.

فقال(ﷺ): ذكرك أخاك بما يكره. قلت: يا رسول الله! فإن كان فيه الذي يذكر به؟ قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه"[١].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"إن من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وإن من البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه"[٢].

وروي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال:

"ومن ذكره من خلفه بما هو فيه، مما لا يعرفه الناس، اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه، فقد بهته"[٣].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى البهتان في القرآن الكريم بقوله:

{ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً}[٤].



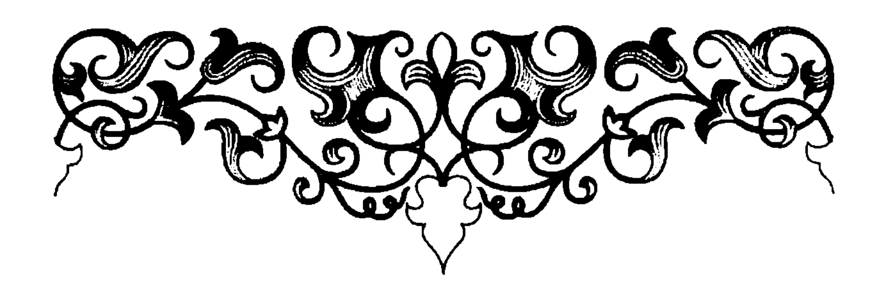
---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٠، ح ١٦٣٠٨.

٢. المصدر نفسه،ص٢٨٢،ح١٦٣١٣.

٣. الكليني:الكافي، ج٢،ص٣٥٨،ح٦.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



(٢)
أقسام البهتان

يقسم البهتان قسمين:

١ـ **البهتان غير الحضوري**، ينسب الكذب، أحياناً، إلى شخص ما في غيابه، كأن يُنسب إليه أنَّه عمل عملاً قبيحاً لم يفعله، فتمثِّل هذه النِّسبة القسم الأوّل من البهتان ويتضمَّن معصيتين من الذنوب الكبيرة هما:

١ـ الكذب ٢ـ الغيبة.

لأن ما نسب إليه هو نسبة غير واقعية وغير حقيقية، وقد ظهر ذلک في غياب الشخص أيضاً[١].

٢ـ **البهتان الحضوري** ينسب الفعل، أو الصفة النفسية القبيحة والمذمومة، أحياناً، إلى الشخص في حضوره ووجوده، فيتضمَّن هذا القسم من البهتان الكذب وحده.

يعدّ هذا القسم، من حيث مستواه ورتبته، من أشد أنواع الكذب.

أقبح أنواع البهتان:

وقد لا يرتکب أحدهم إثماً، وينسب کل ذلک الإثم إلى شخص آخر، وقد يصدر عن

---

١. استبعد العلامة المجلسي (قدس سره) اجتماع عقوبتين في البهتان غير الحضوري، وقال: وقد يقال في البهتان: إنّه غيبة وبهتان وتجتمع عليه العقوبتان، وهو بعيد (العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٢٤٦).

الشخص فعل قبيح ومذموم، أحياناً، فينسبه لغيره، ويعدّ هذا من أقبح أنواع البهتان وأسوئها.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى، وكما سلف، إلى ذلك في القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى:

{ومن يكتسب خطيئة أو إثماً ثم يرمي به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً}[1].

حال البهتان وملكته[2]:

قد يصدر البهتان، أيضاً، كأيٍّ عمل قبيح آخر من الإنسان، اعتباطاً من دون سابق مقدِّمات، ويمكن رفعه بأقلّ فطنة وتأمّل، فيصدّ عن فعله وتكراره ثانياً وبسهولة. أما إذا تكرَّر هذا الفعل نتيجة الغفلة، فسينتزع لنفسه جذوراً في حالته الاعتيادية والطبيعية أيضاً، فيكون سبباً في سعادة صاحب البهتان ورضاه، ووسيلة لإخراج المتنافسين وطردهم عن هذه المواقع الاجتماعية العامة.

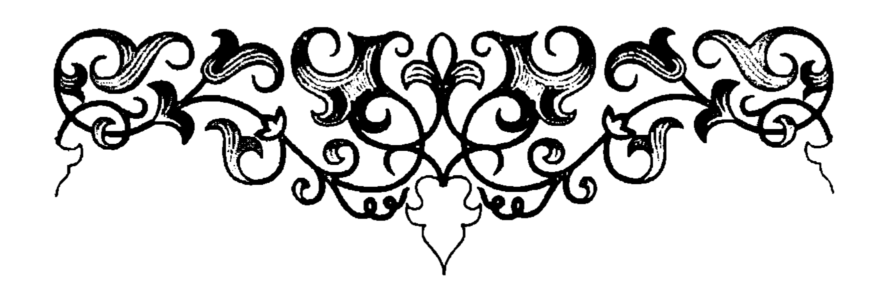
وقد يستخدم البهتان وسيلة للدعم التبليغي والدعاية الإعلامية، وهنا: يخرج هذا الشخص عن الإمرة الإلهية والولاية الربانية، ويدخل في ولاية إبليس والإمرة الشيطانية، كما روي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

"من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه و هدم مروءته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان"[3].

١. النساء (٤): ١١٢.

٢. يقال: "الحال" للصِّفات الداخلية، و"الملكة" للصِّفات الدّاخلية الخالدة.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٨، ح ١.



(٣)
ذمّ البهتان شرعاً وعقلاً

نهى الشّارع المقدّس عن البهتان كسائر آفات اللّسان، وعدّه عملاً محرّماً، يعاقب مرتكبه ويجازى بالعقاب الإلهي. وقد عدّ الله، سبحانه وتعالى، البهتان كما تقدّم في الآية المذكورة سابقاً بأنه ذنب بيّن ومعصية صريحة[١].

ووعد من بهت مؤمناً أو مؤمنة بالنار والعذاب الأليم.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"من بهت مؤمناً أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله يوم القيامة على تلّ من نار، حتى يخرج مما قال فيه"[٢].

وعرّف عليه السلام البهتان في حديث مفصّل بيّن فيه عليه السلام خصائص الفاسق وصفاته فقال:

"وأما علامة الفاسق فأربعة:

اللهو، واللغو، والعدوان، والبهتان"[٣].

وقد كان الإمام الصادق عليه السلام يدعو ربه في دعاء طويل في بدء شهر رمضان

---

١. النساء (٤): ١١٢.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٧، ح ١٦٣٢٣.

٣. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ١، ص ١٢١.

المبارك فيطلب منه المغفرة من الذنوب الكبيرة، وذكر البهتان في عداد تلك الذنوب[1].

ومن جهة أخرى، يعدّ البهتان نفسه نوعاً من الكذب، لأن فيه نسبة الكذب إلى الآخر.

فجميع هذه الموارد دليل على حرمة البهتان.

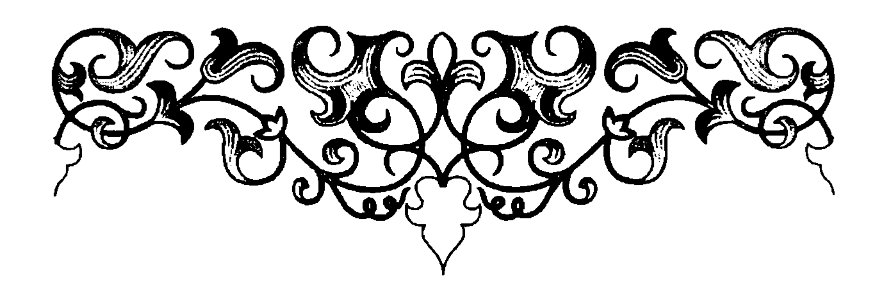
إضافة إلى هذا، عدّ البهتان من الذنوب الكبيرة. ولهذا، أوصى الإمام الصادق عليه السلام أصحابه، ومنعهم عن الكذب والبهتان، فقال:

"وإيّاكم أن تزلقوا ألسنتكم بقول الزُّور والبهتان"[2].

---

١. المصدر نفسه: ٩٤، ص ٣٢٨، ح ١.

٢. الكليني: الكافي، ج ٨، ص ٢، ح ١.



(٤)
الجذور الدَّاخلية للبهتان

البهتان: هو الثمرة المُرّة والمولود المشؤوم لتلك الصِّفات الذَّميمة المتأصلة في أعماق الإنسان. ولهذا الفعل أو الأسلوب المذموم جذور ورواسب نابعة من أعماق بعض الرذائل الأخلاقية، مثل:

١ـ العداوة والبغضاء:

ينسب الإنسان، أحياناً، أفعالاً وصفات مذمومة إلى آخر كذباً عليه، لإطفاء نار عدوانه البغيض وحسده المستعر الكامن في قلبه.

٢ـ الحسد:

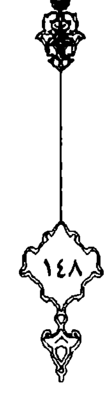
وقد يحسد الإنسان على ما يناله الآخر من كمالات معنوية ورتب علمية، فينسب له أفعالاً وصفات لم يرتكبها، بهتاناً وزيفاً ، لتشويه سمعته، وتدنيس كرامته، وتعكير صفوه.

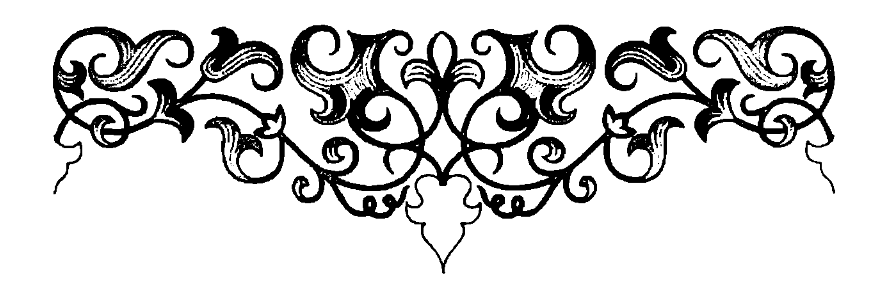
٣ـ الخوف والهروب من العقاب:

وقد ينسب الإنسان أحياناً بهتاناً إلى غيره، خوفاً من العقوبة، وذلك بسبب ما ارتكبه من أخطاء أو إساءات، أو لإزالة ما نسبه إلى غيره وافتراه عليه، فينسب له

البهتان كذباً وزوراً.

وستعطي هذه الشَّجرة الخبيثة والمتفرِّعة بالرَّذائل والمحمّلة بالبهتان، ثماراً هي أمرّ بكثير من الغيبة، لأن في الغيبة، ينسب العيب والنقص الحقيقي والواقعي الموجود في الشخص نفسه، أما في البهتان: فإن ما لم يوجد فيه، ينسب إليه!.





(٥)
النتائج المذمومة للبهتان

للبهتان نتائج وآثار مذمومة في الدنيا والآخرة، وهي تتعلَّق بفاعل البهتان، ومن جملتها:

ألف: النتائج السيئة للبهتان في الدُّنيا:

تعمُّ النتائج والآثار السِّيئة للبهتان، في الدُّنيا، الفرد والمجتمع.

١-النتائج الفردية للبهتان:

لا يأمن من بهت غيره من مكر الله وعقوبته، ولا يضمن سلامته، وسيفتضح أخيراً، وسيظهر على حقيقته وواقعه، لأن الله وعد عباده بأن يحافظ على كرامة المؤمن، وينقذه من أضرار بهتان الآخرين وممارساتهم القذرة والمنحطّة، وسيعاقبهم عليها في العاجل أو الآجل.

فقد روي عنهم عليهم السلام:

"إن من يتتبع عورات المسلمين، فضحه الله فى بيته"[١].

وسيكشف الله سيئات هذا الفرد ومساوئ أفعاله بأقصى سرعة في المجتمع، ويفتضح أمره على رؤوس الأشهاد، فتقلّ قيمته وينخفض اعتباره، ويسقط من أعين المجتمع.

---

١. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

"يا معشر من أسلم، ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنه من تتبّع عوراتهم، تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله تعالى عورته، يفضحه في بيته". (الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٤).

٢ـ النتائج الاجتماعية للبهتان:

تنتشر في البهتان بذور الحقد والعداوات الدفينة في المجتمع البشري، فتتبدل الصداقة والمحبة إلى عداوة وبغضاء، ويقضي البهتان على شعور الاعتماد الذي يعدّ محوراً لتأسيس الوحدات الصغيرة والكبيرة للشرائح الاجتماعية وبنائها[١]، ويكون النواة الحقيقية والسبب الرئيسي في القضاء عليها وهدمها. ويمكن أن تؤثر هذه الصفات المذمومة واللاأخلاقية على كافة الروابط والعلاقات في المجتمع، فيستبدل الزواج بالطلاق، و تسوء علاقة الأب والابن، وتظهر حالات حادة وشاذة تؤدي إلى وقوع الجريمة كالقتل.

ب ـ النتائج الأخروية للبهتان:

استفاضت الرِّوايات والنُّصوص في بيان آثار البهتان في العالم الأخروي:

منها: ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن النبي الأكرم(ص) أنَّه قال:

"من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله يوم القيامة على تلّ من نار، حتى يخرج مما قال فيه"[٢].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

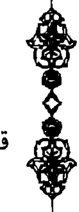
"البهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات"[٣].

فالبهتان على البرىء واتهامه ـ كما في هذه الرواية ـ ثقيل جداً، أما على من بهت ذلک، فعذابه أشدّ وأثقل، إلا أنه لا يشعر بهذا الثقل.

قال عليه السلام:

"من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه، بعثه الله في طينة خبال، حتى يخرج مما قال"[٤].

وسئل عليه السلام: ما طينة الخبال؟ فقال عليه السلام: قروح تخرج يوم القيامة من فروج الزناة[٥].




---

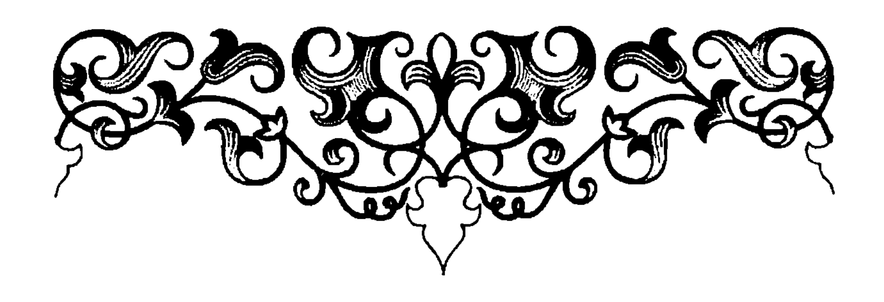
١. يتشكل المجتمع من وحدات صغيرة، وأصغرها الأسرة، ثم علاقات القرابة النسبية والسببية للعوائل والأسر، ثم المعاشرة وعلاقات الصداقة والمشاغل و... وهي تشكّل النواة الأصلية لتأسيس المجتمعات البشرية الكبرى، والكيانات الاجتماعية.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٢٨٧، ح ١٦٣٢٣.

٣. العلامة المجلسي: بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ١٩٤، ح ٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر نفسه.



(٦)
أساليب علاج البهتان

للتفكير في النتائج المذمومة والسيئة للبهتان، و التذكير المستمر بها، دور مهم أساسي في منع الإنسان من القيام بهذا الفعل المذموم والسيِّئ، والقضاء على هذه الآفة في النتيجة؛ ذلک أن البهتان ينبع من باطن النفس الإنسانية.

إن من يصاب بالبهتان عليه أن يسعى إلى تقوية نوازع التقوى، والدوافع الفردية والاجتماعية في نفسه التي تصُبّ في روافد القيم والمثل الأخلاقية العالية.

وبناءً على هذا، فهو بحاجة دائماً إلى تذكُّر عواقب مرضه المزمن، والتذكير بها، كما أنه بحاجة إلى التفكير في الأحاديث المبيّنة لأهمية كرامة المؤمنين وضرورة احترام حقوقهم، فهذا الصَّنيع هو سبب تقوية ركيزة التقوى في نفسه وباطنه، ما يصدُّه ويمنعه من ذمِّ الآخرين وهدر كراماتهم.

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"المؤمن أعظم حرمة من الكعبة"[١].

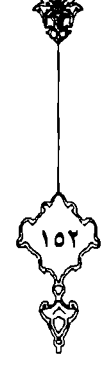
إن معالجة كافة أسقام أفعال الإنسان ووباء سلوكه بشكل نهائي وحتمي ترتبط بإزالة جذور هذه الأسقام ورواسبها الداخلية ونوازعها الكامنة في داخله.

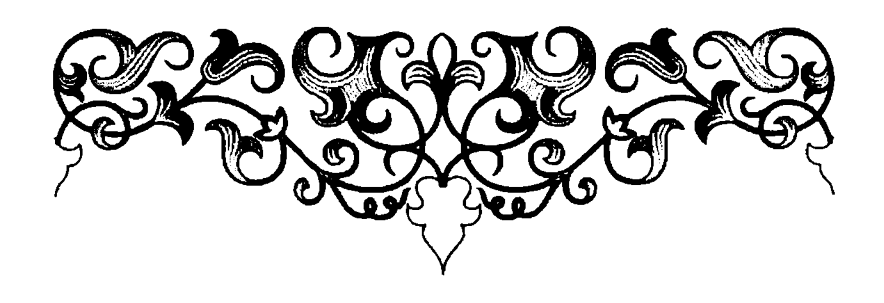
---

١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٦٤، ص ٧١، ح ٣٥.

وبناءً على هذا، ينبغي ابتداء التعرُّف إلى مرض البهتان وتحديد جذوره ورواسبه، ومن ثم العمل على تحطيمها وإزالتها، فإذا كان الحسد هو ينبوع هذا العمل المذموم ومنشأه، تنبغي إزالته والقضاء على رواسبه.

وإذا كان هناك رذائل أخرى، هي جذور هذا المرض، ينبغي العمل على التخلُّص منها وإزالتها من ساحة وجوده.





الفصل الرَّابع
التُّهمة

"متى اتهم المؤمن أخاه، ذاب الإيمان في قلبه، كما يذوب الملح في الماء"[1].

الإمام الصادق عليه السلام

مقدِّمة:

من الأمراض المزمنة التي عانت، ولا تزال تعاني، منها الشعوب والأمم على امتداد تاريخها البشري والحضاري، وتضرَّرت بآفاتها كثيراً، مرض «التهمة» المهلك والخطير. فللتُّهمة، كغيرها من الأمراض المزمنة الخاصة «باللّسان» كالكذب والغيبة وغيرهما، نتائج وآثار سيئة ومضرّة، بل مؤدِّية إلي هدم المجتمعات الإنسانية والبشرية، ولهذا ينبغي بذل قصارى الجهود والسعي الحثيث لمعرفة حقيقة هذا المرض الخطير والمزمن وكيفيَّة معالجته.

ونسعى، في هذا الفصل، إلى البحث فى مسائل عديدة ومختلفة لمعرفة دواعي التهمة وأسبابها، والعثور على أساليب مختلفة في كيفية معالجة هذا المرض الخطير والوباء القاتل.

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٦١، ح ١.

أما الفصول المعروضة في هذا البحث، فهي:

١ـ تعريف التُّهمة.

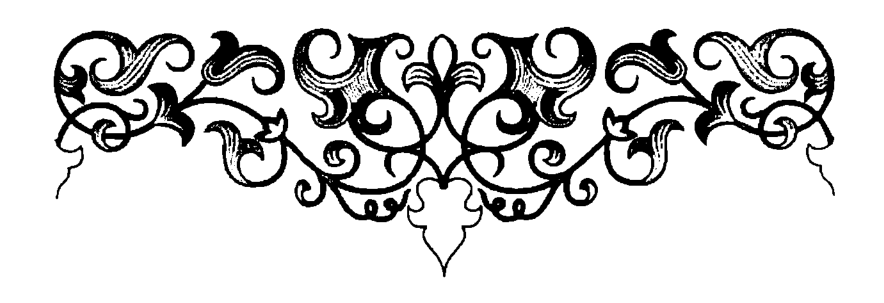
٢ـ أقسام التُّهمة.

٣ـ ذم التُّهمة شرعاً.

٤ـ الجذور الداخلية للتُّهمة ودوافعها.

٥ـ النتائج المذمومة والسِّيئة للتُّهمة.

٦ـ طرق معالجة التُّهمة وأساليبها.



(١)
تعريف التُّهمة

التُّهمة: مصدرها «الوهم»، ويعنى إظهار سوء الظَّن النَّافذ إلى قلب الإنسان وعقله، فلكل عمل من أعمال الإنسان وتصرفاته في المجتمع أسلوبان من التفسير:

١ـ تفسير جيد وإيجابي.

٢ـ وتفسير رديء وسلبي.

ويكون للإنسان، في التُّهمة، سواء أكانت فعلاً أم قولاً أم تقريراً، فهم سيِّئ وسلبى، وهذا الفهم إما أن يعود إلى فعل الإنسان أحياناً، بمعنى أن الفعل نفسه له قبح ذاتي وغير مناسب، وقد يفهم من هذا الفعل، أحياناً أخرى، ركائز وصفات باطنية وخصائص مذمومة، من دون أن يكون للفعل قبح ذاتي. وفي هذه الحالة، يكون الفعل بمنزلة المرآة التي تنطبع فيها صور هذه الصفات الداخلية، وكذلك التهمة، فإنها تتحدّد أحياناً بقبح العمل والأسلوب نفسيهما في التعاطي، وقد يكون العمل والتعاطي جسراً ومعبراً لانتساب الصفات المذمومة باطنياً إلى الفرد نفسه.

الفرق بين سوء الظن والتهمة:

إذا كان للإنسان فهم سيِّئ لأفعال الآخرين أو أقوالهم، وبقي هذا الفهم محفوظاً في أعماقه من دون أن يظهره لأحد، فإن هذا الإنسان يكون مصاباً «بسوء الظن». أما إذا

أظهر فهمه السيِّئ والمذموم إلى الملأ العام؛ فهذا ما يصطلح عليه بـ«التُّهمة».

والفرق واضح، هنا، بين التُّهمة وسوء الظن، فهذا الأخير يعمد إلي إظهار الظن السيِّئ بفعل الآخرين، وطريقة تعاطيهم، وأسلوب تعاملهم.

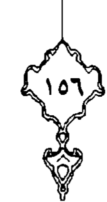
الفرق بين البهتان والتُّهمة:

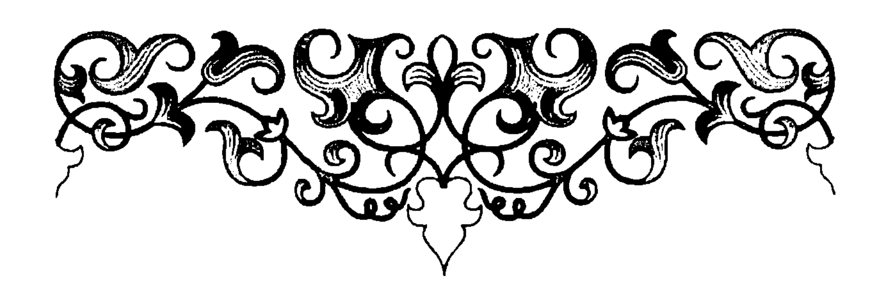
يعلم الإنسان، في «البهتان»، أنَّ من ينسب لشخص ما فعلاً أو تصرّفاً مذموماً وسيِّئاً، لم يقم بعمل صحيح، إلا أنه إنما نسب ذلك له، تبعاً لأغراضه الدنيوية، ورغباته النفسانية والشهوانية، كأن يكون لأسباب العداوة والكراهية مثلاً، أو البغض والحسد، أو أي صفة أخرى وتعاط غير سليم.

أمَّا في التهمة، فإن الإنسان يفهم ما يقوم به غيره من عمل، فينسب له التُّهمة، مع علمه بأنَّ هذا الفعل لا يمكن أن يصدر منه أبداً، كما لو شاهد شخص إنساناً وبيده سكين، وهو واقف إلى جنب المقتول، فيتَّهمه بالقتل، رغم أنه يعلم أن هذا ليس هو القاتل الحقيقي! فهذا ما يصطلح على تسميته «بالبهتان»، وإذا لم يكن يعلم أنه القاتل، فهذا ما يصطلح على تسميته بـ«التُّهمة».

أما مصدر التُّهمة ومنشؤها فهو سوء الظن، فسوء الظن بفعل أو قول أو حالات أخرى، يستخدم ضد أشخاص ما، قد يكون سبباً في اتهامهم به من خلال تواجدهم وحضورهم أو غيابهم.

وبناءً على هذا، يمكن أن يؤدِّي سوء الظن إلى التهمة أيضاً، بهذا النحو وهو: أن يكون في سوء الظن فهم سيِّئ في باطنه وأعماقه، لما صدر من الإنسان فى أثناء الفعل، أو القول، أو التقرير والإمضاء على شيء ما من القول أو الفعل، يمكن أن يظهر إلى الخارج بسبب عوامل باطنية، أي أظهاره إلى آخرين، وفي هذه الحالة، يتحوَّل إلى التهمة.





(٢)
أقسام التُهمة

يمكن الإعلان عن سوء الظَّن وإظهاره بنحوين:

١ـ الإظهار الحضوري:

ويتمثَّل فى أن يذكر شخص ما عملاً سيئاً أو صفة مذمومة، فيتّهم بهما شخصاً آخر في حضوره ووجوده مثلاً، ويعرض وثائق وأدلَّة يمكن أن تضم فعلاً أو قولاً، أو تصرُّفاً خاطئاً لذلك الشَّخص.

٢ـ الإظهار الغيابي:

قد لا يبيّن المتّهم شيئاً في حضور شخص ما، بل ينسب له فعلاً قبيحاً أو صفة مذمومة في غيبته، ويكون لهذا الأمر حالتان:

ألف ـ ينسب المتَّهم حصيلة فهمه لشخص ما، فقط، في غيبته، ولا ينطق بكلام عن فعله، بمعنى أن المتَّهِم لا يقول إنه كوَّن هذا الفهم نتيجة رؤيته ما فعله المتّهَم.

ومن الطبيعي هنا: أن لا يكون فرق بين أن يكون فهمه عن عمل المتهم وتعاطيه في تعامله معه أو مع الآخرين، إذ إنّه في كلا الحالتين، وقع نوع من سوء الظن، وظهرت حقيقة التهمة.

ب ـ ينقل ذلک الفعل أو القول نفسه أو تلک الصفات نفسها، ثـم يعـرض فهمـه عنها للآخرين.

أقبح مصاديق التُهمة:

التُهمة هي إظهار سوء الظَّن بالآخر، وهذا الفعل يعدُّ مـن أسـوأ مـصاديق التُهمـة، وهو: أن يضع شخصاً محلاً لثقته وأميناً له في أفعالـه، ويفـسح مجـال العمـل لـه فـي ذلک، ثم يسيء الظن به بعد ذلک، فينقل له سوء ظنه هذا.

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"ليس لک أن تتّهم من ائتمنته"[1].

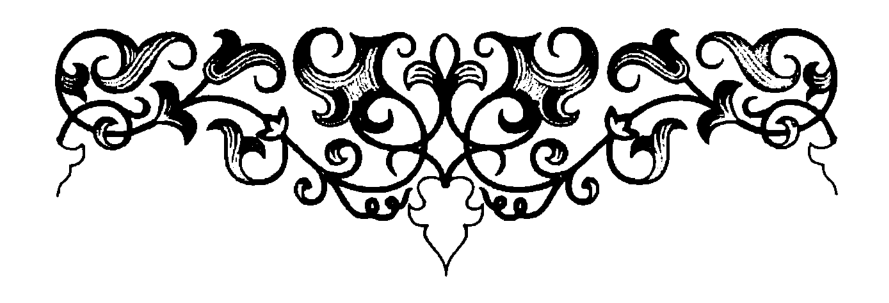
«حال وعادة» التهمة المذمومة:

التهمة رذيلة من الرذائل النفسية الناتجة عـن العـداوة والحـسد والـشهوة أو الغـضب. فالفعل يصدر في بدايته عفوياً من الإنسان، فتستوجب إعادتـه وتكـراره ظهـور ملكـة فـي وجوده وباطنه، ويجعل فعله ثانياً سهلاً له ومطلوباً. ومن لم تكن لديه هذه الملكـة، فلعـل طبيعة أداء هذا الفعل هـي الـسبب فـي ذلـک، كـأن يخـضع لـضغوط المـسائل والقـضايا الاعتقادية والوجدانية الكامنة في باطنه، فيتأثر ويتألم مثلاً، ولكـن إذا ظهـر هـذا العمـل المتكرر بكونه صفة نفسية باطنية خالدة، فإنه بإمكانه القيام بهذا الفعـل الـسيّئ والقبـيح بسهولة، فلا يتألم بفعله هذا فحسب، بل يرافقه رضا وفرح أيضاً. والوصول إلى هـذا الظـن الباطل المتاخم للتهمة، يجعل منافسه الـذي خـرج مـن المنافـسة فـي حالـة مـن الـشغف والسرور.

وبناءً على هذا، ينبغي اجتناب تكرار هذه المعاصي والذنوب واستمرارها، حتى لا يتحول إلى عادة مذمومة وسيئة في روح الإنسان ووجدانه.

---

١. الكليني:الكافي،ج٥،ص٢٩٨،ح١.



(٣)
ذمّ التُّهمة شرعاً

التهمة هي إظهار سوء الظن في حضور الآخرين، وما يرتبط به من عمل أو قول أو صفات مذمومة. وهي، بشكل عام، إشاعة الأمور القبيحة و المذمومة للآخرين ونشرها، ولهذا عدّ هذا الفعل نوعاً خاصّاً من أنواع الغيبة.

وإذا حصل سوء ظن شخص لآخر، ورافق سوء ظنه هذا، اغتيابه للمتهم، يكون مصاباً بالغيبة، وإذا لم تتوافر العيوب أو الرذائل في الشخص المتهم، فإذاعة ذلك وقوله، يعدّ نوعاً من «البهتان» وبين هذه العناوين الثلاثة فوارق أساسية وحقيقية.

وبهذا البيان، يمكن القول: إنَّ التهمة أسلوب أو فعل يتراوح بين «الغيبة» و«البهتان»، وكلاهما حرام طبعاً، و في النتيجة تكون التهمة حراماً أيضاً، لأنها إما أن تُصنَّف في باب الغيبة، أو يصدق عليها عنوان «البهتان».

إن استفزاز الآخرين والاستهانة بكراماتهم وذمّهم عند شخص ثالث، أو طائفة من الناس، حرام شرعاً، وذلك لعدم معرفة هذا الشخص أو تلك الطائفة بأن هؤلاء الآخرين ارتكبوا تلك الأفعال المذمومة؟

رد التهمة:

سبق، في بحث الغيبة، أنه لا يجوز للإنسان الاستماع للغيبة فحسب، بل إنَّ عليه،

إذا سمع الغيبة، من دون اختيار منه أن يبذل قصارى جهده في ردّها والدفاع عن أخيه المغتاب، ولا يكتفي بقوله: «لا تغتب»!، فربما يكون في الردّ بهذه الجملة، تأكيد لوجود العيب والنقص في المغتاب حقيقة، بل ينبغي السعي وبذل قصارى الجهد لردّ الغيبة، لتبرئة من اغتيب من تلك التهم وإسقاطها عنه.

وكذلك «التهمة» و«البهتان»: فإن عليه أن يطهّر المتّهم ممَّا ألصق به من تهم وأكاذيب، وتبرئته منها.

قال جلال الدِّين الرومي في قصيدته ما معناه:

"اتهم رجل شيخاً بأنه رجل سوء ومضلّ لطريق الرشاد.

وأنه شارب خمر ومراوغ وخبيث، فأين القاصدين لإنقاذه وإغاثته؟.

فقال واحد منهم: تخلّق بالأدب، فليس من العقل أن تظن هذا الظن بالكبار!.

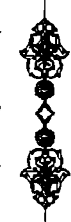
إن هذا لا يليق به وهو بعيد عنه، وعما ذكرت من أوصاف.

فصفعه بيده حتى بان الاحمرار إثر تلك الصفعة على خدِّه

وقال له: لا ترمه ببهتان كلامك، لكونه حسداً تخيلته في ذهنك لأهل الحق، فاصفح وتجاوز"[1].

يعتمد المتَّهِم على القرائن الحالية الموجودة عنده فقط، فينسب فهمه وما وصل إليه إلى غيره، ويظهر سوء ظنه في الحقيقة.

ومن هنا، عليه أن ينفي ما نسبه إليه، والتذكير بأن نسبة هذا الفعل غير الصَّحيح إلى آخر ـ حتى لو كانت هذه النسبة صحيحة ـ قد شملها حكم الغيبة أيضاً، وإن لم يكن صادقاً في هذه النسبة بل مخطئاً، فقد شمله حكم البهتان، وفي كلا الحالتين؛ يكون فعله حراماً، والمسؤولية الشرعية والتكليف الإلهي يقتضيان الدِّفاع عن المتهم أو من وقع تحت



١. قال المولوي في المثنوي المعنوي في قصه حكاية طعن الأجنبي في الشيخ الكبير:

آن يكى يک شيخ را تهمت نهاد* كوبد است و نيست بر راه رشاد

شارب خمر است و سالوس وخبيث* مر مريدان را كجا باشد مغيث

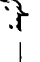
آن يكى گفتش ادب را هوش دار*خرد نبود اين چنين ظن بر كبار

دور از رو از آن اوصاف او*كه ز سيلي تيره گردد صاف او

اين چنين بهتان منه بر اهل حق*كين خيال تو است، برگردان ورق.



شائبة البهتان، وصيانة كرامتـه مـن التعـرض لهـا بـسوء، أو اتهامـه بـشتى الـتهم الباطلـة والمزيفة.



روي عن رسول الله(ﷺ) أنّه قال:

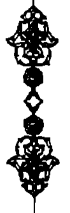
"من أذل عنده مؤمن، وهو يقدر علـى أن ينـصره فلـم ينـصره، أذلّـه الله يـوم القيامة على رؤوس الخلائق"[1].

"ومن ردّ عن عرض أخيه، كان له حجاباً من النار"[2].

فإذا عجز الإنسان عن الدفاع عن أخيه، وعن صيانة كرامته من التعـدّي والإسـاءة، عليه مغادرة المكان فوراً، وإن عجز عن ذلك أيـضاً، عليـه أن يغـضب لـه، ويحـزن لذلك في قلبه، بسبب حضوره ووجوده في مثل هذه المجالس، فعـدم التـأثّر وإبـداء الأهمية وردود الفعل للتصدي ومواجهة هذا الفعل السيئ هو عمل مرفوض وقبيح.

تأثير التهمة على السامع في البعد الأخلاقي:

قد يسمع المغتاب أخباراً عمَّن اتهمه و افترى عليه، وهو يبني على حـدس المـتّهم له، كما أنَّه غير عارف بصحة ما وصله من تلك الأخبار وكذبه بشكل حاسم وقاطع، فإذا امتلك السامع نفساً ضعيفة، فسيتعرض لتأثير هذه التهم بسرعة، ويتغير رأيه مـن خلالها فجأة. يعني أن السامع، وإن لم يعمل بتكاليفه ومسؤولياته الشرعية، ويـصطدم في الكلام مع القائل، فيدافع عنه بردّ التهمة، فهناك إمكان أن يتـأثر بـذلك بـشكل عاطفي وأخلاقي في باطنه؛ ويقلل من اعتماده على المتّهم وصلته به.



وقد ذكر علماء الأخلاق أربع حالات لـسامع الغيبـة، ووضـعوا أسـاليب وحلـولاً علمية لكل من هذه الحالات، لكي لا يساء إلى المتهم، وهي:

١ـ أن يعلم السامع بأن كلام القائل هو تهمة وافتراء.

٢ـ أن لا يعلم السامع بأن كلام القائل هو تهمة أو بهتان، فربما يكون كلامه ناتجاً عن فعل المتهم أو نسبة الكذب له.

٣ـ أن لا يعلم السامع أن قول القائل هو تهمة أو غيبة.



١. العلامة، المجلسي: بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٢٢٦.

٢. الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٩٣، ح ١٦٣٣٨.

٤ـ أن لا يعلم السامع أن قول القائل هو تهمة أو بهتان أو غيبة.

أمّا المورد الأول، وهو علم الشخص بأنّ هذه الأخبار هي مجرد اتهامات، فسوء الظن ينتقل، في هذه الحالة، في مستوى ضعيف إلى السامع. يعني أن الشخص يعلم أن القائل كان قد اعتمد من طريق الحدس والظن، على الدلائل والشواهد أو قراءة من القراءات، تكون سبباً في هذا الفهم السقيم وغير الصحيح عن المتّهم، ومن خلال هذا التوجه لهذه المعرفة، يمكن إبعاد سوء الظّن والفهم عنه، والقول: إنّ هذه التهمة الموجهة له، إنما هي ناتجة عن الفهم غير الصحيح للمتّهم.

أما المورد الثاني المتمثّل في الشك في القول، بين أن يكون تهمة أو بهتاناً، فإذا وجدت التهمة، فأحد أطراف الاحتمال قائم على محور الحدس، وطرفه الآخر على «البهتان» يدل على كذب تلك النسبة إلى المتهم. ومن هذه الجهة، يمكن للسامع أن يبعد سوء الظن عنه بسهولة.

وفي المورد الثالث، وهو ما يقع بين حكم التهمة أو الغيبة من خطأ، فإنه يمكن ردّ ذلك، باعتبار أن أحد أطراف هذه الأخبار قائم على محور الحدس.

أما المورد الرابع فهو دمج لهذه الموارد الثلاثة.

ومن خلال هذه الموارد الأربعة، يمكن أن تؤثر هذه الأخبار بقوّتها وضعفها على الفرد.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"أيّها الناس، من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق، فلا يسمعنّ فيه أقوال الناس. أما إنه قد يرمي الرامي، ويخطئ السهام، ويحيل الكلام، وباطل ذلك يبور، والله سميع وشهيد، أما إنه ليس بين الحقّ والباطل إلا أربعة أصابع".

فسئل عن معنى قوله هذا؟

فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: "الباطل أن تقول: سمعت، والحقّ أن تقول: رأيت"[1].

يتضح من هذه الرواية أنّ الأخبار القائمة على محور الحدس والظن، وجذورها هي المسموعات والاحتمالات، هي من موارد التهمة، البهتان، أو الغيبة.

---

١. العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٩٢، ح ١٦.

أما الغيبة فالاحتمال هو أن كل ما يقوله القائل، كان قد شاهده ورآه بعينه، ولكن السامع لا يسمع إلا الاحتمال، فلا ينبغي أن يتأثر بهذه المسموعات، لأنّه من النادر جداً ابتناء المسموعات على المرئيات، أو اعتمادها على الأمور الصادقة.

"سئل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

كم بين الحق والباطل؟ فقال عليه السلام: أربعة أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحقّ، وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً"[1].

كيفية الوقاية من التهمة:

اتضح، من خلال عرض تعريف مصطلح «التُهمة»، أن على الإنسان الابتعاد عن الإصابة بهذه المعصية والوقاية منها، فيجتنب ابتداء الإصابة بأمراض سوء الظن بالآخرين، ويقي نفسه من اتهام الآخرين بالفساد وغيره لدى سماعه ذلك، لكي لا يتأثر بسوء الظن بالآخرين، وأن لا تصدر منه حركة تثير نوعاً من الاستغراب والاستفسار، بسبب صدور حالات تثير نوعاً من الشكوك وإساءة الظنّ بالآخرين، أي: لا يرتكب أفعالاً تكون سبباً في إثارة حالة من الحدس وسوء الظن بالآخرين.

قال الرومي ما معناه:

"اخلع ثياب النفاق والخداع، وكن عاريا من التملُق، لتبتعد عنك أوهام الخلق واتهامهم لك"[2].

لذا، ينبغي الابتعاد عن معاشرة من عرفوا بسوء النية، أو مصادقة من اتهموا بتصرفات بذيئة وسيئة، للابتعاد أيضاً عن زرع التهم ونشرها وإلصاقها بالآخرين.



وقد يخلق الوجود والحضور بين المسيئين والأشرار الفاسدين، نوعاً من سوء الظن، وحالات من الاتهام والتنقيص، وإن لم يكن ذلك الفرد بمستوى الدناءة والرذيلة. إن عدم الوجود والحضور في تلك الأماكن والتجمعات التي تأسست لأداء هذه الأعمال المشبوهة والموهومة، يمكن أن يقلّل من نسبة الاتهام ودناءة تلك التصرفات.

---

١. المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٣٠، ح ١.

٢. قال المولوي في المثنوي، حكاية كرامات الدراويش و المتصوفة ممن همّشوا في السفينة، و لم يكونوا بالحسبان:

دلق بيرون كن برهنه شو ز دلق*تا ز تو فارغ شود اوهام خلق.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

"يا بني، من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم"[١].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة"[٢].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً في جملة من وصاياه أنّه قال:

"إياكم ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء يغرّ جليسه"[٣].

وقال عليه السلام:

"من وضع نفسه مواضع التهمة، فلا يلومن من أساء به الظن"[٤].

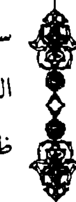
وقال عليه السلام أيضاً:

"من دخل مداخل السوء اتهم"[٥].

أسلوب مواجهة التصوّرات والأخبار القائمة على الظنّ والحدس:

لا يحق للإنسان أن ينسب قولاً، أو فعلاً، أو صفة غير دقيقة، أو معلومة غير صحيحة قائمة على الحدس إلى أخيه المؤمن أو أخته المؤمنة، ونقلها إلى الآخرين من دون الوثوق بصحتها والتحقق من صدقها ومصداقيتها.

إن نسبة العمل السيّئ والقبيح، عبر الحدس، هو التهمة نفسها، لأن الشخص يبدي سوء ظنه في اتِّهامة الآخر، وسوء الظن ليس إلا الحدس في حق الآخر، فكم من الحدس، وهو ممَّا لا يحصى، لا يطابق الحقيقة والواقع، ولا يحدث إلا نوعاً من سوء ظن الآخرين في حق المتهم.



ويتم الشعور بالفعل أو الحالات الأخرى عبر صورتين:

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٨ ص ٣٣٩، ح ٩٦٠٠.

٢. المصدر نفسه، ح ٩٦٠١.

٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٧، ح ١٥٥٧٥.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر نفسه، ص ٣٨، ح ١٥٥٧٨.

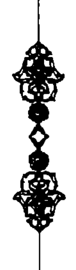
١ ـ الشعور غير المباشر.

٢ ـ الشعور المباشر.

١ـ الشعور غير المباشر: ففي هذا القسم، لا يرى الإنسان فعل المتهم وكلامه، بل ينقله له شخص آخر، أي أنه توصل إلى قول المتهم أو فعله عبر نقل الآخر له والسماع منه، ويعلم بذلك عبر واسطة.

و قد وردت النصوص والروايات الكثيرة في شأن هذا الشعور وأحكامه المتعلقة به، وهي تشير إلى بطلان الأمور التي تصل إلى الإنسان عبر السماع، والبحث في هذا المجال واسع جداً، لأن واسطة هذا الشعور غير المباشر هى الإنسان، فلو اتخذ الإنسان مقرّاً له في سير الميول والعواطف النفسية الكامنة وحركتها، فسيتحول إلى شرّ المخلوقات، وإذا مضى في مساره الصحيح، سيكون من أشرف المخلوقات وأفضل من الملائكة.

لقد ابتلي كثير من البشر بأمراض نفسية وأزمات روحية كالحسد والبخل والطمع وغيرها، فاضطرتهم إلى إلصاق التهم الباطلة بالآخرين، والإساءة إلى نقاء السامع وبساطته. ويتم عبر هذه الأساليب المزعومة والموهومة عرض الحب والبغض الموجود في باطنه في قوالب البهتان والاتهام. وبما أن النفس البشرية لم تتحلّ بعد بالآداب الإلهية، لا تصدَّق أقوال النَّاس، ولا يوثق بها، ذلك أنَّ كثيراً من أفعالهم مشوبة بهوى النفس الأمّارة بالسوء.



وتتضاعف مساوئ النفس وعبثها أحياناً. فبما أن السامع يعلم أن ما يسمعه عن أخيه المؤمن هو بعيد كل البعد عن الحقيقة، إلا أنه ينقل هذا الخبر، وفي بعض الموارد، يقوم بنقل الحادثة والخبر الذي لم يره ولم يسمعه أبداً بأسلوب منمّق وذكي وكأنه سمعه بأذنه أو رآه بعينه، ويصل إذلال النفس ورذالتها أحياناً إلى حدّ يسمع فيه تكذيب الاتهام من المتهم نفسه، ولكنه لا يعير له أي أهمية، ويبقى مصرّاً في غيّه وضلاله، ونشر الفرية عن أخيه المؤمن من دون رادع أو وازع من نفسه.

لقد كان الأئمة المعصومون عليهم السلام على علم ومعرفة بحالات النفس الإنسانية وبواطنها، ولهذا السبب، عدّوا كثيراً من المنقولات عن أفعال وتصرفات الآخرين وأقوالهم على أنها نماذج باطلة.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"الباطل أن تقول: سمعت، والحق أن تقول: رأيت"[1].

فالحكم العام هو أن لا يؤثر في المنظار الباطني، ولا ينقل إلى آخر بالمنظار الخارجي، وفي خصوص هذا الموضوع، لا يمكن التصديق به باللحاظ الباطني ولا تكذيبه، لأن تصديق كل من المتهم والشخص العادل يستلزم تكذيب الآخر، فإن صدقت الشخص العاقل في قلبك، فعليك أن تعتقد بكذب المتهم! وإن صدّقت المتهم، فيلزم تكذيب الشخص العادل.

أما في المنظار الخارجي، فينبغي القول: إنّ ناقل الخبر، وإن عدّ شخصاً عادلاً وثقة، يستلزم أن يكون نقله مشمولاً بحكم الغيبة، وهذا الأمر نفسه يسقطه عن حالات الاعتبار، لأن الغيبة نوع من الفسق، فيكون المغتاب فاسقاً إذن، وينسجم هذا الحكم مع الآية الشريفة:

{إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا}[2].

ويعتقد علماء الأخلاق بأنّه لا يحق للإنسان نقل خبر الفاسق و إيصاله إليه، لما جاء في الآية المتقدمة:

{إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا}[3].

فلا يمكن الحكم والقول بالجواز بمجرد عدالة الناقل للخبر، لأن هذا الشخص العادل أيضاً حاله كحال سائر البشر، وهو غير معصوم، ومعرّض للخطأ والضلال.

٢ـ **الشعور المباشر**: إذا رأى شخص بعينه أو سمع مقالاً بأذنه (وليس هناك واسطة لذلك من الرؤية والسماع أو لا شخص ثالث) فإنه يقال: إن له إحساساً وشعوراً مباشرين بذلك الفعل أو القول.



قال المولى محمد مهدي النراقي (قدس سرّه) ـ وهو من كبار علماء الشيعة ـ عن أسلوب مواجهة الشعور والإحساس المباشر: "لا يجوز أن يصدّق الإنسان كلّ شيء تراه عينه، فهناك كثير من الأعمال لها وجهان، ويمكن حملها على صورتها الصحيحة. ولا يجوز فهم الإنسان عدم صحتها و قبحها، ثم ينقل تصوره واعتقاده عنها

١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٩٧، ح ١٦.

٢. الحجرات (٤٩): ٦.

٣. الحجرات (٤٩): ٦.

إلى الآخرين".

نعم، ورد في الروايات «أن كل ما تراه العين هو حق»، ولكن المراد بهذه العين، العين البريئة الطاهرة، الخالية من الأغراض والأهواء، لا العين الملوثة بالأهواء النفسانية.

أما العين الطاهرة: فما دام أنها ترى طريقاً وأسلوباً صحيحين في هذا الفعل، فلا يمكن حمل ذلك على الفساد.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"اطلب لأخيك عذراً، فإن لم تجد له عذراً، فالتمس له عذراً"[1].

فلا ينبغي العمل بالظاهر وإعارته الأهمية القصوى في ذلك. فكم من عمل قبيح يتجلّى في ظاهره، إلا أنه يفقد الدليل الواضح والمقنع لفعله، وقد استبطن في أعماقه لحاظاً شرعياً أو تأديبياً، وإذا لم يمكن حمل فعله بأي طريقة على الصحة أبداً، فليلتمس له صاحبه عذراً، يمكن من خلاله حمله على الصحة.

روى عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، و لا تظنَّن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً"[2].

فالشعور أو الاحساس المباشر يمكن أن يتعرض للخطأ أيضاً، لأن الميول والرغبات الداخلية تؤثر على مشاهدات الإنسان ومسموعاته في كافة الأحوال، وتغيّر كثيراً من الاعتقادات، بل تطيح بها، وتؤدي إلى زوالها، فتحرف الحكم عن جادة الحق والصواب. ويظهر البغض والكراهية للجمال والحسنات على أنّها قبائح وسيئات، ولا يوصى بالقبائح ومساوئ الأعمال أبداً!.



ومن جهة أخرى: يمكن أن يبعث وجود العادات النفسانية المذمومة والسيئة في من يتهم الآخرين، إلى تعميمها في كافة المجالات، بأن يكون الشخص نفسه ملوّثاً، فكلّ ما يراه حوله ملوّثاً، أو أنه يستتبع في ما يقوم به من أعمال، أهدافاً مذمومة

---

١. العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٩٧، ح ١٥.

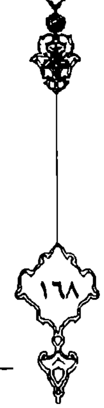
٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٦٢، ح ٣.

وسيئة، فينسب ذلك القبح والذم إلى فعل الآخرين، ويراه بالصورة المتجلية لديه نفسها، ولكن بما أنه يتواضع أمام الآخرين لغرض السخرية بهم، فهو يرى تواضع الآخرين نوعاً من الاستهزاء والسخرية، وقد قالوا: «الكافر يرى الجميع بمنظاره الخاص».

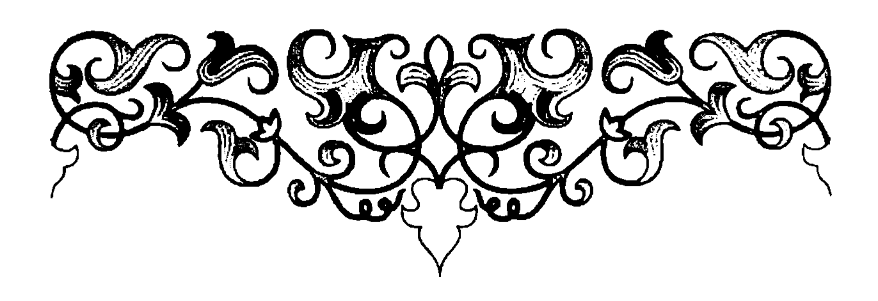
فلا علاقة للعداوات الشخصية بهذا الموضوع، بل هي أمراض نفسية حادة ومزمنة في نفس الشخص، لها جذور خاصَّة وطابع خاص في هذه الرؤية تسبب نوعاً من الإساءة أو قصر في النظر، وإنّ الجذور الأصلية والأساسية لكافة تلك الأمراض النفسية المزمنة والمستعصية هى «حب الدنيا» والغفلة عن الآخرة، والتعالي والغرور. فالغرق في القضايا المادية، وتناسي بعض الأمور، كالموت والآخرة والحساب يوم القيامة وجهنم، يبعث فيه الغفلة عن القيم والمعاني السامية.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"حب الدنيا رأس كل خطيئة"[1].



١. المصدر نفسه، ص ١٣٠، ج ١١.



(٤)
الجذور الدّاخليّة للتُّهمة

يمكن معرفة الجذور الدّاخلية الذَّميمة للتُّهمة، ومشابهتها لكثير من الأساليب والتَّصرفات المذمومة الأخرى، والرذائل الأخلاقية التي تنتج عن عدم اعتدال القوى الداخلية في الإنسان.

«فالحسد» و«الخوف من العقاب» و«الطمع» و... هي من جملة الرذائل التي تؤدي إلى صدور تلك الأفعال السيئة والمذمومة، فينسب الإنسان التهمة لغيره حسداً، بسبب ما يتزين به ذلك الشخص من كمال، ليغض طرفه عن النظر إلى كماله من خلال هذه الطريقة.

قال ناصر خسرو، في ديوان شعره، ما معناه:

لا يقرأ رسالتي، ولا يلهج باسمي اثنان:

الجاهل لتقصيره، والعالم خوفاً من شغبه، فهما يحترزان عن ذكر اسمي، فهؤلاء كالآلهة، إذا اتلا أحد اسمي قال: الاسم: أبو لهب؟! فأستدل لهم بالبراهين والأدلَّة للردّ على تلك المذاهب الفاسدة. فمن أراد تشويه سمعة الطاهر وتسقيط النزيه، فلا تتغيّر سمعته ودينه، مثَلُه كَمثَل النار، لا يزيد تأججها واستعارها لذلك المعدن إلا بريقاً ونصوعاً،

فالعامة يلصقون بي التهم في الدين، لفضلي، فيزيدني الفضل خلوصاً ونقاء وحماسة[1].

فقد يلصق أحد التهم و الأباطيل الزائفة بغيره، بسبب ما يتوهمه من الوقوع في الجزاء والعقاب، لما فعله من أعمال مذمومة، وأحياناً يتهمه حرصاً وطمعاً، للوصول إلى الرتب والشهادات العالية التي حصل عليها المتهم.

وتنبغي الاشارة إلى هذا الأمر المهم وهو أن التوهم وسوء الظن يعدان ظاهرتين تعودان إلى القوى «الوهمية» الداخلية، فهذه لها دور مهم ومؤثر في كافة هذه المراحل المذكورة.

---

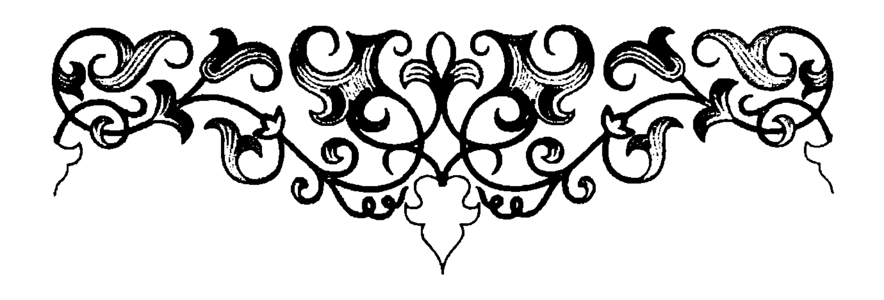
۱. قال ناصر خسرو في ديوان أشعاره، في القصيدة ۱۸:

کس نخواند نامه من کس نگوید نام من *جاهل از تقصیر خویش و عالم از بیم شغب

چون کنند از نام من پرهیز این ها چون خدای* در مبارک ذکر خود گفته است نام بو لهب

من برون آیم به برهان هاز مذاهبهای بد* پاک تر زان کزدم برون آید ذهب

عامه بر تهمت دینی ز فضل من برند* بر سرم فضل من آورد این شور و جلب.



(٥)
النَّتائج المذمومة للتُّهمة

تنتج عن التُّهمة نتائج وآثار سيِّئة تعود على المتَّهَم (بالفتح) والمتَّهِم (بالكسر)، ويمكن بحثها تحت عنوانين هما:

١ـ نتائج التُّهمة في بعدها المعنوي في الإنسان:

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"إذا اتهم المؤمن أخاه، انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء"[1].

ويظهر، من خلال هذه الرواية، أن التهمة سبب في إضعاف إيمان المؤمن ومحقه وزواله، أمَّا في ما يخصّ الأعمال، فهناك حالتان هما:

حالة «الفعل» وحالة «الترك»،

وكلتا الحالتين مؤثِّرتان في بعدهما الإيماني، فترك الواجبات من جهة، وفعل الذنوب والمعاصي من جهة أخرى، يضعفان دعائم الإيمان في الإنسان.

و«ترك الواجب» و«فعل الحرام» هما أسلوبان من أساليب الكفر العملي، فيعمّ «فعل الحرام» للتهمة، ويؤدي ذلك إلى إضعاف الإيمان وزواله.

---

١. الكليني:الكافي،ج٢،ص٣٦١،ح١.

٢ـ نتائج التُهمة وتأثيرها على العلاقات الإنسانية:

التُهمة سبب في زوال حرمة الأخوة و العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع البشري، فهي تهيئ لظهور أجواء عدم الثقة والخوف وعدم الاستقرار.

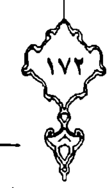
روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما"[١].

والمراد من قوله: «في دينه»، من حديثه عليه السلام: «من اتهم أخاه في دينه» هو أن التهمة بما أنها تتوجّه إلى «الأخ المؤمن»، فإن لفظة «في دينه» صفة لكلمة «أخاه»، فاتهامه في الأمور الدينية لا يُحدث فرقاً في الثمار السيئة الناتجة عن التهمة، لأن الدين الإلهي كالحبل الذي يتمسك به الجميع، وتنتج على أثر هذا التوسل رابطة الأخوة الإيمانية، وهي أقوى من الرابطة النسبية والعائلية، فإذا نسب افتراء أو تهمة للأخ المؤمن أو الأخت المؤمنة، فقد قطعت أواصر الأخوة وروابط الثقة المتبادلة بين المؤمنين.

والإنسان العاقل المعتقد بالمبدأ والمعاد، لا يتهم الآخرين في أفعالهم وأقوالهم مطلقاً، وإن كان هذا الإنسان عديم الدين، فالفطرة الإنسانية لا تسمح له ولا تجيز أبداً التعدّي على الآخرين، وهتك حرمهم، والاستهانة بكراماتهم، إلا إذا تبدلت تلك الفطرة الإنسانية السليمة إلى البهيمية والحيوانية الضّاريتين.

ويشاهد، من خلال دراسة هذه الظاهرة في المجتمعات البشرية، أن المراوغة والتحايل على أفراد البشر بشتى الوسائل الشيطانية والحيل والألاعيب الجهنمية: كإلصاق التهم الفارغة والإشاعات الكاذبة والمغرضة للآخرين، لغرض الوصول إلى أهدافهم الدنيئة وخدعهم الشيطانية وأغراضهم البهيمية، فيتهمونهم زوراً وبهتاناً وكذباً بارتكابهم أفعالاً سيئة، وبصدور أفعال وممارسات مذمومة، ما أنزل الله بها من سلطان! فإن مصيرهم إلى النار، ويلحقهم عارها وشنارها، والذل والهوان.



---

١. المصدر نفسه، ج ٢.

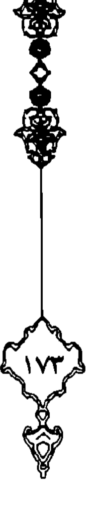
دور إبليس في نشر التُّهم و البهتان:

التُّهمة والبهتان هما فعلان قبيحان ومذمومان، ولعلّ الشيطان يأبى فعلهما وارتكابهما ويمتنع عن ذلک، فهو يحب صدور مثل هذه الأفعال السيئة والمخالفة من البشر، ولكن لشدة قبحها وسوئها، فإن بعض تلک الأفعال والمخالفات، لا يؤيدها الشيطان نفسه!!، وهي صادرة عن الإنسان، فمن هذه الممارسات والأساليب المذمومة:

النَّيل من كرامات الآخرين في المجتمعات الإسلامية، وذلک من خلال إلقاء التهم والأباطيل والبهتان، ونسبتها إليهم.

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"من روى على مؤمن رواية يريد شينه، وهدم مروءته، ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان"[1].



١. المصدر نفسه، ص ٣٠٨، ح ١.



(٦)
أساليب معالجة التُّهمة

إن تطهير اللّسان من إلصاق التهم بالآخرين، لا يتم إلا من خلال العمل الدؤوب والجهود المستمرة والحثيثة، وينبغي أن يُبني هذا التَّطهير على أساس العقلانية والتفكير السليم والدقة في فهم النتائج ومعرفة الأضرار والمردودات السلبية لهذا المرض المزمن والخطير.

ومن الواضح، أن كافة أفعال الإنسان إنما تقوم على أساس «الحب» و«البغض». ولهذا ينبغي العمل على تفعيل دوافع التذمّر وحالات الكراهية للتهمة وتقويتها، ليخطو الإنسان أشواطاً كبيرة وواسعة بهذا الاتجاه، ومن ثم يعمل على تركها.

وكذلك ينبغي التفكير بكرامات الآخرين واحترام مشاعرهم وعواطفهم النبيلة، لكي لا يخطو الإنسان بسهولة واستعجال إلى تخريب تلك القيم والمبادئ السامية، والنبل الكريمة، وإزالتها.

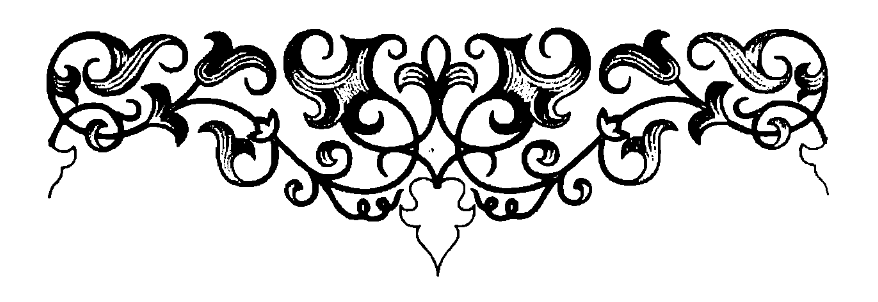
إن حرمة المؤمن هي أعظم من حرمة الكعبة بل وحتى أعظم من القرآن![1].

كما ورد ذلک في الأحاديث والنُّصوص الشريفة المستفيضة، فمن خلال معرفة هذه القيم واحترام تلک المبادئ، لا يسمح لأحد باجتياز حرمة الآخرين، ولا يجوز له ذلک، كما أنه لا يجوز الاستهانة بكرامتهم وعدم احترامها.

أما تقوية حسن الظن و حمل فعل الآخرين على الصحة، فهذا أسلوب آخر لمعالجة هذا المرض المزمن والقاتل.

---

١. العلامة المجلسي؛ بحار الأنوار، ج ٧، ص ٣٢٣.



الفصل الخامس

المراء

"أورع الناس من ترک المراء وإن كان محقاً"[1].

الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)

مقدّمة:

من آفات اللّسان المراء، وهو آفة تفضى إلى تردّى العلاقات الاجتماعية والانحطاط الخلقي وحالات التسيّب، أو تحوُّل الحب والمودة، والصفاء والنقاء إلى البغض والكراهية.

فكم من الأمم والشعوب قد ابتليت بهذا المرض الخطير المزمن!.

لذا، تنبغي إزالة هذه الآفة من كيان المجتمعات، بعزم جادّ وإرادة قوية.

وتنبغى كذلک إزالة كل مظاهر الفساد والانحراف المنتشرة في كافة مرافق الحياة العامة.

وقد خصّص هذا الفصل لدراسة الأبعاد المختلفة والمجالات المتعددة لهذا المرض، وتحليل علل ظهوره وعوامله وأسباب انتشاره، وعرض الأساليب والطرق المختلفة

---

۱. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ۹، ص ۷۵، ح ۱۰۲٤۷.

لمعالجته.

فيتمُّ البحث، في هذا الفصل، في ما يأتي:

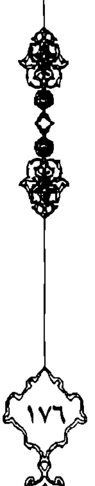
١ـ تعريف المراء.

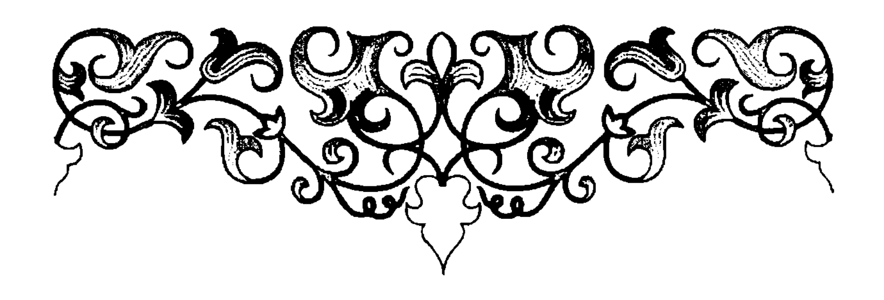
٢ـ ذم المراء شرعاً.

٣ـ الجذور الداخلية للمراء.

٤ـ النتائج السيِّئة للمراء.

٥ـ طرق معالجة المراء وأساليبها.





(١)

تعريف المراء

المراء، في اللغة، هو «النِّزاع » و«الجدال». "مارى يماري مراءً: ناظر وجادل. جاء في القرآن الكريم: {فلا تمارِ فيهم إلاّ مراءً ظاهراً}"[١]. وعند علماء الأخلاق هو الانتقاد والتشكيك في الكلام ونقضه. والغرض من المراء هو التفاخر والتعالي على الآخرين.

والاغترار العلمي، أي تحاور الفرد مع غيره، الذي يهدف إلى عرض انتقاده وإشكاله على كلامه، ليظهر نفسه بالمظهر اللائق، والفَطِن والدقيق، والذكاء مع غيره. ولهذا، عُدَّ المراء في عداد الأعمال المذمومة النابعة من الصِّفات الدّاخلية السيئة.

المراء من الفعل إلى الخصال:

يصدر المراء، في بدايته، عند الفرد بأسلوب وتعامل غير طبيعيَّين، ولكن بما أن له جذوراً فاسدة، فإنّه يترك انطباعاً واضحاً على روحه وجسمه منذ البداية، فتلتذّ النفس الأمّارة من هذا الفعل، وتشتاق إلى القيام به وأدائه في المراحل التالية،

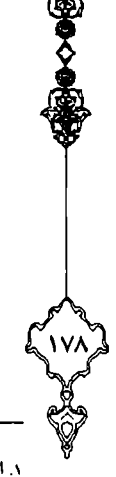
---

١. المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٩، ص ١١٣١.

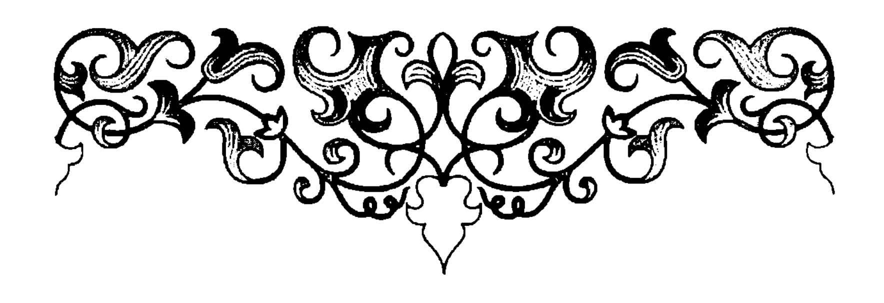
فترتكب المراء بسهولة من دون عنـاء، وتـصل هـذه الحركـة إلـى أن يكـون انتقـاد الآخرين أسلوباً دائماً وسلساً، ولا يتنازل عنه المماري مهما بلغ به الأمر، فيتحـوّل إلـى صفة باقية وخالدة في كيانه، وعادة، تفضى إلى نتائج مضرّة وخطيرة.

روي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"من عوّد نفسه المراء صار ديدنه"[١].



١. الآمدي: غرر الحكم، ص ٤٦٣، ح ١٠٦٣٣.



(٢)
ذم المراء شرعاً

نهى الأئمة المعصومون عليهم السلام الإنسان عن المراء، لما له من آثار ونتائج سلبية ومضرةً به.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"لا تمار أخاك"[١].

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً:

"أورع الناس من ترك المراء وإن كان محقاً"[٢].

فإذا رأى أحد خطأً في كلام القائل، فإن عليه أن يفهمه بخطئه في أول أمره، ويذكّره به. فإن حصل تراشق كلامي، أو مراء بينهما، أدّى عادة إلى عدم التقارب والقبول والبقاء والاستمرار على الخطأ، وإلغاء الآخر، فتركه على حاله وعلى ما هو عليه، فقد نال أعلى درجات التقوى والإيمان.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"المراء داء ردي، وليس في الإنسان خصلة أشرّ منه، وهو خلق إبليس، و نسبه، فلا يمارى في أي حال كان، إلا من كان جاهلاً بنفسه وبغيره، محروماً

---

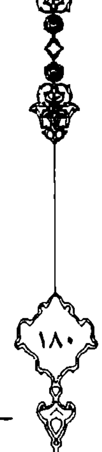
١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٨ ص ٤٦١، ح ١٠٠٠٨.

٢. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٧٥، ح ١٠٢٤٧.

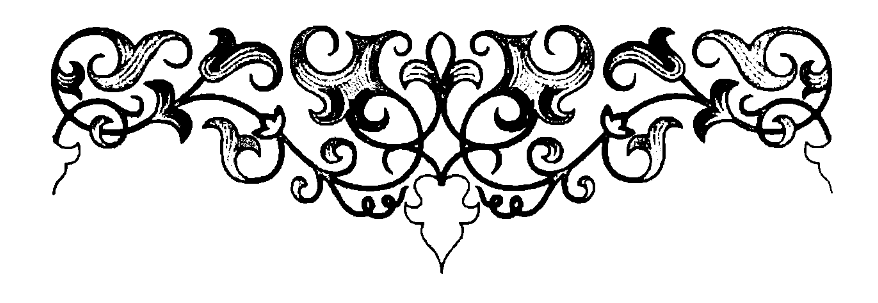
من حقائق الدين"[1].

حكم المراء شرعاً:

الالتفات إلى مثل هذه الرِّوايات والنُّصوص والتَّدقيق فيها، دعا الفقهاء إلى أن يحكموا بكراهة هذا الفعل المذموم. وقد خصّص بعض كبار علماء الشيعة، في معاجمهم الروائية، باباً مستقلاً يتناول بحث المراء، وبيان حكم هذه الرذيلة والمعصية من خلال نقل الروايات والنصوص العديدة التي تتناول هذا البحث بالتحديد.



١. المصدر نفسه، ص ٧٣، ح ١٠٢٤٣.



(٣)

الجذور الدّاخلية للمراء

يعدّ المراء من جملة الأمراض الأخلاقية والروحية، فالمبتلى به يمتلك نفساً مريضة وموبوءة، وجذور هذا الفعل المذموم تتمثّل فى الصِّفات النفسية غير الحميدة والمذمومة، وهي عبارة عن:

١-العداء والبحث عن الانتقام:

للبحث عن ثغرات فى أفعال الآخرين وأقوالهم، بغية انتقادهم، جذورٌ تتمثّل في العداء والبغضاء. فمن يمتلك صفة العداء لغيره، يحاول بشتى الأساليب نقد غيره والإشكال عليه أو النِّزاع معه، ويسعى إلى التغلب والسيطرة التامة عليه، ومن ثم الانتصار لنفسه.

٢. الحسد:

رغبة المرء فى الاستيلاء على مال غيره أو منصبه، يمكن أن تجرّه إلى حالة من المراء والصراع والتنازع معه، لأن الفرد الحسود يطالب بإضعاف غيره وإسقاطه بأي وسيلة ممكنة.

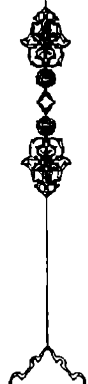
٣. التكبُّر:

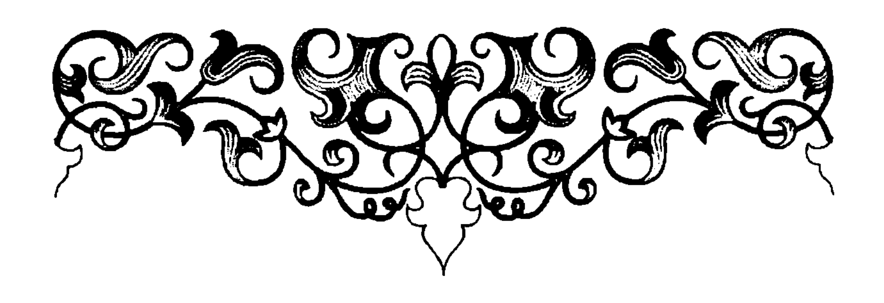
إظهار التعالي على الآخرين، يضطر الفرد إلى تقديم الاعتراض والنقد لأقوالهم وأفعالهم.

٤. حب المقام أو المال:

يمكن نقد الآخرين والإشكال عليهم، بهدف الوصول إلى مصالح فردية وأغراض دنيويـة. فالرغبة في نيل أعلى الدرجات وحب الجاه والمال، قد توقع الإنسان في ورطة المراء.

ولكافة هذه الموارد المذكورة جذور ورواسب في قوة الشهوة والغـضب الكامنـة عند الإنسان.





(٤)
النّتائج المذمومة للمراء

يحمل المراء، عادة، نتائج مذمومة عديدة للإنسان والمجتمع البشري، ويمكن الإشارة إلى جملة من هذه الموارد، وهي:

١. موت القلب:

يقطع النِّزاع اللّفظي أو المراء حلقات المحبة، ويفرغ القلب من المودّة والصّداقة. وبما أن القلب هو وعاء المحبة، ولا يحيا من دونها، فإنّه سيموت جرّاء هذا المراء، وتنتهي حياته بسببه إلى الأبد.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"أربع يمتن القلوب: الذنب على الذنب، ومناقشة النساء، يعني محادثتهن، ومماراة الأحمق، تقول ويقول، ولا يرجع إلى خير، ومجالسة الموتى. فقيل له: يا رسول الله، وما الموتى؟ قال: كلّ غني مترف"[١].

٢- البقاء على الجهل و التخلّف:

إذا دخل الإنسان في وادي المراء، ولم يقرّ بأخطائه وجهله، وإذا أنكر هذه

---

١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٢، ص ١٢٨، ح ١٠.

الأخطاء، أو لم يعرفها وأنكرها، فإنَّها لن تتحول إلى علم!، لأنه يكون، في هذه الحالة، في صدد إلقاء التهم، وفي معرض الإشكال على الآخرين، وهو غافل عن إشكالاته الخاصة به وحده.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"من كثر مراؤه بالباطل، دام عماؤه عن الحق"[1].

وأضاف عليه السلام أيضاً:

"الشک على أربع شعب: على التماري، والهول، والتردد، والاستسلام. فمن جعل المراء ديدناً، لم يصبح ليله"[2].

٣ - أذى الجهَّال والحرمان من علم العلماء:

إذا مارى شخص عالماً من العلماء، سيرى العالِم أن هذا الشخص لم يكن يبحث عن العلم، ولا عن عرض علمه. ولو مارى جاهلاً، فسيصنع من الجاهل إنساناً ضعيفاً ولئيماً. وعلى الإنسان في كلا الحالين اجتنابهما.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام في شأن وصية ورقة بن نوفل لخديجة عليها السلام أنَّه إذا دخل عليها كان يقول لها:

"يا بنت أخي، لا تماري جاهلاً ولا عالماً، فإنک متى ماريت جاهلاً آذاک، ومتى ماريت عالماً منعک علمه"[3].

يحصل المرء على السعادة بوساطة العلماء، فهم طلاَّب تلک العلوم، والخاضعون أمام العلم والعلماء.



روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال:

"لا تمارينَّ العلماء فيرفضوک، ولا تمارينَّ السفهاء فيجهلوا عليک"[4].

وروي كذلک عن الإمام الحسين عليه السلام أنَّه قال:

---

١. الآمدي: غرر الحكم، ص ٤٦٤، ح ١٠٦٤٨.

٢. العلامة المجلسي: بحارالانوار، ج ٦٥، ص ٣٤٨، ح ١.

٣. الطوسي: الامالي، ص ٣٠٢، ح ٥٩٨ - ٤٥.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

"لا تمارينَّ حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يغلبک، والسفيه يرديک"[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في موضع آخر أنَّه قال:

"لا يمارين أحدكم حليماً ولا سفيهاً، فإنَّه من مارى حليماً، أقصاه، ومن مارى سفيهاً، أرداه"[2].

٤. إحباط الأعمال الصالحة:

المراء سبب في إحباط أعمال الإنسان:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام في وصيّته لمحمد بن النعمان، أنَّه قال:

"يا ابن النعمان، إياک والمراء، فإنه يحبط عملک"[3].

٥. فسخ رباط المحبة ووثاق الصداقة:

لا يتحدَّد خطاب المراء في وجود الفرد وحده فحسب، بل تتسع دائرته فتعم المجتمع بأسره أيضاً. وهذا العمل المذموم يكون سبباً في إضعاف المحبة والوداد والتآلف في كلا الجانبين، فيصل إلى مرحلة يمكن أن تؤدي إلى زوالها عنه وتحوُّله إلى كراهية.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"إذا أحببت رجلاً فلا تمازحه ولا تماره"[4].

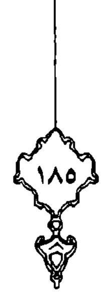
وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"لا محبة مع كثرة المراء"[5].

وقال عليه السلام أيضاً:

"ثمرة المراء الشحناء"[6].

وعنه عليه السلام أنَّه قال:



١. المحدث النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٧٣، ح ١٠٢٤١.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٩٤، ح ١٦٠٦٥

٣. المحدث النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٧٣، ح ١٠٢٤٠.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الآمدي: غرر الحكم، ص ٣١١، ح ٧١٩.

٦. المحدث النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٥.

"سبب الشحناء كثرة المراء"[1].

٦. إيجاد الحقد والنِّفاق:

إن انتقاص أقوال الآخرين واستصغار شأنهم وكلامهم تؤدِّيان إلى إضعاف رباط الصَّداقة وأجواء الثقة المتبادلة، وزوالها بعد ذلك، وتعكير صفو القلوب، وتلويثها بالآثام، كما تؤدِّيان إلى خلق أجواء الحقد والعداوة، والبغض والكراهية. وفي هذه الحالة، إما أن يظهر الشخص الحقد والعداء الدَّفينين، أو إن لم يقدر على ذلك، فإنه يتظاهر بحبّه وصداقته، ولكنه يخفي في باطنه كل ذلك الحقد والعداء، وهذا ما يسمَّى عند علماء الأخلاق، «الازدواجية» والنفاق في التعامل.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"إياكم والمراء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليها النفاق"[2].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"المراء بذر الشر"[3].

وليس المراد بالمراء سوق المرائى فعله إلى وادي الذنوب والمعاصي فحسب، بل إن الجهة المقابلة له تضطره إلى تداعي حالات من الازدواجية والنِّفاق وظهورها. ويسعى عامل المراء، في هذه الحال، إلى تصغير الطرف المقابل وإذلاله من خلال الكذب، والافتراء والاتهام، والتحقير والإهانة، أو حتى التلفظ بكلمات بذيئة وسخيفة، يتفوه بها، ويطلقها على لسانه، ليحقق بها أطماعه الدنيوية، ويصل إلى أغراضه الدنيئة.



روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّه قال:

"ويلمّه فاسقاً من لا يزال ممارئاً"[4].

---

١. المصدر نفسه، ح ١٠٦٤٦.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٠٠، ح ١.

٣. الآمدي: غرر الحكم، ص ٤٦٣، ح ١٠٦٣٢

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



فالمجتمع الذي يسعى أفراده إلى إضعاف الآخر وإقصائه، بارتكاب الأفعال المشينة والهزيلة، يكون سبباً في إسقاطه، وعدم إعارته غاية الأهمية، والتقليل من شأن أفراده، وقيمهم ومبادئهم.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

"لا تمار، فيذهب بهاؤك"[1].

ومن الواضح، في هذه المرحلة، أن رقي المجتمعات وازدهارها، ونموها وتكاملها، يتم عبر أمرين:

١- وحدة القلوب وتلاحمها، وتراحمها وتعاطفها.

٢- البناء، والتطوُّر العلميَّاني والعمليَّان والتِّقنيَّان.

فإذا شاعت الفوضى في المجتمع، وازدادت فيه حالات المراء والنزاع والسجال اللفظي، فإن ذلك يؤدي إلى إضعاف وشاح صلة القلوب وتوادها وتعاطفها، وذهاب الوحدة، وإيجاد الفرقة فيها، فالعالم لا يعرض علمه أيضاً في مثل هذه المجتمعات.

ويصاب أكثر أفراد هذه المجتمعات التي ابتليت بهذه الأمراض الخطيرة والمزمنة، بحالات من الفسق والفجور جرّاء ذلك، وجرّاء قصر النظر، وسوء الظن، وإهمال المنطق السليم أو الابتعاد عنه، فيقف هذا العلم بعدها عند هذا الحد، ولا يسمح له بالتطور والحداثة، وتكون هذه المجتمعات فارغة من القيم والمحتوى والمبادئ الحقّة.



النَّتائج الجميلة والمرضية لترك المراء

١- حفظ كرامة الإنسان:

يعرّض المراء كرامة الإنسان إلى الخطر أحياناً، ولهذا، فإن حفظ كرامة الآخرين مرهون بترك المراء.

روي عن أمير المومنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"من ضن بعرضه، فليدع المراء"[2].

---

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٦٥، ح ١٧.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٨، ح ١٦١٨٨.

٢ - الصَّون من الخطأ:

إن ترك المراء سبب في ابتعاد الإنسان عن ارتكاب الخطأ والذنوب والمعاصي.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"من كثر مراؤه لم يأمن الغلط"[١].

٣ - إيجاد التواضع:

ومن أهم آثار ترك المراء إيجاد التواضع في المجتمع.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، وأن تسلّم على من تلقى، وأن تترك المراء، وإن كنت محقاً، ولا تحب أن تحمد على التقوى"[٢].

٤ - الكشف عن الحق و معرفته:

إن من الآثار الإيجابية الأخرى لترك المراء قدرة الإنسان على كشف الحق ومعرفته، لأن تارك المراء لا يحب إظهار الباطل، ولا يدعو له.

ولهذا، فهو يبقى باحثاً عن الحق.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام السجاد عليه السلام أنَّه قال:

"إن المعرفة بكمال دين المسلم، تركه الكلام فى ما لا يعنيه، وقلّة المراء"[٣].

"ولا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً"[٤].



٥ - ثواب الآخرة

لقد أعدّ الله لتارك المراء الثواب الجزيل والأجر الجميل.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"من يضمن لي أربعة بأبيات في الجنة:

---

١. الآمدي: غررالحكم، ص ٤٦٤، ح ١٠٦٤٧.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١٢٢، ح ٦.

٣. العلامة المجلسي، بحارالانوار، ج ٦٦، ص ٣٧٨، ح ٣٤.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

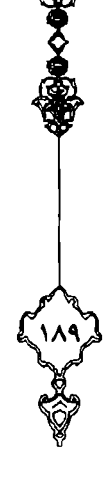
أنفق ولا تخف فقراً، وأفش السلام في العالم، واترک المراء وإن کنت محقاً، وأنصف الناس من نفسک"[1].

وروي عن النبي(ﷺ) أنَّه قال:

"أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في رياض الجنة، لمن ترک المراء، وإن کان محقاً"[2].

وأوصى الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد أنَّه قال:

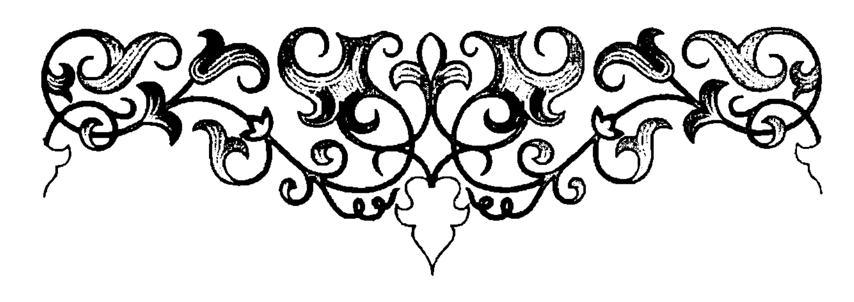
"إياک والمراء، فإنک تغرى بنفسک السفهاء، وتفسد الإخاء"[3].



١. الكليني: الكافي. ج ٢، ص ١٤٤، ح ٢.

٢. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣٧، ح ١٦١٨٦.

٣. المحدث النوري: مستدرک الوسائل. ج ٩، ص ٧٧، ح ١٠٢٥٣.



(٥)

أساليب معالجة المراء

هناك أسلوبان لمعالجة مرض المراء، وهما:

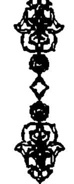
١ـ الأسلوب العلمي.

٢ ـ الأسلوب العملي.

الأسلوب العلمي:

ألف: ربما تفضى غفلة الإنسان به إلى المراء، فيكون سبباً لإصابته وتلوّثه بهذا الفعل. ولهذا، فإن الحذر والالتفات إلى آثاره المضرّة والهدّامة، في أبعاد عديدة ومختلفة، يؤدِّيان إلى اجتناب الرُّوح للمراء، وابتعادها عنه، ويسبِّبان حالات الكراهية والشحناء له، وابتعاد الفرد عنه وتركه.

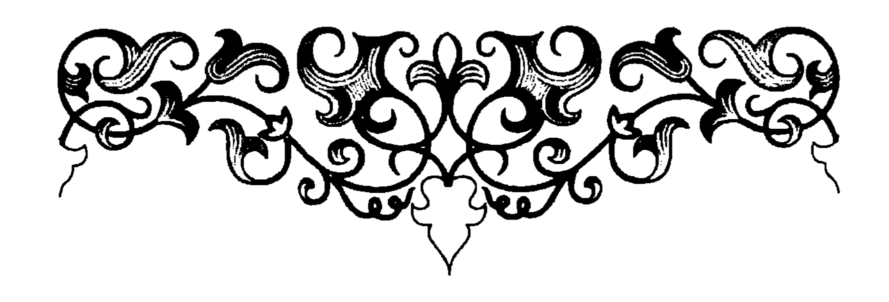
ب: يظهر التوجه و الالتفات إلى الآثار السيئة الموجودة في المراء رغبة شديدة فى معالجة هذا المرض الأخلاقي.



الأسلوب العملي:

يتم، من خلال هذا الأسلوب، في معالجة هذا المرض، المتمثِّل باتباع وسائل وطرائق علمية واضحة للقضاء على حالة المراء في الإنسان، امتلاك حسن الخلق وطيب الكلام في التعامل، والعمل على اتخاذ هذا الأسلوب الحسن، بوصفه «مَلَكةً»، في وجود الإنسان وروحه.

والجهة المقابلة له هي إزالة المراء والقضاء عليه بشكل تام.



الفصل السَّادس

الجدال

"الجدل في الدين يفسد اليقين"[1].

أمير المؤمنين علي عليه السلام

مقدمة:

إهتمَّ الدِّين الإسلامي الحنيف بالقضايا الفردية المختصة بالإنسان، وبعلاقاته الاجتماعية على وجه التحديد.

وقد سلَّط الأضواء، وركّز اهتمامه الشديد على نوع الارتباطات القولية والفعلية للمجتمعات البشرية وكيفيَّتها في هذا المجال تحديداً، كالصداقة، والأمانة، وحسن الخلق، فهذه الصِّفات من جملة الفضائل الأخلاقية التي ركّز عليها الإسلام، وأمر بها، ودعا لها جملة وتفصيلاً، وكانت موضع اهتمامه ورعايته.

وفي مقابل ما ذكر نجد الكذب، والخيانة، والبهتان، والتهمة، و... وهذه الصِّفات من الرذائل الأخلاقية التي نهى الإسلام عنها، وكانت موضع ذمِّه وكراهته.

---

١. الآمدي: غررالحكم، ص ٦٥، ح ٨٥١

والجدال: هو أحد المواضيع والقضايا الأخلاقية المرتبطة بالعلاقات القولية للإنسان مع الآخرين، وقد يظهر هذا الارتباط، أحياناً، بوصفه أحد أمراض اللّسان الظَّاهرة التى تنبغي معرفتها، ومن ثم بذل الجهود المضاعفة للتصدي لها ومحاربتها ومعالجتها، بوصفها ظاهرة خطيرة.

وكذلك ينبغى بذل أقصى الجهود، في هذا الفصل، لدراسة الأبعاد المختلفة والعديدة لهذا التعامل ومعرفته.

ويضم هذا الفصل الأبحاث الآتية:

١ - تعريف الجدال.

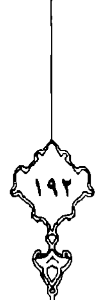
٢ - أقسام الجدال.

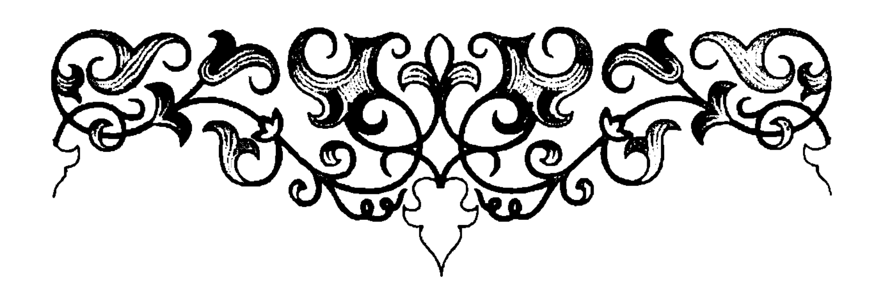
٣ - ذمُّ الجدال ومدحه في الشَّرع.

٤ - الجذور الداخلية للجدال.

٥- النتائج السيِّئة للجدال.

٦ - طرق معالجة الجدال وأساليبها.





(١)

تعريف الجدال

وردت معانٍ كثيرة لتفسير «الجدال» منها:

١ – الجدال: بمعنى الحيلة والمراوغة.

٢ – الجدال: بمعنى البناء.

٣– وجدل الأرض، أي ضربها ورفسها برجله.

معنى الجدال في علم الأخلاق:

فسّر علماء الأخلاق الجدال، في أبحاثهم، بأنه النِّزاع والتّوتر اللَّفظيَّان، والتراشق الكلامي، ليستولي كل طرف من المتنازعين على الطرف الآخر ويتسلَّط عليه، ويفحمه ويسكته.

وبناءً على هذا، فالمقصود بالجدال، في علم الأخلاق، هو تبادل الكلام والرَّدُّ اللفظي، لإسكات الطرف الآخر، والتغلُّب عليه.

أو بمعنى آخر: البحث والنقاش في القضايا العلمية أو العقدية والدينية، فهذه القضايا تعدُّ من عناوين الجدال، أيضاً، وفروعه.

الفرق بين الجدال والمراء:

للمراء، في مقارنته بالجدال، معانٍ أوسع وأعم.

فالمراد بالمراء: التَّراشق الكلامي، وتبادل الرّدود اللَّفظيَّة.

لكنه لا ينحصر في الأمور العقديَّة والدينية، بل يعمّ أموراً أخرى أيضاً.

وكذلك في المراء: إذا تفوه شخص بكلام، واعترض عليه الطرف الآخر، وانتقده ببعض الكلام، فلا حاجة لذلك في الجدال؛ إذ قد يكون المجادل هو البادئ بالكلام، بل ربما تكون معرفة معتقداته سبباً في إثارة الجدال والبدء به.

و المسألة الأخرى، هنا، هى أن يحاول الشخص إظهار نفسه في المراء، بدواعي التفاخر على الطرف المقابل، لتصغيره والاستهانة به.

ولهذا، فما دام الطرف المقابل لا ينطق بشيء، فلا يمكنه أن يدخل في المراء.

وأما في الجدال: فإن الشخص يهدف إلى إفحام الطرف المقابل بإفساد بحوثه العلمية، وفى ضوء ذلك، فلا حاجة لأن يتكلَّم الطرف الآخر بحديث ما.

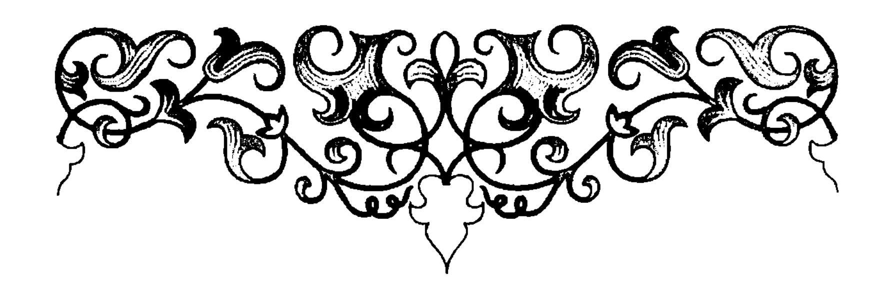
الفرق بين الجدال و التخاصم:

يطلق اسم الجدال على التراشق الكلامي فى بعض القضايا الدينية أو العلمية، أما الخصومة، أو التخاصم، فكثيراً ما تطلق على التراشق الكلامي في القضايا المالية والحقوقية.

ويكون التخاصم، أيضاً، في معنى الجدال نفسه، ويمكن في مثل هذه الموارد فصل أحدهما عن الآخر، كما يمكن فصل الحالات إحداها عن الأخرى، من خلال القرائن والقيود على الحالات الشائعة والغالبة.

ف«للجدال» و«المراء» و«الخصومة» أو «التخاصم» معانٍ متقاربة، يستخدم بعضها، أحياناً، في موضع بعضها الآخر، وبينها فوارق أيضاً تفصل الواحد عن الآخر.





(٢)
أقسام الجدال

يعدُّ بحث الجدال من البحوث المنطقية التي ذكرها علماء المنطق في قسم الصِّناعات الخمس[١]، و كان لهم نقاش في هذه القضايا، ونقد لها، فقسّموا مواد القياس إلى خمسة أنواع، كان الجدال أحدها.

ويتركب الجدال القياسي من «المسلَّمات» و«المشهورات».

أما المسلَّمات فهي تلك القضايا التي قبل بها كل من المجادلين، ويطلق عليها اسم «المسلَّمات».

أمَّا المشهورات فهي تلك القضايا المشهورة بين الناس (العقلاء)، يصدقون بها، كحسن العدالة وإكرام الآخرين، وقد أطلق عليها اسم «المشهورات».

ويمكن تحليل المسائل العقديَّة أو العلمية من ثلاث زوايا مهمَّة، وهذه الزوايا جميعها تنتج أقساماً أخرى للجدال، وهي:

الف: دواعي الجدال.

---

١. الصناعات الخمس هي آخر قسم من منطق أرسطو، و فيه تم البحث عن مواد القياس، وهي عبارة عن: الف: البرهان، ب: الجدل، ج: الخطابة، د: المغالطة، هـ: الشعر. وقد عد البرهان من بينها أعلى ميزانا وقيمة، ثم تلاه في الأهمية «الجدل» ثم الخطابة..

ب: كيفية الجدال.

ج: مواد الجدال وآلياته.

ألف: دواعي الجدال:

كلما حصل جدال علمي، أو عقدي، بين شخص ما، في موضوع معين، وطرف آخر، أو إذا كانت للمجادل أهداف وطموحات إلهية معينة من ذلك الفعل، تجده يهدف من هذا الجدال إلى أمرين، هما:

١ - الهدف الشَّيطاني.

٢ - الهدف الإلهي.

١ - الهدف الشَّيطاني:

يتمثَّل هذا الهدف عندما يريد الشخص البروز والتفاخر على الآخرين من خلال الجدل، فهو يصبو إلى تحقيق دواعٍ وأغراض نفسيَّة وشيطانية.

ويتحقَّق هذا الهدف والغرض بأساليب وحالات متعددة، فمرة يحاول الشخص إيذاء من أذلّه وأضرّ به، ومرَّة أخرى يسعى إلى تحصيل المقام أو المال، أي أنه يحاول عن طريق الجدل التغلّب على الطرف الآخر، ليجذب إليه أنظار الآخرين أكثر من غيره، ويستخدم هذه الإمكانات لصالحه عبر هذه الأساليب.

وهذا هو أحد الألاعيب و الخدع الشيطانية لإضلاله.

"روي أن رجلاً قدم على الإمام الحسين عليه السلام، فقال له: اجلس حتى نتناظر في الدين! فقال عليه السلام: يا هذا، أنا بصير بديني، مكشوف علي هداي، وإن كنت جاهلاً بدينك، فاذهب فاطلبه، ما لي وللمماراة!. وإن الشيطان ليوسوس للرجل، ويناجيه ويقول: ناظر الناس في الدين، لئلا يظنّوا بك العجز والجهل"[1].

تبيّن هذه الرواية كافة الجوانب الشيطانية لهذه الأمور، وتتبعها أضرار مضاعفة، وخسائر فادحة في العدد والعدّة.

---

١. المائدة (٥): ٣٢.

٢ - الهدف الإلهي:

قد يجادل بعض الأشخاص في الله، و هم إما يرجون من ذلك إفهام الجاهل وإرشاده، ويصطلح على ذلك بمفهوم «إرشاد الجاهل»، أو إرشاد الضال وهدايته، فيدله على الطريق الصحيح، و يصطلح عليه بمفهوم «إرشاد المضلّ».

و قد اصطلح علماء الأخلاق على هذا النّوع من الجدل فسمُّوه «الركن الأعظم» في الدِّين، لأن هذا العمل يحيي روح الإنسان.

قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

{**من أحياها** «أي النفس» **فكأنما أحيا الناس جميعاً**}[١].

وليس الإحياء هنا، إشباع الجائع، أو إنقاذ أحد من الموت المحتّم، أو التشويهات الخلقية، أو ابتلاءات الجسم بها فحسب، بل هو أمر أوسع وأسمى من ذلك. فإنقاذ أحد من الموت المحتّم أو الموت الجسمي والبدني، هو حالة مرحلية ووقتية، وليست خالدة ودائمة أبداً.

وأما الحياة الروحية والمعنوية للإنسان، فهي حالة باقية وخالدة. فالجدل يمكن أن يحقق أهدافاً وأغراضاً حسنة ومقاصد معنوية وإلهية.

وقد مدحت الآيات والروايات هذا النوع من الجدل، وأثنت عليه.

وكذلك يمكن أن يحقِّق أهدافاً ومقاصد شيطانية وشرّيرة، وقد ذمّت الآيات والروايات هذا النوع من الجدل، وانتقصته.

ب: كيفية البحث و الجدل:

يمكن فرض ثلاث صور لهذه الحالة، وهي:

١ - استخدام العنف والإهانة في الجدال:

قد يرافق الكلام والبحث مع الآخرين حالات من العنف والغلظة، مشوبة بأسلوب الإهانة والإساءة والسخرية.

وفي هذه الحالة، وإن كان الطرف المقابل جاهلاً، ومحاطاً بالشبهة والغموض من

---

١. المائدة (٥): ٣٢.

هذا التصرف، ويحاول المجادل بدواعٍ وأغراض إلهية إزالة تلك الشبهة عن ذهنه، إلا أنه بهذا الأسلوب، يصدّ الطرف المقابل عن الوصول إلى الحقيقة، ويدفعه إلى الانغماس في منزلقات الباطل، فقصد المجادل، وإن كان إلهياً وإنسانياً، إلا أنه يقف في مواجهة الباطل ويتحدّاه، لأن ما اختاره للبحث والحوار، لن يعطي انعكاسات إيجابية أو يؤدي إلى نتائج مطلوبة، وقد اصطلح على تسمية هذا الجدال بـ «بالجدال القبيح أو المذموم».

٢ ـ استخدام اللِّين والمداعبة في الجدال:

يكون المجادل أحياناً هادئاً وليِّناً في جداله مع غيره، و هو يهدف من ذلك إلى إقناع الطَّرف الآخر، وإبعاده عن معتقده، وعن رغبته الباطلة والفاسدة. فهو يستمع وبآذان صاغية إلى الطرف الآخر، ويسعى إلى تقريبه أكثر فأكثر بصبر وتحمّل إلى أهدافه التي يطمح إلي الوصول إليها وتحقيقها، وهذا ما اصطلح على تسميته بـ «الجدال الأحسن».

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**}[1].

وقد أمر الله سبحانه في هذه الآية نبيه(ﷺ) بالجدال الأحسن.

٣ ـ الحالات الاعتيادية و المتداولة في الجدال:

إن على المجادل، في حالة الجدال، أن لا يسيء إلى مخاطبه، أو يتعرض له بسوء الكلام، أو يؤذيه، وأن لا يجادله بلين وعطف مفرط وشديد، بل يبيّن الحق بشكله الاعتيادي والمتعارف عليه، ويقال لهذا الحوار «الجدال الأحسن»، فهو حسن و ممدوح باللحاظ الكيفي، ولا يغضب المخاطب، ولا يحزنه، وإنما يقال له «الجدال الحسن» أو «الأحسن».

وذلك لأنه، إضافة إلى الأساليب المتعددة المذكورة، يتم بمقاصد وأهداف إلهية.

١. النحل (١٦): ١٢٥.

ج: مواد البحث و الجدال:

يتم تحليل الجدل أحياناً ودراسته، وذلک من خلال «المواد» المستخدمة فيه، وقد تم تصنيفها إلى قسمين:

١ - المَوادُّ الصَّحيحة:

تعنى الموادُّ الصَّحيحة أن يستخدم الشخص الأساليب والطرق الصحيحة والمحقّة لإثبات الحق وإبطال الزيغ والعقائد الباطلة، ويكون النِّزاع مع الطَّرف الآخر جدالاً حسناً، فيستفيد المجادل من المسلّمات التى يقبلها غيره، فى خطابه معه، فيثبت إبطال ما يعتقد به.

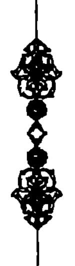
٢ - المواد غير الصحيحة و الباطلة:

يستخدم الشخص، أحياناً، مواد باطلة لإثبات الحق، و إقناع الطرف المقابل، ولهذه الحالة وجهان:

الوجه الأول:

أن يستخدم الشخص الكلام الباطل نفسه الذي يستخدمه الطرف الآخر أيضاً في الحوار لإثبات الحق وإقناع غيره.

أي أنه يتمسک بالأسلوب الباطل نفسه الذى يستخدمه محاوره لإثبات أحقيته، فيستغل كلامه لصالحه، ويسيطر عليه في الموقف والاتجاه، ويخرج منتصراً في النتيجة، ومن ثم يقنعه بقبول الحق.



الوجه الثاني:

أن يكون إبطال الكلام الباطل للشخص الآخر عبر إنكار الأدلة الحقّة، فيتوسل الطرف المقابل بغير حق بتلک الأدلة لإثبات باطله، والمجادل في الجهة الأخرى يحاول إغلاق الطريق عليه، من خلال إنكاره للحق، لكي يعجز الطرف المقابل له عن إثبات باطله.

ويحصل هذا الجدل فيما إذا فقد الطرف الآخر المقابل القدرة علي البحث عن المواد، وكان ضعيفاً في البحث، ولهذا أطلق على هذا الجدال تسمية «الجدال غير

الحسن».

إن الجدال والبحث العلمي والديني الصحيح والممدوح هو: استخدام الإنسان المواد الصحيحة والحقّة وإقناع الطرف المقابل.

المخاطب في الجدال:

يمكن تقسيم الجدال، أيضاً، من ناحية قبول المخاطب إلى قسمين:

١ - المخاطب الجاهز والمستعدّ:

قد يجادل الطرف الآخر أحياناً في الكلام، ولكنه يقنع بالأمر الواقع ويسلّم بالأمر الحق في نهاية المطاف. فتراه يجادل بهذا القصد، لتتضح له الحقيقة، وتنكشف الأوراق على ما هي عليه، فإن رضوخه للحق هو أهم من عقيدته. فإذا توصل إلى أحقية المجادل، وإقناعه عبر هذا الحوار الهادئ، فسيرفض مبدأه الأول، ويخضع للأمر الواقع، ويرفع يده عن اعتقاده السابق.

٢ - المخاطب اللَّجوج:

قد يجادل الطرف الآخر، أحياناً، فيرفض الحق ولا يرتضيه، ولا يقبل به من أحد، ويبقى مصراً على عقيدته وحده، فإذا توصل إلى أحقّية المجادل، فلا يسلّم له بذلك، ويرفضه، ويبقى مصراً على مواقفه، وثابتاً على قراره.

موضوع الجدال:

يمكن تقسيم الجدال، من حيث أهمية الموضوع إلى عدة أقسام:



١ - موضوع مفيد:

يتمثَّل محور الجدال، أحياناً، في موضوع في منتهى الأهمية، ويستدعي البحث والنقاش، كالبحث في كثير من القضايا العقديَّة أو العلمية التي لها فوائد واستخدامات عديدة لأصحاب الجدل والقائمين المشرفين في شؤون الإدارة والصيانة.

٢ - موضوع غير مفيد:

و ينصبّ البحث، أحياناً، على قضية لا يستلزم إيضاحها أي فائدة أو أثر عقلائي

للمتجادلين.

تقسيم آخر للجدال محوره موضوع الحوار:

١ - الجدال في موضوع قابل للفهم:

تخضع كثير من الموارد الخاصّ بالبشر، لحدود فهم الإنسان وإدراكه. فالبحوث العلمية التي تضم جملة من الأمور الطبيعية أو الإنسانية، أو الحوارات الدينية في شأن أصل التوحيد، وسائر الأصول وفروع الدين هي أبحاث يمكن للبشرية التوصُّل من خلالها إلى الحقيقة، والعثور عليها من خلال البحث العلمي والتحقيق وسؤال العلماء والناشطين في مجال البحث العلمي والتقني.

٢ - الجدال في موضوع غير مفهوم:

لا تخضع بعض الأمور، ضمن الإطار العام، إلى فهم البشرية وتصوُّرها، ولا سبيل للوصول إليها، فالذات الإلهية هي من جملة الأمور التي لا يمكن حصرها في تصور الإنسان وفهمه وإدراكه، ولا يوصل التأمل والتفكير فيها إلى الطريق المسدود. فالأصول العقديَّة إما هي من جملة المواضيع التي تخضع للفهم البشري، كالتوحيد الذي يعدّ من الأصول المهمَّة والضرورية للدين، أو هي من جملة المواضيع التي لا يمكن فهمها وإدراكها كالذات الإلهية.

يقول علماء الكلام في هذا الموضوع:



لا يدرك الإنسان كنه ذات الله ومعرفة حقيقته، ولكنه يعرف أموراً مجملة عنه، من دون أن يصل إلى عمق باطنها تفصيلاً، من قبيل: «إذا لم يكن ممكناً اصطياد العنقاء، فلا توقعها في الفخ، وارفع عنها حواجز الصَّيد».

روي "بينا عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة، إذ قام إليه رجل يقال له «ذعلب»، ذرب اللّسان، بليغ في الخطاب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟

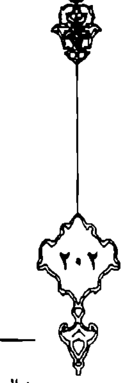
فقال له عليه السلام:

ويلك، يا ذعلب، ما كنت أعبد ربّاً لم أره؟!.

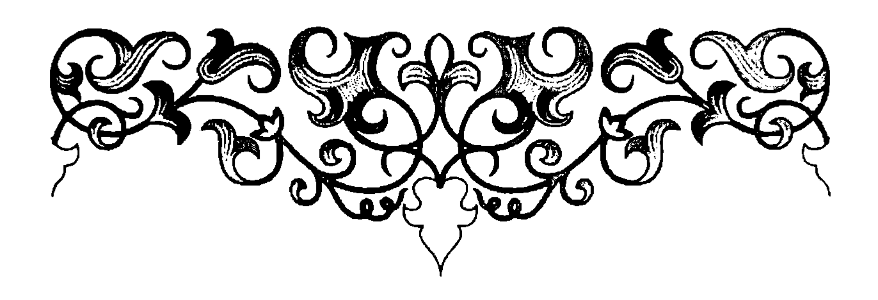
- أراه بعين قلبي، لا بعين جوارحي" ثم فصّل عليه السلام كثيراً من القضايا الغامضة

والصعبة المعقدة، وتلا أبياتاً من الشعر، جاء فيها:

فاترك أخا جدل في الدين منغمقاً * قد باشر الشك فيه الرأي مأووفاً"[1].



١ العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٤، ص ٣٠٥، ح ٣٤.



(٣)
ذمُّ الجدال ومدحه شرعاً

انصبَّت البحوث والدِّراسات القرآنية والرِّوائية على موضوع الجـدال فـي جهتـين أساسـيتين هما:

١ ـ ذمُّ الجدال شرعاً:

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا}[١].

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"الجدل في الدين يفسد اليقين"[٢].

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن علي عليه السلام أنَّه قال:

"لعن الله الذين يجادلون في دينه، أولئك ملعونون على لسان نبيه"[٣].

---

١. غافر: (٤٠): ٤.

٢. الآمدي: غرر الحكم، ص ٦٥، ح ٨٥١.

٣. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٢، ص ١٢٩، ح ١٣.

٢ ـ مدح الجدال شرعاً:

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}[١].

فلفظة «جادلهم»، في هذه الآية، فعل أمر، فقد أمر الله، سبحانه وتعالى، نبيَّه الكريم بأن يجادل الناس بأفضل الجدال وأحسنه، وهو يوضح أن الجدال الذي أوصى الله تعالى به نبيّه ليس مذموماً ولا قبيحاً.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"نحن المجادلون في دين الله"[٢].

ويمكن أن يظن الإنسان، للوهلة الأولى، لدى قراءة هذه الآيات و الروايات، وجود التضاد والتضارب بينها، ولكنه وبعد إعمال الدقّة والتأمل في أقسام الجدال، يعرف جيداً عدم وجود هذا التضاد والتضارب أبداً.

حكم أقسام الجدال شرعاً:

ألف: الجدال لأهداف ومقاصد غير إلهية:

ينبغي أن يكون «الجدال الحسن»، في البحوث العلمية أو الدينية، ذا دوافع و مقاصد إلهية.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"اجعلوا أمركم لله، ولا تجعلوه للناس، فإنه ما كان لله فهو لله، وما للناس، فلا يصعد إلى الله، ولا تخاصموا الناس لدينكم، فإن المخاصمة ممرضة للقلب"[٣].



تشير هذه الرواية إلى أن الجدال، إن خضع لمقاصد وأغراض غير الهية، فهو غير مطلوب ومذموم.

وقد أجاب الإمام الحسين عليه السلام من دعاه إلى الحوار، فقال:

١. النحل (١٦): ١٢٥.

٢. الطبرسي: الاحتجاج، ج ١، ص ١٥، ح ١.

٣. الكليني: الكافي، ج ١، ص ١٦٦، ح ٣.

"إن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه، ويقول: ناظر الناس في الدين لئلا يظنوا بك الفخر والجهل"[1].

لقد نهى الشارع الإسلامي عن الجدال النابع من هوى النفس، لأن البحث والحوار وإن كانا علميَّين، يمكن أن يصدرا عن دوافع وأغراض فردية نفسيَّة وشيطانية، كما لو انحصر الهدف فقط في الغلبة على الطرف الآخر، فهذه الصفة من الرذائل الأخلاقية، وهدفها إنما هو عبادة هوى النفس وشهوة المقام والقوَّة.

ب – الجدال العنيف:

ينتقد العقلاء الحوار الذى يجرى بأساليب قاسية وعنيفة بعيدة عن الهدوء، لا سيما إذا رافقه توجيه الإهانة والشتائم والسباب بين المتخاطبين. وهذا الفعل حرام شرعاً، فالحدَّة والغلظة في الجدال لا يقرّبان إلى الحق، بل يبعدان عن الحقيقة، ويسوقان باتجاه هوَّة الجدال السحيق.

وقد نهى الله، عز وجل، في القرآن الكريم، عن الجدال «غير الحسن» مع أهل الكتاب، فقال سبحانه وتعالى:

{لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم}[2].

إنَّ نهي الباري، عز وجل، عن أي جدال غير حسن هو دليل واضح وصريح على ذم الجدال الحادّ والقاسي، ولا سيّما إذا كان يصدر من منطلق الإهانة والسباب والشتائم. ويشمل الجدال الجدال غير الحسن والجدال القبيح، باعتبار أن المجادل يستخدم العنف والألفاظ المهينة والعبارات القبيحة، كما يضمّ كذلك «الجدال الحسن» أيضاً، فالمجادل يناقش المخاطب في وضع عادي وطبيعي.

والسؤال هو: هل يسمح للمجادل باستخدام «الجدال الحسن»؟ أو أنّ «الجدال الأحسن» وحده ممدوح ومرضي؟.

يتضح، من خلال التدقيق والتعمُّق في هذا المقطع من قوله تعالى: «**إلا الذين ظلموا منهم**»، أنه ليس من الضروري التعامل طبقاً لمبدأ الجدال الأحسن مع الظالم الذي يستغل

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص٧٤، ح ١٠٢٤٤.

٢. العنكبوت (٢٩): ٤٦.

الخلق الحسن والتَّعامل الجيِّد. ولما كان الجدال القبيح مذموماً أيضاً، فلا يبقى طريق آخر سوى الجدال الحسن. ويثبت في ضوء ذلك، جواز الجدال الحسن مع أمثال أولئك الأفراد.

يعني: أنه لو كان هناك جدال حسن وحوار هادئ وصريح مع المسيئين لأصحاب الخلق الحسن، فلا حاجة بعد ذلك إلى التعامل والجدال بالتي هي أحسن، بل يمكن القول: بتقدم المجادلة بالحسن مع أمثال هؤلاء على المجادلة بالتي هي أحسن.

ج: الجدال باستخدام الطرق غير السليمة:

إن استخدام الأساليب غير المشروعة وغير الحقة والزائفة في البحث والحوار، يعدّ مورداً آخر للجدال المذموم، و لكن توجد هناك شبهة، وهي:

- هل نهت الآيات والروايات عن إثبات الحق بأساليب باطلة أو لا؟

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان رجيم}[1].

وقال تعالى:

{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير}[2].

فما ورد، في قوله تعالى، «يجادل في الله»، يعني به الجدال عن الله، ولكن بما أنه يكون من دون معرفة وعلم، فقد نهى الله تعالى عن اتباعه وفعله، فلو أراد شخص البحث مثلاً مع مخاطبه ممن له عقائد باطلة، ومن دون أن يمتلك أي معلومات أو خلفية ثقافية للتخاطب والحوار معه، فيلجأ إلى الاستمرار في أدب الحوار، وذلك باستخدامه كافة السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة، وإن كانت باطلة ومزيفة، لإثبات الحق.

وقد أكّد الأمر القرآني على عدم ضرورة الجدال مع أمثال هؤلاء، ولزوم نبذهم وتركهم، لعدم امتلاكهم القدرة على النَّقد والحوار والقابليَّة لذلك، ولعدم تحقق إرادته (أي إقناع الطرف الآخر). بل يساعد ذلك أكثر ما يكون على الانحراف.

---

١. الحج (٢٢): ٣.

٢. المصدر نفسه: ٨.

د: الجدال مع المعاند اللَّجوج:

إن فتح باب الحوار والنقد مع من يرفض منطق الحق والصواب، ويصرّ على مواقفه الباطلة وعقائده الزائفة، هو عديم الجدوى، لإنه يردى الإنسان أحياناً في مطبّات ومهالك ليس فيها طائل.

فعلى المجادل أن يراعي، في أدب الحوار، كافة الجوانب والجهات، أي أن أهدافه ودواعيه هي: هداية هذا الشخص، فيستخدم في حواره: اللّين، والهدوء، وتكون أساليبه صحيحة أيضاً. ولكن ربما يرفض هذا الأسلوب مع وجود كافة هذه الصفات والميزات للطرف الآخر، فلا يسلّم بما يقال له، ويرفض هذا النهج ويعانده، ولو كان البحث والحوار متَّصفين بالمواعظ والنصائح أيضاً!.

وفي كافة هذه الحالات، فبما أن هناك إمكان حالة عدم الجدوى والقبول، فلا ينبغي الدخول في مثل هذا البحث أيضاً.

ومن الواضح، هنا، أنَّه لا يوجد أحد كالنبي(ﷺ) في هداية الأمة وإنقاذها من الضلال، وحرصه على إيقاظها وتوعيتها، وإخراجها من الجهل والانحراف، فكان شديد التأثر عندما يرى ضلال الناس وانحرافهم، وجهلهم ورفضهم الانصياع لدعوة الحق وقبول المبادئ السامية، فخاطبه سبحانه وتعالى بقوله:

{إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضلّ}[1].

ولا يعني هذا أن أسلوب النبي(ﷺ) ونهجه هما أسلوب خاطئ ونهج منحرف، بل كان النبي(ﷺ) قلقاً على حالهم ومستقبلهم، فخاطب الله عزّ وجلّ نبيه الكريم(ﷺ) بقوله:

{إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}[2].

وليست الهداية الواردة في الآية بمعنى الدلالة والإرشاد، بل بمعنى الإيصال إلى المطلوب، لأن الدلالة والإرشاد، هما من وظائف النبي(ﷺ)، أما الإيصال إلى

١. النحل (١٦): ٣٧.

٢. القصص (٢٨): ٥٦.

المطلوب، فهو من خصائص فعل الله عزّ وجل، فهو يهدي من يشاء إلى صراط يقرّبه إلى السعادة.

وفي ضوء ما ذكر، فإن الهداية هي من خصائص عمل الله عز وجل، ولهذا خاطبه الله سبحانه وتعالى لتهدئة قلبه(صلى الله عليه وآله)، ورفع حالة القلق عنه(صلى الله عليه وآله) فقال له:

{**إن تحرص على هداهم...**} الآية.

روي أن أحد أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يدعى همام، سأله عليه السلام أن يصف المتقين، فلما وصفهم له غشي على همام وقضى نحبه ومات.

لقد كان المجال للتعليم وتنشئة الروح مفتوحاً جاهزاً جداً، فكان لكلام الإمام عليه السلام كلّ ذلک التأثير العجيب والانطباع المدهش الذي تركه على روح همام وعقله وفكره.

ولكن النبي(صلى الله عليه وآله) قد يلتقي بأبي جهل وأمثاله، فلا يمكن أن يزرع حب الله ورسوله في قلبه، لعدم الاستعداد للتقبُّل والهداية، فكان النبي(صلى الله عليه وآله) يكلّف نفسه مشقة ومعاناة شديدتين، ويبذل أقصى الجهد لأجل هداية هؤلاء الأشخاص. ولذلک السبب، خاطبه الله سبحانه وتعالى قائلاً:

{**ولو شاء ربُّک لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**}[1].

وفي ضوء ما سبق، فإن الجدل وإثارة النقاش والحوار مع من لا يحتمل التأثير فيهم أمر عديم الجدوى ومن دون فائدة، والأسوأ من ذلک، من يرفض منطق الحوار ولا يخضع لمنهج الحق وكان من أهل الفتنة، وأمثالهم، لا أنهم يرفضون هذا المبدأ وهو منهج الحق فحسب، بل يقفون بوجهه متحدّين له بشتى الأساليب والوسائل المضلّلة، ويتآمرون عليه بكل ما أوتوا من قوّة.



روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال:

"إياكم و جدال كل مفتون[2]، فإن كل مفتون ملقّن"[3].

---

١. يونس، (١١): ٩٩.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠١، ح ٢١٣٤٨.

٣. المفتون: من وقع في حبائل الشيطان، و اغترّ به، و كان من أهل الفتنة.

إن لكلّ مفتون أمراً قد ألقاه الشيطان في روعه، وفتنه في قلبه، فلا فائدة في الحوار والجدل العلمي والموضوعي معه ومع أمثاله، فليستمرّ هؤلاء في غيّهم وضلالهم، وليخطوا خطوات، أو يبذلوا جهدهم لإصلاح عقائدهم الفاسدة وأفكارهم المنحرفة، فلا مجال لقبول الحق في أنفسهم أبداً!. لكونهم يرفضون هذا المبدء والسلوك منذ البداية، فينبغي التَّدقيق في معرفة حالات هؤلاء وتصوراتهم لمعرفة معتقداتهم فى القضايا الدينية والاعتقادية؟ هل هم ممن ملأت الدنيا أبصارهم وقلوبهم، فافتتنوا بها، أو أنهم ما زالوا لم يفتتنوا بها، وكانوا ممن يرجون الهداية؟.

فإن كانوا من المجموعة الأولى: فلا جدوى في الجدال والحوار معهم.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته عند وفاته أنَّه قال:

"دع المماراة ومجازاة من لا عقل له ولا علم"[1].

لعدم الجدوى في البحث والنقاش مع أمثالهم، فالجدال معهم ليس "الجدال الأحسن".

أما إذا كانوا من الصنف الثاني، فالحوار معهم بتلك الشروط والظروف الخاصة، هو جدال أحسن. وقد أمر الله تعالى به الأنبياء، ولزوم تطبيقه في أفعالهم وسلوكهم.

وتنبغي موازنة سعة فهم الأشخاص وقدرة استيعابهم وإدراكهم أيضاً، ليكون البحث والحوار معهم فى ضوئه بالمستوى المطلوب.

هـ ـ الجدال في موضوع عديم الجدوى:

إن البحث في الأمور عديمة الجدوى هو عبث لا طائل من ورائه، وقد ذمه العقلاء والشارع الإسلامي، فالإنسان، وبمقتضى حكم فطرته وعقله، يبحث عن أمور تفيده، وذات نتائج في حياته الخاصة والعامة، ولهذا، فلا يفيده الجدال عديم الجدوى مطلقاً، وهو بحكم الفطرة والعقل السليم غير صحيح.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام، في وصيته لعبدالعظيم الحسني عليه السلام، أنَّه قال:

"يا عبدالعظيم، أبلغ عني أوليائي "السلام"، وقل لهم: لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً، ومرهم بالصدق في الحديث، وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت،

---

١. العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٢٩، ح ١٤.

وترک الجدال فی ما لا یعنیهم"[1].

وروي في حديث طويل عن النبي الأكرم(ﷺ) أنّه قال:

"وأما علامة المتكلّف فأربعة، الجدال فی ما لا یعنیه"[2].

و: الجدال في الموضوع غير المفهوم:

إن البحث والحوار في الموضوع غير المفهوم للإنسان وتصوره هو عديم الجدوى والفائدة، بل مضر له أيضاً.

وقد ذم العقل والشرع هذا النوع من البحث والجدال.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

"تكلّموا في خلق الله، ولا تكلّموا في الله، فانّ الكلام في الله لا يزيد الا تحيّراً"[3].

إن الذات الإلهية هي أعلى وأسمى من نطاق عقل الإنسان وإدراكه، فلا يفهم البشر سوى ما يحيط به من عالم الخلق، ولكن ليس له أي تصور عن ذلک، فذاته الطاهرة هي أسمى من تصويرها، فلا صورة لها ولا يمكن تعريفها:

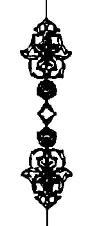
"حدّه أن لا يحد"[4].

ولا فائدة ولا أثر في الجدال في مثل هذه الأمور سوى تكرار الكلام.

لذا، نهى الشارع الإسلامي المقدّس عنه.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"إياكم والجدال، فإنه يورث الشک في دين الله"[5].



وحذّر أمير المؤمنين عليه السلام من الجدال فقال:

"ومن تخلّف عنا هلک"[6].

---

١. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١٠٢، ح ١٠٣٤٩.

٢. الحسن بن شعبة: تحف العقول، ص ٢١.

٣. الصدوق: التوحيد، ص ٢٥٤.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٢، ص ١٣٨، ح ٤٩.

٦. المحدث النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٥.

وهناك بعض الأمور في مجال العقل لا تنحصر مع أي إنسان حتى مع سعة وساحة عظمة المعصومين عليهم السلام أيضاً.

والبعض الآخر هو خارج عن تصوُّر الأغلبية، وقدرة فهمهم واستيعابهم.

ز: الجدال الأحسن:

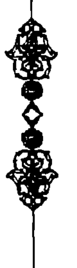
ذم العقل والشرع أي جدال وحوار في قضايا ومسائل علمية ودينية مطلقاً، وأثنى على بعض أنواع الجدال الأخرى، كالجدال الذي يحصل «بعيداً عن هوى النفس» «بلسان عذب وخطاب ملائم» «ومواد صحيحة» وفى «موضوع قابل للفهم ومفيد».

فقد أثنى الله، سبحانه، على هذا النوع من الجدال، وأوصى، في كثير من الآيات القرآنية والأخبار والنصوص الروائية بذلك. ومن جملتها ما روي عن النبي(صلى الله عليه وآله)، ومناظرات ولقاءات الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتحديداً ما روي عن الإمام الباقر والصادق والرضا والجواد عليهم السلام.

روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنَّه قال:

ذكر الجدال في الدين عند الإمام الصادق عليه السلام، وقيل: إن النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين عليهم السلام نهوا عن الجدال، فقال عليه السلام:

"لم ينه عنه مطلقاً، لكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله يقول: {**و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**} وقوله تعالى: {**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**} فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين، والجدال بغير التي هي أحسن محرّم، وحرّمه الله تعالى على شيعتنا، وكيف يحرّم الله الجدال جملة، وهو يقول: {**و قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى**}. قال الله تعالى: {**تلكم أمانيّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**} فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدال بالتي هي أحسن.



قيل: يا ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله): فما الجدال بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن؟

قال: أما الجدال بغير التي هي أحسن: أن تجادل مبطلاً، فيورد عليك باطلاً، فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى، ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً، يريد ذلك المبطل

أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق، مخافة أن يكون له عليك فيه حجة، لأنك لا تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام على شيعتنا، أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم، وعلى المبطلين.

أما المبطلون: فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته، وضعف في يده، حجة له على باطله، وأما الضعفاء منكم: فتغمّ قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل.

وأما الجدال بالتي هي أحسن، فهو ما أمر الله تعالى به نبيّه: أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت، وإحياءه له، فقال الله حاكياً عنه: {**و ضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام و هي رميم**} فقال الله في الرد عليه، قل يا محمد: {**يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم.الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون**} فأراد الله من نبيّه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى: {**قل يحييها الذي أنشأها أول مرّة**}. أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى، بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته، ثم قال: {**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً**}، أي إذا كمن النار الحارّة في الشجر الأخضر الرطب، يستخرجها، فعرّفكم أنه على إعادة ما بلي أقدر. ثم قال: {**أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى، وهو الخلّاق العليم**}، أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف جوّزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم، ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي.

قال الصادق عليه السلام: "فهذا الجدال بالتي هي أحسن، لأن فيه قطع عذر الكافرين، وإزالة شبههم".

أما الجدال بغير التي هي أحسن: فهو أن تجحد حقّاً لا يمكنك أن تفرّق بينه وبين باطل من تجادله، وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحقّ، فهذا هو المحرّم، لأنك مثله، جحد هو حقّاً، وجحدت أنت حقّاً آخر[1].

---

١. العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٢٥، ح ٢.



لقد اختُصّ الأئمة المعصومون عليهم السلام بتلامذة وأصحاب امتلكوا كفاءات وقدرات عالية وقابليات متطورة في البحث العلمي والجدال والحوار والمناظرة، وكانوا عليهم السلام يشجعون غيرهم أيضاً على هذا الأمر المهم.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام في مدح هشام بن الحكم - وهو أحد تلامذته المقربين البارزين والكفوئين المختصين بعلم الكلام - فقال:

"هشام بن الحكم رائد حقّنا، وسائق قولنا، المؤيد لصدقنا، والدافع لباطل أعدائنا، من تبعه واتبع أثره تبعنا، ومن خالفه وألحد فيه، فقد عادانا وألحد فينا"[1].

وأشار عليه السلام في موضع آخر إلى قدرة هشام وكفاءته، وأمره عليه السلام بالكلام والتحدث إلى الناس فقال:

"يا هشام، لا تكاد تقع تلوي رجليك إذا هممت بالأرض، طرت مثلك، فليكلم الناس، فاتق الزلّة، والشفاعة من ورائها إن شاء الله"[2].

وهناك أمر آخر في شأن البحث والجدال مع الآخرين، وهو:

إنّ على الإنسان أن يقارن قدرة فهم من يرتبط بهم في البحث والنقاش ومدى استيعابهم، وأن يعرف الآليات والوسائل التي يستخدمها في التعامل، وطرق التفهيم والإيضاح.

فإذا عرف سعة فهم الطرف الآخر واستيعابه مثلاً من خلال «البرهان»، ينبغي مخاطبته بطرق عقلانية وبرهانية، للتوصل إلى نتائج مطلوبة.



أما من ليس لهم استيعاب وفهم بالأدلة البرهانية والفلسفية والقدرة الكلامية والمعرفة بالاستدلال المنطقي، فينبغي التحدث معهم والتحاور بشكل خطابي وحالات الوعظ.

أما إذا امتلك الشخص قدرة فهم واستدلال في حدِّها المتوسط، فيمكن إبعاده عن اعتقاده الفاسد بالجدل، واستخدام الأمور المسلّم بها أو المشهورة في التحاور والعمل.

ويمكن تقسيم البشر، من هذه الزاوية، إلى ثلاث فرق هي:

---

١. عبد الله بن نعيمة: هشام بن الحكم، ص ٦٦.

٢. الكليني: الكافي، ج١، ص ١٧٣، ح٤.

القوي، والمتوسط، والضعيف.

وينبغي أن ينصبّ البحث عما يسع كل فرقة منها.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{ادع إلى سبيل ربک بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}[1].

تبين هذه الآية المباركة ثلاثة أساليب في الدعوة إلى الله،و لعل فيها إشارة إلى هذه الأمور الثلاثة المتقدمة.

بمعنى أن الشخص المخاطب إن امتلک قدرة فهم عالية، مع الحكمة والبرهان، والقدرة على الاستدلال، فتكلّم معه، أما إذا كان ضعيفاً وعاجزاً عن ذلک، فليكن بالموعظة الحسنة.

وإذا امتلک قدرة واستطاعة من الفهم في حال متوسطة، فجادلهم بالتي هي أحسن.

ومن كانت له قدرة عالية أو متوسطة أيضاً، فالموعظة له مثمرة ومفيدة، وهي تساعده في الوصول إلى الحق.

أما الموعظة، فهي تنفع كثيراً مع من لم تكن لهم قدرة ومعرفة كافيتان في البرهان والاستدلال، لكي يعرفوا عقائدهم الباطلة.

أما الجدال فهو من جملة الطرق التي أمر الله به أولياءه وأنبياءه لإنقاذ البشرية من الضلال، وهدايتهم من خلاله.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"نحن المجادلون في دين الله"[2].



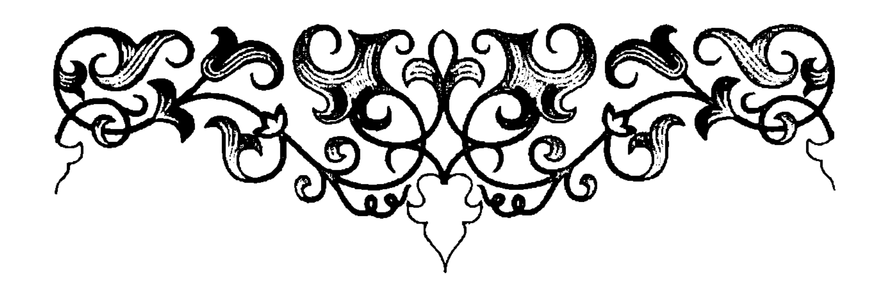
والمراد، هنا، من قوله: «نحن» الأنبياء، فهم مأمورون، ومن خلال البحوث العلمية والدينية، بدعوة الناس إلى الله سبحانه وتعالى وبأفضل الأساليب والطرق المقنعة وأكملها، فمن ينصر الله، ينصره.

روي عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنّه قال:"من أعاننا بلسانه على عدونا، أنطقه الله بحجته يوم القيامة بين يديه عز وجل"[3].

١. النحل (١٦): ١٢٥.

٢. العلامة المجلسي: بحارالانوار، ج ٢، ص ١٢٥، ح ١.

٣. المصدر نفسه، ص ١٣٥، ح ٣٦.



(٤)
الجذور الدّاخلية للجدال المذموم

للجدال المذموم جذور باطنية، في الصِّفات والخصال المذمومة، ناشئة عن الأمور الآتية:

١ - الغضب:

إذا لم يتم التحكُّم بقوى العقل والسَّيطرة عليها ، وخرجت قوى الغضب عن التحكُّم بها، فإنها تُلجئ الإنسان، فى هذه الحالة، إلى استخدام أساليب وطرق غير مشروعة ومذمومة، ومن جملتها: حالات الجدال.

إن هذه الحالة تحوِّل الإنسان إلى غاضب أو معاند حاقد، يفكر دائماً في التغلُّب على الطرف الآخر، ولا يرضخ إلى قبول الحق طرفة عين أبداً، أو إذا كان الحق معه، فإنه يحاول استخدام أساليب الإساءة والسخرية أو العنف لإرضاخ الطرف الآخر للقبول بقوة، والانصياع إلى التنازل عن حقه المشروع.

٢ - حبُّ الدُّنيا:

قد يسوق حب المقام أو المال أو الشهرة هذا الإنسان إلى مواقع الجدال والنِّزاع، فالميول إلى رغبات الدنيا و كسب الصيت و الشهرة بين الناس، خصوصاً ما يتمثل لدى

العلماء، منها، تدعو الإنسان إلى إثارة نوع من حالات الجدال والتخاصم في المجتمعات البشرية. فالبحث والحوار يخلقان دائماً ثوابت وأسساً طبيعية فيها، فيصل الأمر إلى تعلم العلم من أجل الجدل مع العلماء!.

روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) في وصيته لعلي عليه السلام قوله:

"يا علي، من تعلّم علماً ليماري به السفهاء، أو يجادل به العلماء، أو ليدعو الناس إلى نفسه، فهو من أهل النار"[1].

٣- التكبّر:

إن تظاهر الإنسان بالفضيلة والكمال، والتفاخر بالعلم والمعرفة، هما من الرذائل الأخرى التي تعدّ من أسباب الجدال؛ وذلك كمن ينتقد الآخرين في حواره، لإظهار نفسه بالمظهر المتكامل، والتفاخر والتعالي عليهم.

وتشتمل وصية النبي(صلى الله عليه وآله) لعلي عليه السلام على هذا القسم أيضاً، لأنّه من الواضح، هنا، أن الجدال «الأحسن» يفتقد إلى الجذور والرواسب الحقيقية في كل تلك الصفات الداخلية، بل له جذور مستمدة من الفضائل الأخلاقية أيضاً، أما معرفة الدواعي والأهداف والجذور الحقيقية والواقعية للإنسان المجادل، فهو عمل شاقّ وصعب للغاية، ولا يمكن الوصول إليه ومعرفته بسهولة.

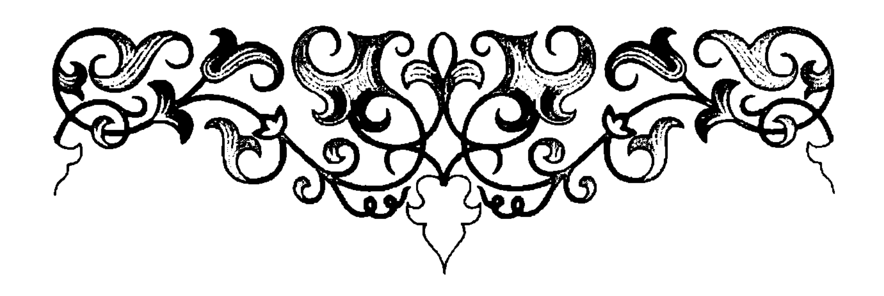
قال العلامة المجلسي(قدّس سرّه):

"ويظهر من الأخبار أن المذموم منه هو ما كان الغرض فيه الغلبة وإظهار الكمال والفخر، أو التعصُّب وترويج الباطل، وأما ما كان لإظهار الحق ورفع الباطل، ودفع الشُبهة عن الدين، وإرشاد المضلين، فهو من أعظم أركان الدين، لكن التمييز بينهما في غاية الصعوبة والإشكال، وكثيراً ما يشتبه أحدهما بالآخر في بادئ النظر، وللنفس فيه تسويلات خفية، لا يمكن التخلص منها إلا بفضله تعالى"[2].



١. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٦٢، ح ٥٧٦٢.

٢. العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٢٦.



(٥)
النَّتائج المذمومة للجدال المذموم

للجدال المذموم آثار ونتائج عديدة جداً، فمن آثاره ومعطياته السلبية:

١ - تضعيف الحقّ و تقوية الباطل:

إذا ضعف المجادل المحقّ في أداء حججه، في أثناء الحوار، تظهر آثار سلبيَّة من الجدال، أولاها ظنّ الطَّرف الباطل أنَّه الغالب والمنتصر، ومن المحقِّين، وأن ما يعتقده صحيح، فيجعل ضعف الضعيف إذا تعاطى بضعف في مجادلته حجة له على باطله، كما روي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام في ما مضى أنَّه قال:

"أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته، وضعف في يده، حجة له على باطله"[١].

فضعف التعاطي والعجز هنا هما من جهة المجادل الضعيف المحق، أما المبطل الخصم فقد جعل انتصاره في عداد الحق، واعتقد بأن عقيدته الباطلة هي الحق.

وأحياناً يكون الخصم، وقبل أن يدخل في جدال مع غيره، متردِّداً في اعتقاده، إلا

١. المصدر السابق. ص ١٢٥، ح ٢.

أنه يستيقن بعد البحث أن اعتقاده حقٌ وصواب، إلا أن يقينه لم يكن سوى جهل مركَّب[1].

٢ ـ أذى المجادل وسامع البحث أو تردُّدهما:

إذا كان القائل بالحقِّ، والمجادل عنه، ضعيفاً في جداله ونقاشه مع من هو على باطل، فلا يخرج السامع أو الحاضر والمشرف على هذه المناظرة والمحاورة عن حالتين:

١ ـ الأولى: أن يتضح له الحقّ، ويعتقد بأنَّ الحقّ مع المجادل، إلا أنه يرى نفسه عاجزاً عن إثباته، فيكون سبباً في إيذائه.

٢ ـ الثانيّة: أن يكون المشرف على البحث مدافعاً عن الحقّ، إلا أنه يشكك في المحقّ، لما يرى من عجزه و عدم إثبات حقّه. ويتحقق هذا نتيجة الإشراف على بحث من عجز عن إبطال الباطل، وكان سبباً في إيجاد هذا الشك لدى السامع والمشرف.

وسيواجه المجادل في حال عجزه حالتين، هما:

١- مواجهته للشكّ من جهة.

٢- وتألُّمه واغتمامه لما كان من جهة ثانية.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"وأما الضعفاء منكم فتغمّ قلوبهم لما يرون من ضعف المحقّ في يد المبطل"[2].

ويصدر الإنسان، أحياناً، في البحث، عن أمور يسهل تصورّها وفهمها، إلا أنه يفتقد الآليات والمعلومات اللازمة والكافية لاستخدامها، ليدافع بها عن اعتقاده الحقّ، وإثباته. وقد تنتج من عجز المجادل هزيمة الحق وإضاعته.



١. الجهل المركب: هو:من علم أنه على باطل، فأقرّ أنه على صواب وحقّ، وهو يعلم أنه على باطل. فجهله مركب من اعتقادين: ١ - الاعتقاد بالباطل. ٢- الاعتقاد بصحة اعتقاده الاول. وبعبارة أخرى: الجهل مركب من جهلين: ١ - الجهل بالحقيقة. ٢ - الجهل بجهله وعدم علمه بالحقيقة. قال الشاعر:

ان من لا يعلم، ويعلم أنه لا يعلم * فيبقى أبد الدهر في جهل مركب.

آن كسى كه نداند و نداند كه نداند * در جهل مركب ابد الدهر بماند.

٢. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٢، ص ١٢٥، ح ٢.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"إياكم والجدال، فإنه يورث الشک في دين الله"[1].

ويصل شعاع هذا الشکّ إلى المجادل، أو يتسرّى إلى أعماق الباحثين عن الحق، والمشرفين على الجدال والمناظرة، فالجدال الذي أشار له أمير المؤمنين عليه السلام، في هذه الرواية، يشمل الجدال فى الموضوع غير المفهوم وغير الواضح، وكذلک جدال الضعفاء والعاجزين عنه أيضاً، لأن كلاًّ منهما أوجب الشکّ في دين الله، وأضعف الأسس والأصول الاعتقادية، وعقائد الآخرين. وهذا التزلزل والإضعاف هو أساس التحيّر والضياع والإضلال.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"ما ضلّ قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل"[2].

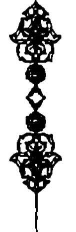
"وما ضلّ قوم إلا أوثقوا الجدل"[3].

٣ - الصدّ عن ذكر الله:

ومن الآثار والمعطيات المذمومة للجدال:

إشغال فكر الإنسان عن التطلّع إلى الآمال والرؤى والطُّموح نحو المستقبل والرغبات والتوجُّهات النفسية والروحية، فيصدُّه عن ذكر الله وينسيه هذا الذكر.

إن من يتحاور ويناقش شخصاً آخر، قد يعتقد بعدم صلاحيته وقدرته علي الحوار والجدل، أو قد يرى أن الموضوع المعروض على طاولة البحث والنقاش غير مثير للجدل وعديم الجدوى في النقاش، فهو ينسيه عن ذكر الله، ويشغل قلبه عن واحة «ذكر الله السمحاء» وإبعاده إلى غير الله، لأن الداعي والهدف في مثل هذا الحوار هو هزيمة وإفشال الطرف الآخر، وليس الهداية والدعوة إلى الله.



فإذا كان الجدل القائم مع الشخص فى موضوع نقاش وحوار ذى قيمة وأهمية تستدعي ذلک، فربما يردّ المجادل في بداية الأمر وبدواع وأغراض إلهية لهذا البحث والحوار،

---

١. المصدر نفسه، ص ١٣٨، ح ٤٩.

٢. الشهيد الثاني: منية المريد، ص ١٧١.

٣. العلامة المجلسي: بحارالانوار، ج ٢، ص ١٣٨، ح ٥٢.

وله نوايا الهداية ودوافع الخير، إلا أن الشخص المجادل لا يمتلك الصلاحية والمواد اللازمة والكافية في البحث، أو القدرة لإثبات الحق أيضاً، فتراه يسعى جاهداً في أثناء البحث والحوار إلى إنهاء الموضوع كيفما كان وتحقّق، فيهرب من معركة الجدال بطريقة ذكيّة وأسلوب رائع!!. وإذا فقد القدرة في إنهاء البحث والحوار، فستتردد الأهواء النفسية والشهوية، وتخرج الدواعي الإلهية والأعراض من القلب عندئذ. فهو وإن اتجه نحو هذا البحث والحوار بدواعي التقرّب إلى الله، لكنه عندما يرى نفسه مهزوماً في هذه المناظرة، فإنه ينفعل بشكل لا إرادي، فيذهب الدافع الإلهي جانباً، فتعرض «الإنّية» و«الأنانية» في حال الهزيمة في جانب آخر، لأنه لا يريد الهزيمة في هذه المعركة.

روي عن الإمام الحسين عليه السلام في ما مضى، أنَّه قال:

"إن الشيطان ليوسوس للإنسان ويقول: ابحث وناقش مع الناس لكي لا يظنوا أنک عاجز وجاهل"[1].

٤ ـ السَّوق إلى النِّفاق:

يلجأ من فقد القدرة اللازمة والكافية على الجدل أحياناً إلى هذه الحالة، فهو، إضافة إلى نسيانه ذكر الله، يُساق إلى النفاق أيضاً، فيقول للطرف المقابل ليرفع عنه حالة الاستحياء والخجل: «الحقّ معكم»، في حال أنه يرفض في قرارة نفسه ذلک الأمر. فهو مع عدم اعتقاده بمواضيع البحث التي يناقش فيها، ويثير الجدل حولها، لكنه يرضخ للقبول، وهذا هو النفاق نفسه.

٥ ـ الحقد والعداوة:

إذا رفض كلا الطرفين ما تبقى من أمور بقيت عالقة على طاولة البحث والحوار العلمي والنقاش، ولم يرضخ كل منهما إلى الأمر الواقع.. فإن هذه الحالة قد تثير موجة من الغضب والسخط والعداوة، وكذلک حالة من التدافع والاشمئزاز.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام، في كلام جميل، له في الإشارة إلى هذا الموضوع أنَّه قال:

---

١. المحدث النوري، مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٧٤، ح ١٠٢٤٤.



"إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن"[1].

٦ - إذهاب المروأة والكرامة:

الملاحاة في الجدال عديمة الجدوى والفائدة، ومضيعة للمروأة والكرامة الإنسانية.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"من لاحى الرجال، ذهبت مروأته وكرامته"[2].

٧ - كشف العورة وزوال العزّة:

قد يؤدي جدال من يفقد قدرة المجادلة، إلى إظهار عيوبه ونقائصه، وكشف عوراته وزوال عزته، أي إظهار ضعفه وعجزه.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"ما أتاني جبرئيل قط إلا وعظني، فآخر قوله لي: إياك ومشاورة الناس، فإنها تكشف العورة، وتذهب بالعز"[3].

وقد تكون دوافع الإنسان وأغراضه إلهية تحديداً، وهو ينوي الهداية والإرشاد، ولكنه لا يلتفت إلى عدم توافر تلك الوسائل والآليات الضرورية واللازمة التي وضعت في اختياره وتصرّفه، وفي هذه الحالة، عليه أن يبحث بمقدار ما يعرفه، ويطيب الكلام مع من يناظره. وكلما عرف أن البحث يسوق إلى أغراض شخصية وفردية عليه أن يتوقف عن الكلام ويلتزم الصمت، ويغض الطرف عن الاستمرار في ذلك.



أما من امتلك القابلية للبحث والجدال والقدرة عليهما، فعليه الاستمرار في بحثه ومواضيعه التي يناقش فيها، ولكن عليه أن يراقب نفسه كي لا يتدخل هوى النفس

---

١. العلامة المجلسي: بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٢٨، ح ٦.

٢. المصدر نفسه، ج ٧٤، ص ١٦٣، ح ١٧٩.

٣. المصدر نفسه، ج ٧٠، ص ٤٠٨، ح ١٣.

والميول الشخصية والنفسية، لأنه يمكن في هذه الحالة أن يسوق الطرف الآخر نحو الضلال، من أجل أن يحافظ على كرامته.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"إن أول ما نهاني عنه ربّي عز وجل: عن عبادة الأوثان وشرب الخمر وملاحاة الرجال"[1].

والمراد بـ«الملاحاة»، في هذه الرواية، الجدال المذموم، فهو يبيّن بوضوح كبر هذا الذنب والمعصية وقبحهما، لأنه عدّ من أولى الأمور المنهي عنها، وفي عداد الذنوب والمعاصي الكبيرة، كالشرك وشرب الخمر، وهو مضرّ للغاية.

٨ - تغيير الدِّين (تحليل الحرام وتحريم الحلال):

قد يجادل بعض الناس غيرهم، وليس لهم أي اختصاص أو دراسة فى موضوع البحث، ولا دراية لهم ولا فهم، فيصابون، من دون أن يشعروا بذلك، بالقول بتحريف الدين وتشويه حقائقه.

روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنَّه قال:

"إن أناساً دخلوا على أبي رحمة الله عليه، فذكروا له خصومتهم مع الناس.

فقال لهم:

هل تعرفون كتاب الله ما كان فيه ناسخ أو منسوخ؟

قالوا: لا.

فقال لهم: وما حملكم على الخصومة، لعلكم تحلّون حراماً أو تحرّمون حلالاً، ولا تدرون.



إنما يتكلم في كتاب الله من يعرف حلال الله وحرامه"[2].

٩ - الكذب:

عندما ينوي الشخص إثبات الحق، وهو يفقد الأدوات والمواد اللازمة والضرورية

---

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٧، ح ٤.

٢. المصدر نفسه، ص ١٣٩، ح ٥٩.



لذلک، ومحروم من المعرفة، فلعله يلجأ إلى استخدام الكذب لكي لا ينتصر الباطل. وبما أن هذا الشخص غير مؤهل لذلک، وهو يفقد المواد العلمية التخصصية الكافية، أو يدخل في متاهات تلك البحوث والدراسات التي هي ليست من اختصاصه، فإنه يلجأ في هذه الحالات إلى الكذب والتدليس.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

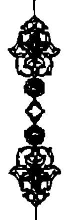
"إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب"[1].

إن من أفضل صفات الإنسان: هي أن يقول إذا سئل عما لا يعلم: إني لا أعلم.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلک أهلاً، لا يرجونّ أحد منكم إلا ربّه، لا يخافن إلا ذنبه، لا يستحين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، لا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء: أن يتعلمه، وعليكم بالصبر، فإنَّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد"[2].

وقد ورد في الوصية الثالثة للإمام علي عليه السلام في الرِّواية المتقدِّمة قوله عليه السلام: «ويقول: لا أعلم». ويتبيّن من هذه الجملة أن الإنسان إذا لم يعلم شيئاً، فعليه أن لا يستحى من الحق، فيقول: «لا أعلم»، وإذا قالها، فلن يحللّ حرام الله، ولا يحرم حلال الله، ولا يلجأ إلى الكذب والتدليس، بل عليه أن يسعى إلى طلب العلم والمعرفة.



ولعل شخصاً يقول كلاماً من دون علم ومعرفة منه، فى أصلٍ من الأصول الاعتقادية، فيكفر بالله من دون قصد منه.

قال عليه السلام:

"عسى أن يتكلم بالشيء فلا يغفر له"[3].

فكم يحسن بالإنسان أن لا يعرّض نفسه إلى المهالک والأخطار، وأن يقول عن الشيء الذي لا يعرفه: «لا أعلم»، لينجو من آثامه ومنزلقاته الخطيرة، فيأمن نتائج

---

١. المصدر نفسه، ص ١٢٨، ح ٦.

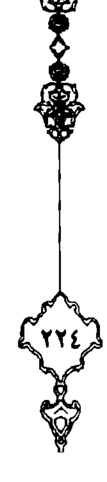
٢. صبحي الصالح، شرح نهج البلاغة، ص ٤٨٢، الحكمة ٨٢.

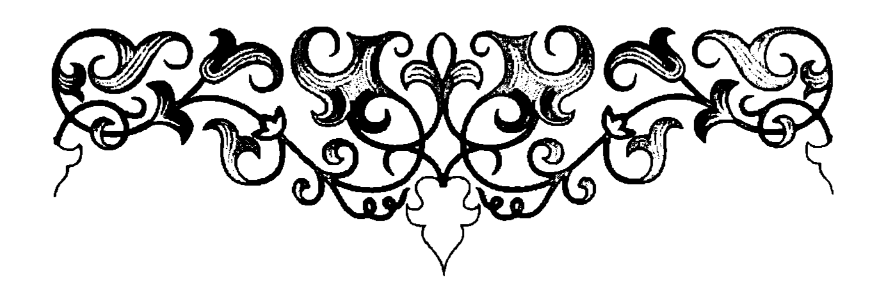
٣. الكليني: الكافي، ج ١، ص ٩٢، ج ٤.

أفعاله، ويحذر من الوقوع في شراكها النتنة.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنَّه قال:

"خرج علينا رسول الله(ﷺ) يوماً، ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله، ثم قال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا".





(٦)
أساليب معالجة الجدال المذموم

لمعالجة الجدال المذموم عقلاً و شرعاً أسلوبان هما:

١- **أسلوب علمي.**

٢-**أسلوب عملي.**

فإنه يمكن، من خلالهما، اقتلاع جذور هذا المرض ومعالجته.

ألف: الأسلوب العلمي:

تبعث المعرفة والتذكير بالآثار السيئة للجدال على الكراهية الشديدة لهذا المرض المزمن والخطير، ما يساعد على الابتعاد عنه والبغض الشديد له، وعدم الاقتراب منه.

ولكي يؤثر هذا النوع من التذكير، ينبغي العمل على منع جذور الجدال من النمو والإيناع، لأن نمو هذه الجذور وانتشارها بقوة وصلابة عاليتين، يعقّد من عمل التذكير، ويجعله عسيراً وصعباً للغاية، ومن ابتلي بهذا المرض يكون عليلاً.

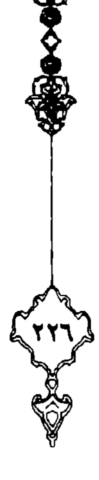
ب - الأسلوب العملي:

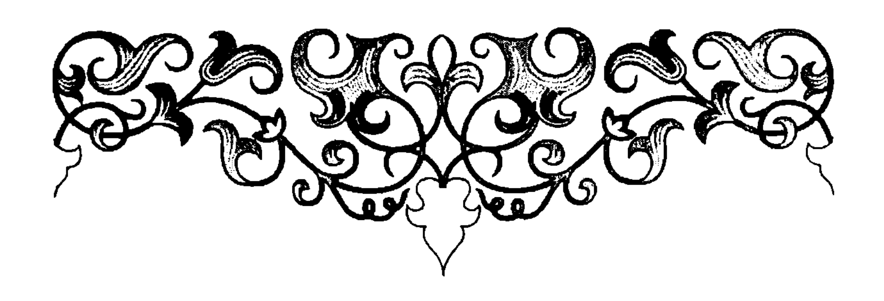
إن بذل الجهد و السعي في العمل المضاد للجدال يمكن أن يضعف روح الجدال لدى المجادل واقتلاعه من جذوره. فطيب الكلام واحترام الآخرين، يمنع الإنسان

ويصدّه عن التقاتل والنزاع مع الآخرين.

وإذا أصبح طيب الكلام وحسنه حالة مستساغة ومستمرة، بل طبيعية في تعامل الإنسان، فستطوى صفحة العنف والكلام البذيء، والإهانة إلى الأبد، من دون عودة.

لقد أيّد العقل والشرع طيب الكلام والتعامل الحسن، ودعا إلى السعادة والأجر والثواب الأخروي.





الفصل السابع

الخصومة

"إياكم والخصومة، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن"[١].

أمير المؤمنين علي عليه السلام

مقدِّمة:

الخصومة هي من أمراض اللّسان التي تكون سبباً في نشوب البغضاء والعداوة، وفسخ العلاقات والروابط في المجتمعات البشرية، وهي من الأمراض الشائعة التي ابتلي بها كثير من الناس.

إنها صراع ونزاع لفظيّان يبعثان على النِّفاق وإحياء الضغائن.

والنزاع اللفظي على ثلاثة أشكال هي:

المراء، الجدال، والخصومة.

وسنناقش الخصومة في هذا الفصل ونبين دورها في هدم المجتمعات البشرية.

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٠١، ح ٨

فللخصومة أشكال عديدة ومتنوِّعة، وستتجلّى، من خلال البحث والدراسة، أساليب وطرق عديدة في كيفية معالجة هذا المرض المزمن أيضاً.

ونبحث، في هذا الفصل، المواضيع الآتية:

١- تعريف الخصومة

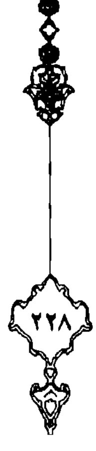
٢- أقسام الخصومة.

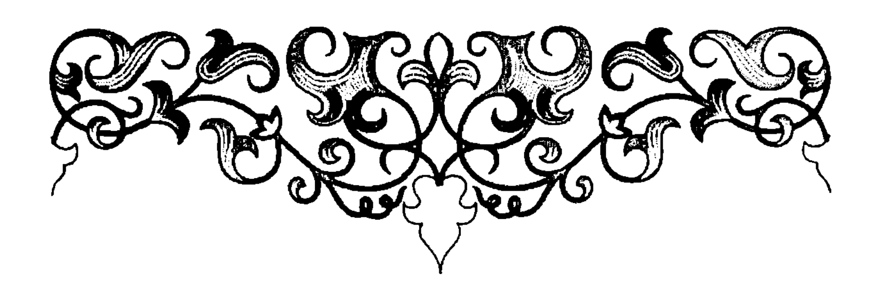
٣- ذم الخصومة شرعاً وعقلاً.

٤- جذور الخصومة.

٥- النتائج المذمومة للخصومة.

٦- أساليب معالجة الخصومة.





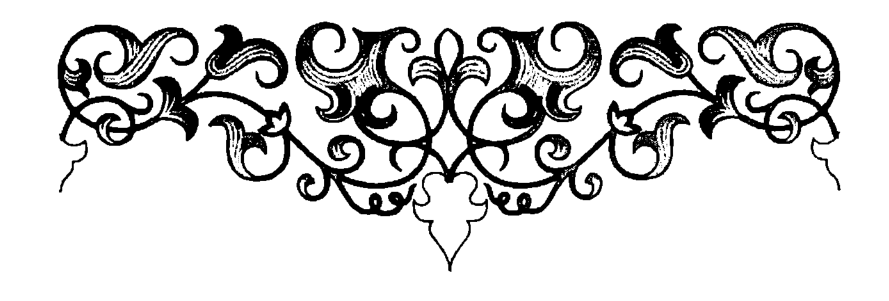
(١)
تعريف الخصومة

الخصومة، لغةً، العداوة والتَّنازع.

وعند علماء الأخلاق: هي النِّزاع والجدال اللَّفظيَّان مع الآخرين، من أجل الحصول على المال أو استيفاء حقّ مسلوب.

فالهدف من هذا النِّزاع له حيثية مالية أو حقوقية إذاً.

وقد تكون الخصومة بمعنى النِّزاع اللَّفظي مع الآخرين، المستخدم، أحياناً، لإثبات الاعتقاد أيضاً. وقد يكون هذا النِّزاع نوعاً من أنواع استيفاء حقّ من الحقوق.



(٢)
أقسام الخصومة

أوّلاً - تصنّف الخصومة، من حيث تقدّم المتخاصم وتأخُّره، في نوعين:

١ - ابتدائية

٢ - اعتراضية

١- الخصومة الابتدائية:

كما إذا كان، هناك، تخاصم ودعوى بين اثنين في طلب مالي أو غير مالي، فيقال لفعلهما هذا: التخاصم الابتدائي، ويسمَّى الشخص المخاصم، هنا، في بحث القضاء، «المدَّعي».

٢- الخصومة الاعتراضية:

كما إذا خاصم شخص شخصاً آخر في الإجابة عن خصومة أخرى، فخصومتهما هذه تسمَّى بـ"الخصومة الاعتراضية".

وإذا كان الشخص في مقام الدفاع عن حقه، تسمَّى خصومة «دفاعية» أيضاً، كمن ادعى مالاً أو ملكاً أو حقّاً من حقوقه في يد المتخاصم معه، فيجرّ ذلك إلى التخاصم والنزاع للدفاع عن نفسه.

وفي كلا الخصومتين: إما أن يكون الشخص نفسه مبادراً إلى التخاصم والنزاع، أو وكيله الذي يستوفي حقوقه. فاذا اختار الشخص وكيله بنفسه، تُفترض هنا حالتان:

١ـ أن يستوفي الوكيل حقوقه مجاناً.
٢ـ أن يستوفي الوكيل حقوقه مقابل دفع أجور و مبالغ إزاء أتعابه.
ثانياً - تقسم الخصومة، من جهه أحقية المتخاصم، إلى أقسام هي:

القسم الاول:

قد يعلم الشّخص المتخاصم أن الحق معه، فيخاصم من أجل الوصول إلى هدفه، أو يترك مهمة ذلك إلى وكيله للقيام بذلك، لعلمه بعدم استحقاق موكّله، كأن يعلم الوكيل مثلاً أن على موكله دين، و لا حقّ في ذمة الدائن، فإن عليه في هذه الحال أن يوسّع من بسط الخصومة، وينتفض إلى المشاجرة والسجال، ليتغلب موكله على الآخر.

القسم الثاني:

إذا شك الشخص في استحقاقه أو عدم استحقاقه لشيء ما، وهو غير واثق من استحقاقه أو عدم استحقاقه، ولا حجة له في إثبات هذه الدعوى[1] أو نفيها، لكنه يرد في حال تخاصم وسجال مع غيره في حال الحق، ويفتح دائرة التشاجر والتخاصم، ففي هذه الحالة أيضاً، لا فرق بين أن يكون الشخص هو المتصدّي للخصومة، أو وكيله الذي استلم مسؤوليّة الدفاع عنه، فهذه الحالة ممدوحة وحسنة من الناحية الأخلاقية.

القسم الثالث:

قد يتخاصم الشخص أو وكيله أحياناً لاستيفاء الحق المدعى عليه، ولكلّ منهما علم ويقين بأحقية هذه الدعوى، فإذا قام الشخص أو وكيله بهذا البحث والسجال، فإن هنا أنواع وأقسام يمكن تصوُّرها كما يأتي:

١ ـ النَّوع الاول:

أن لا تكون الأهداف والدوافع الأصلية من التخاصم هي استيفاء حقه، بل يريد إطفاء ثائرة الغضب الكامنة لديه على الطرف الآخر، وإيذائه، ليصل به الأمر أن يقول: لم أكن قاصداً، في هذا التخاصم، أن تدفع المال لي، بل إنني إذا نلت حقّي أيضاً، فسألقيه بعيداً، و لا أعير له أي أهمية، فأنا لا أنوي من ذلك إلاّ إذلالك وإيذاءك!.

---

١. لا يتوقّف استيفاء الحق على يقين الشخص فقط، بل ينبغي تقديم الحجّة الشرعية أيضاً.

٢ ـ النَّوع الثاني:

أن لا يكون استيفاء الحق لأمور شخصية و أهواء نفسية، بل يكون الهدف من ذلک أن لا يظلم الشخص المتخاصم الآخر، ولا يرتكب عملاً مسيئاً لغيره، وليس غرض الشخص في هذا التخاصم هو التشفّي، أو لعلّ المال غير مهم له أيضاً، بل إن الدافع والهدف من ذلک هما استيفاء الحق لتأديب الشخص، والحدّ من انتهاک الآخر واستغلاله. وهذا النوع من المقاصد والنوايا ممدوح ومثني عليه في المخاصمة.

٣ـ النَّوع الثالث:

أن يحاول الشخص استيفاء حقّه، ولكن للتأديب وليس لتحطيم الطرف الآخر، بل للحصول على ماله أو المحافظة، وهدفه في ذلک فقط هو التوصُّل إلى حقه.

ويتصور هذا على نحوين:

ألف: إساءة الشخص إلى خصمه من أجل استعادة أمواله وإيذائه.

فهو مع دعواه بامتلاكه الحجة الشرعية والبيّنة على صدق دعواه، قد يستخدم ألفاظاً سيئة وبذيئة أو يقوم بأفعال مشينه تؤدي إلى تحقيره والاستهانة به، أو السخرية منه.

ب - امتلاكه دوافع ونوايا حقّة، لكنه لا يستخدم كلمات نابية وأفعال مخلّة به، ويكون مراعياً في دعواه الحدود والضوابط الشرعية في المقال، فيطالب بحقه طبقاً لها، وهذا يتمّ على نحوين:

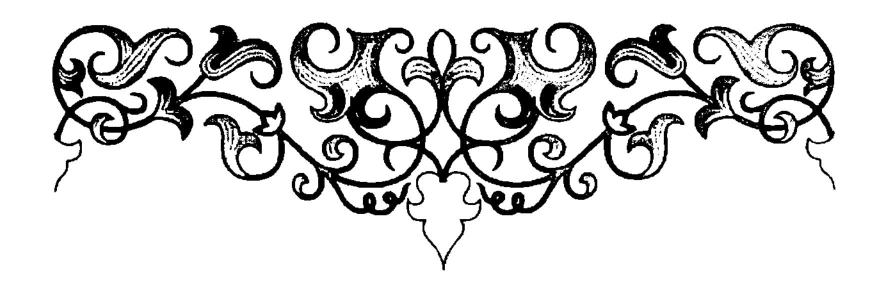
١ - إذا لم يكن من طريق أو أسلوب آخر لاستيفاء الحق سوى الخصومة.



٢ - وجود طريق أو أسلوب آخر غير الخصومة، إذ يمكن أن يتمّ حل المشاكل العالقة بين المتخاصمين عبر التفاهم والحوار الثنائي الصادق والأخوّة.

ومن الواضح جداً، إذا كان هناک طريق أو أسلوب آخر غير الخصومة يوصل إلى الحق، فمن الأفضل اختياره واتباعه، لأن الخصومة سبيل إلى الاختلاف والضغينة. ولهذا الفعل جوانب سلبية وانعكاسات نفسية كثيرة تؤدي إلى إشاعة الكذب والافتراء والحقد والكراهية.

وقد لا تكون هناک طرق وأساليب متعددة أخرى إلا إثارة نعرات الخصومة، ويكون الطريق أو الأسلوب الوحيد هنا في أخذ الحق واستيفائه ليس إلا الخصومة.



(٣)
ذمُّ الخصومة شرعاً وعقلاً

الخصومة نوعان:

ممدوحة ومذمومة في العقل والشَّرع.

التَّخاصم الممدوح:

يتمثَّل التخاصم الممدوح فى التخاصم الذى تتوافر لـه الـصِّفات الآتيـة: أن يـستيقن المتخاصم من "أحقِّيته"، وأن تقوم حجَّة شرعيَّة، علـى ذلـك، وأن لا يجـد طريقـة أخرى لتحصيل حقِّه سوى التَّخاصم.

فهذا التخاصم ممدوح، ذلك أنَّ العقل البشري يحكم بقبح الظلم، ويـرى أن قبولـه أمـر سيّئ ومذموم.

ولهذا، فإنه يمدح «استيفاء الحق» و«دفع الظلم»، وذلك فيمـا إذا لـم يكـن «لـدفع الحق» طريق آخر إلا الخصومة، ثم يدعو إلى ذلك.

وكل ما يقبله العقل ويثني عليه، يقبله الشَّرع ويوافق عليه، أيضاً، ويحكـم بمـا حكـم بـه العقل.

وتعدّ الخصومة، في هذه الحال، من فضائل القوى الشهوية.

التخاصم المذموم:

إذا علم المتخاصم أن الحق ليس معه، أو شكك في أحقّيته، ففعله يعدّ من الرذائل الأخلاقية.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصيم"[1].

وروي عنه عليه السلام أنَّه قال:

"من جادل في خصومة بغير علم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع"[2].

وإذا علم المحامي أن الحقّ ليس مع موكّله، وقام بمخاصمة الآخر دفاعاً عنه، فقد قام بفعل مذموم وحرام، وما يأخذه من ثمن عوض ما قام به هو حرام أيضاً.

أما إذا كان الحق مع المتخاصم، فإذا نازعه خصمه وخاصمه بقصد الاستنزاف والنَّيل من كرامته، فهذا الفعل مذموم وقبيح أيضاً، فالحقّ وإن كان مع الدائن ومع موكّله، لكنَّ هناك دواعي وأغراضاً شخصية من هذا التخاصم. وتعدّ كافة الأفعال المستندة إلى دواع وأهداف شخصية من الرذائل الأخلاقية، لأنها تستخدم أدوات في خدمة النفس الأمّارة، فتحقّق النفس من خلالها آمالها.

وإذا استخدم الشخص ألفاظاً مسيئة ومذمومة في التخاصم - وإن كان الحق معه - ففعله مذموم عقلاً وشرعاً. فليس أصل التخاصم مذموم هنا، بل الاهانة والسخرية واستفزاز الآخرين والكلام البذيء هو القبيح والمذموم، فيعرّض الشخص إلى ذم العقلاء والعذاب الإلهي.



وإذا لم يكن هناك داعٍ للتخاصم، وكان هناك سبيل واضح وأسلوب آخر موجود لأخذ الحق، فترك التخاصم حسن وممدوح، لأن التخاصم سبب للعداوة وسلب الراحة وفقدان الطمأنينة، وإضعاف الإنسان.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"إياكم والخصومة، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن"[3].

١. ورّام بن أبي فراس: مجموعة ورّام، ج ١، ص ١٠٩.

٢. المصدر نفسه.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٠١، ح ٨

وروي عن الإمام الرضاﷺ، في تحذيره من الخصومة، قوله:

"فانها تردي بصاحبها"[1].

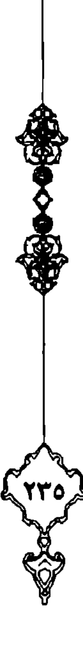
فالخصومة، إذاً، جرف هاو ومنزلق خطير، وإن كان المتخاصم على حق، فإنه يحتمل سقوطه إلى قعر ذنوب اللّسان السحيق المروّع.

روي عن إمام المتقين وأمير المؤمنين عليﷺ أنّه قال:

"من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم"[2].

وحذّر الإمام الرضاﷺ أيضاً من الخصومة والتخاصم، فقال:

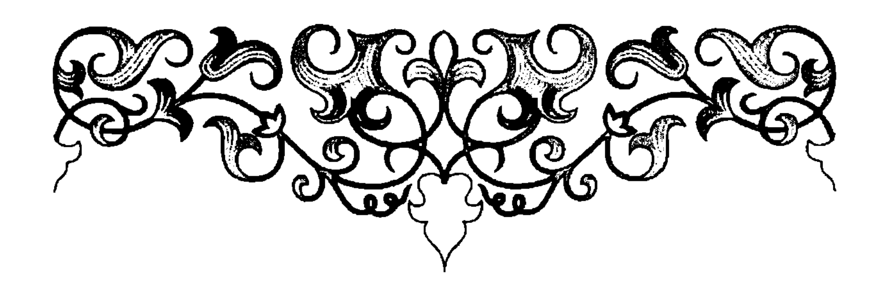
"عسى أن يتكلم بشيء لا يغفر له"[3].



١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل. ج ٩، ص ٧٧، ح ١٠٢٥٤.

٢. المصدر نفسه، ص ٧٦، ح ١٠٢٤٨.

٣. المصدر نفسه، ص ٧٧، ح ١٠٢٥٤.



(٤)
الجذور الدَّاخلية للخصومة المذمومة

للخصومة المذمومة جذور في إحدى الصِّفات النفسية المذمومة، وهي عبارة عن:

١ - العدواة والبغضاء:

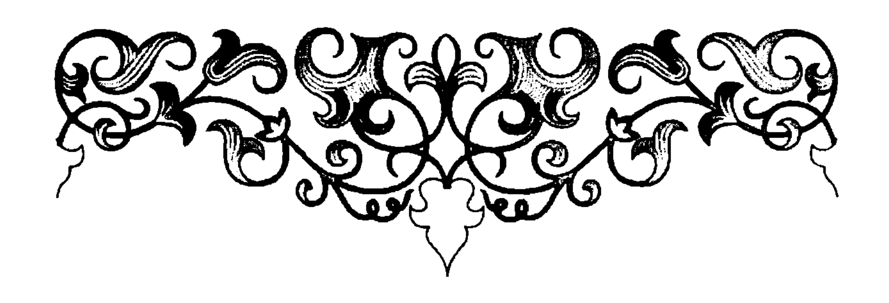
تؤدِّي العداوة والبغضاء لشخص ما إلى إثارة النزاع والجدال اللفظيَّين مع الآخر، فالمتخاصم، هنا، يسعى من خلال هذا التنازع والتخاصم، إلى إشعال فتيل غضبه المستعر، وإظهار حقده الدفين لتحطيم خصومه ومعانديه وإبادتهم.

٢ - الحسد:

حسد الإنسان لمواقع الآخرين ومكانتهم الفردية والاجتماعية يؤدِّي إلى ظهور أسلوب التخاصم لديه، فالحسود يسعى جاهداً، عبر التخاصم، إلى إذلال من يخاصمه واستنزاف قواه، لإطفاء لهب نار الحسد المستعرة في أعماقه.

٣ - حب المال أو المقام:

البحث عن المقام، أو المال، قد يجرّ الإنسان إلى التخاصم بغية الحصول عليهما، وهذا ما نشاهده بوضوح في استخدام الوكيل فى كثير من المخاصمات.



(٥)
النتائج المذمومة للخصومة المذمومة

١ – التشويش والاضطراب الباطنيّان:

تؤدِّي الخصومة والنِّزاع اللفظي إلى انشغال القلب، وتشويش الذهن والخاطر عند الفرد المتخاصم، وإزالة الهدوء والاستقرار، وإثارة نوع من القلق والاضطراب. فالإنسان المتخاصم يفكِّر في النِّزاع والانتصار لنفسه على الطرف الآخر، ولن يهدأ له بال حتى يحققّ ما يصبو إليه. فإذا كانت الخصومة في أمور الدين، فستؤدي إلى إيجاد حالة من التشكيك.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام نهيه عن هذا الفعل، عندما قال:

"فإنها تشغل القلب"[١].

فالمتخاصم مبتلى بمرض الشک، كما روي ذلک عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

"الخصومة تورث الشک"[٢].

٢ – إيجاد النِّفاق:

إذا لم يستخدم النِّزاع والتَّخاصم لاثبات حقّ ما، فسيتبعهما ظهور حالة من

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٠١، ح ٨.

٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠٠، ح ٢١٣٤٤.

الازدواجية والنِّفاق، لأن إصرار الإنسان على إثبات أحقيته، مع معرفته بعدم أحقية الدعوى، لا يؤدِّي إلاَّ إلى إثارة نوع من النِّفاق والإزدواجية بين القلب واللّسان.

روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصفه للخصومة أنَّه قال:

"فإنها تورث النفاق"[1].

٣ - ظهور الحقد:

يفضى النِّزاع والتَّخاصم إلي ظهور الحقد والعداوة مع الآخرين، وتظهر هذه الحالة بوضوح في ادِّعاء المتخاصم الحق كذباً وزوراً تحديداً، ولعل هدف من يختار التخاصم لنفسه هو تأجيج الضغينة، والعداوة، أو الإهانة والاستفزاز، أو فضح الآخرين والاستخفاف بكراماتهم. وفى ضوء هذا، فإن هذا الفعل يؤدي إلى إزالة علاقة الصداقة ورابطة الأخوَّة والمودَّة، وإبدالها بالحقد والكراهية.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصفه للخصومة أنَّه قال:

"فانها تكسب الضغائن"[2].

٤- محق الدين:

يؤدِّى وقوع الخصومة، في شؤون الدين وقضاياه، إلى إضعافه، ومن ثم اضمحلاله، ومحقه.

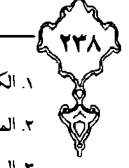
روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال:

"الخصومة تمحق الدين"[3].

٥- إحباط أعمال البرّ:

تؤدِّي الخصومة إلى إحباط أعمال البرّ التي يقوم بها الإنسان، وزوالها.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال:



١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٠١، ح ٨.

٢. المصدر نفسه.

٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠٠، ح ٢١٣٤٤.

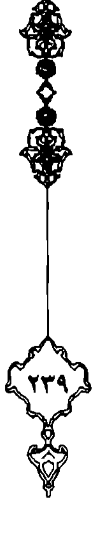
"الخصومة تحبط العمل"[1].

٦ - سبب السَّفاهة:

يحاول الإنسان العاقل، وبكلّ ثقة ورباطة جأش، وبالقدر الممكن، استيفاء حقّه، ولعل ذلك يؤدِّى إلى تفادى الخصومة، لأنّها تؤدِّي إلى خفّة العقل وسفاهته.

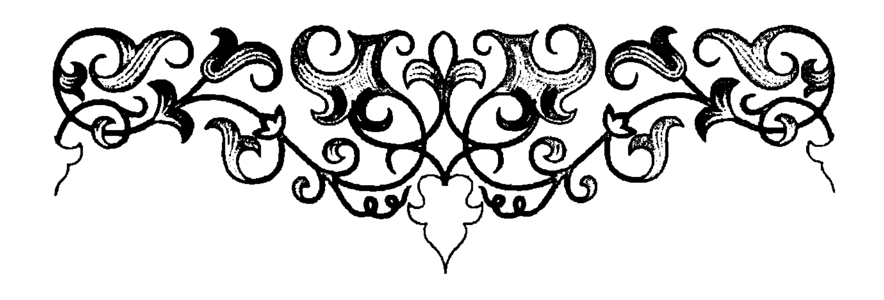
روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"المخاصمة تبدي سفه الرجل، ولا تزيد في حقّه"[2].



١. المصدر نفسه.

٢. الآمدي: غررالحكم، ص ٤٦١، ح ١٠٥٦٥.



(٦)
أساليب معالجة الخصومة المذمومة

يمكن معالجة الخصومة المذمومة، كسائر الأمراض الخلقية الأخرى، بطريقين:

١ - الطريق العلمي.

٢ - الطريق العملي.

١ - المعالجة العلمية:

يعدُّ التفكير، في النتائج المذمومة لهذا المرض، سبباً في تحريك الفطرة السليمة لدى الإنسان، والسَّعي إلى إزالة هذه الأمراض والأوبئة، وإبعادها عنه.

يشجّع التذكير المباشر والمستمر بآثار الخصومة ونتائجها السيئة والمذمومة، بل المضرة الإنسان، على ترك هذه الآفة، وإظهاره حسّ الكراهية والبغضاء لهذا النَّوع من التعامل.

وتدعو الفطرة والكيان الإنساني والبشري إلى حالات الهدوء، وإشاعة أجواء الصفاء والمحبة في المجتمعات. فإذا ظهر ما يشوّش الفكر، ويبعث الحقد والكراهية والقلق، فستبعده الفطرة كل البعد عن ذلك، ويتعكَّر صفو تلك الأجواء في فطرته السليمة بالخصومة، وهو جاهل بآثارها ونتائجها وما يلحقه منها من أضرار.

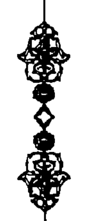
يقول الشاعر الفارسي المتصوّف فريد الدين العطار في ديوانه منطق الطير ما معناه:

"حضر اثنان في ثياب مرقَّعة بينهما تخاصم في دار القضاء، فأجلسهما القاضي في زاوية من زوايا المحكمة، ثم قال: أيها الصوفي، ليس لائقاً بكما اختلاق الحرب والنزاع، فاقبلا السلم وارتضياه، فما فائدة هذا التخاصم بينكما؟ وماذا يدرّ عليكما؟. فإن كنتما من أهل الكراهية والحقد والتخاصم، فاخلعا ثياب التصوف والزهد عنكما فوراً، واظهرا على حقيقتكما!. وإن جئتما بهذه الثياب في هذه الخصومة، فما كان بينكما هو عن جهل، وقلة علم وفهم"[1].

٢ـ المعالجة العملية:

من الطرق العلمية لعلاج هذا المرض استخدام الأمصال والعقاقير ضدها كـ«طيِّب الكلام»، مثلاً، أي استخدام طيب الكلام، والخطاب المؤثر، والخلق الحسن، والأدب الرفيع، في رفع الخصومة. فعلى الإنسان فرض التعامل بحسن الخلق وطيب الكلام على نفسه، ورعاية أدب الحوار، وبذل أقصى الجهود لرعاية أسلوب الكلام والتعامل مع الآخر، وعليه استخدام ألفاظ منمّقة وزاهية بطيب الكلام.

وليس المراد بـ«طيِّب الكلام» التملُّق، لأن الهدف من التملّق هو جذب أفكار الآخرين وأنظارهم نحو المتملِّق. فالتملُّق، من جهة، النِّسبة إلى الشخص ما ليس فيه من الخصال والأفعال إليه، لكن صاحب الكلام الحسن لا يقول ما لا يعلم، ولا ينوي التظاهر بذلک، بل يستخدم كلاماً وجملاً لا تبعث على العداوة وتعكير الصفو والنقاء بينهما، وإنما يحافظ على كيفيتها وجمالها.



وكما أن الخصومة والمراء والمجادلة تبعث على إثارة العداوة والشحناء والبغضاء، فعكس ذلک، أي طيب الكلام، يصنع التقارب وإشاعة روح الصداقة

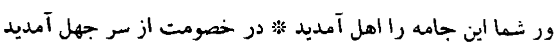
---

١. قال العطار النيشابوري في منطق الطير:

در خصومت آمدند و در جفا ❊ دو موقع پوش در دارالفنا

قاضی ایشان را به کنجی برد باز ❊ گفت صوفی خوش نباشد جنگ ساز

جامه تسلیم در بر کرده اید ❊ این خصومت از چه در سر کرده اید



گر شما هستید اهل جنگ وکین ❊ این لباس از سر براندازید هین

ور شما این جامه را اهل آمدید ❊ در خصومت از سر جهل آمدید

والألفة والمودة في المجتمعات البشرية.

فإذا سمع شخص كلام الآخر وراقب حديثه، سينجذب نحوه بشدة، و لهفة واشتياق. فلو كانت هذه الخصائص متوافرة في المجتمع، فستكون سبباً في إيجاد الوحدة والانسجام والتآلف؛ وهي بخلاف الخصومة الباعثة على الاختلاف والفرقة.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

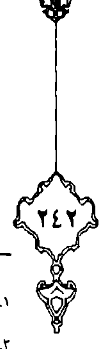
"إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، لا يسكنها من أمتي إلا من أطاب الكلام، وأطعم الطعام"[1].

وروي عنه(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"الكلمة الطيبة صدقة"[2].

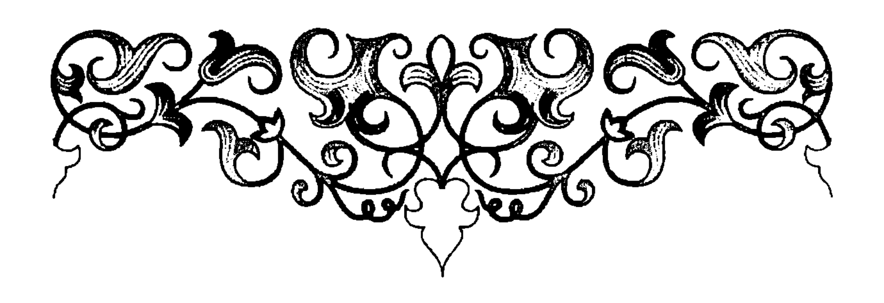
ولا تتقيد الصدقة في الأمور المادية فحسب، بل يمكن عدّ طيب الكلام أيضاً أثراً آخر للصدقة. لذا ينبغي للمرء أن يحافظ على لسانه في مواقع الأزمات الحادّة والخاصة، والتعوّد على طيِّب الكلام.

وللحدّ من انتشار الابتلاء بمرض المراء أو المجادلة بالباطل أو الخصومة المذمومة، على المرء استخدام طيِّب الكلام، وجعله «عادة» له.



١. الحرالعاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٦٠، ح ١٥٦٤٦.

٢. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٣٣، ح ٦٤٢١.



الفصل الثَّامن
اللَّعن والشَّتم

"المؤمن ليس بلعّان"[1].

النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله)

مقدِّمة:

اللَّعن: هو إحدى آفات اللسان وأمراضه التي تستخدم القوى الغضبية في طرق غير مشروعة وغير صحيحة.

ويؤدِّي إخراج القوى الغضبية عن دائرة حكم «العقل» إلى ظهور نتائج مضرّة ووخيمة، ومنها: «اللعن» و«السُّباب» أيضاً.

ويعدّ «اللَّعن والسُّباب» من جملة الأمراض ذات الجذور المتأصِّلة في قوى الغضب، ومن الأمراض المزمنة التي يبتلى بها الشخص، وعليه أن يسعى إلى تقوية ذاته وتنشيط أفعاله بأنواع الأمصال والعقاقير لمعالجة هذه الأمراض، وتطهير النفس منها.

ويتم تسليط الأضواء، في هذا الفصل، على تحليل أبعاد هذين المرضين المزمنين ودراستهما بغية علاجهما والتوقِّي منهما.

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ١٧٨، ح ١٢٦٨٦.

أما مواضيع البحث والدراسة، في هذا الفصل، فهي:

١ـ تعريف الّلعن.

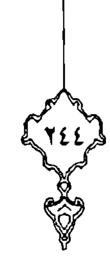
٢ـ أقسام اللعن.

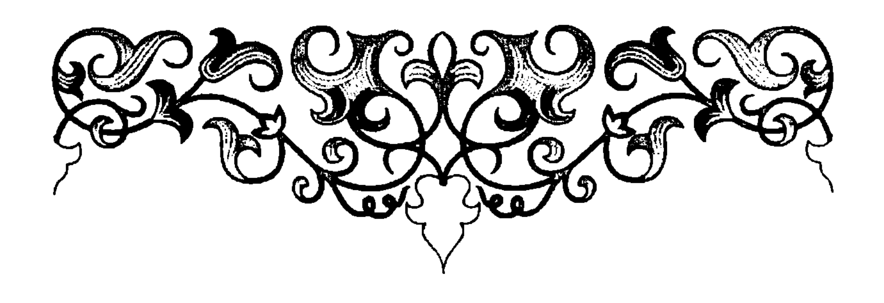
٣ـ ذم اللّعن شرعاً.

٤ـ الجذور الداخلية للّعن.

٥ـ النتائج السيئة للّعن.

٦ـ طرق معالجة اللّعن وأساليبها.





(١)
تعريف اللَّعن والشَّتم

اللَّعن، لغة، الإذلال، أو الطَّرد والإبعاد في حال الغضب.

وفي علم الأخلاق يعنى طلب إبعاد الشخص عن رحمة الله، والقصد إلى ذلك.

فإذا أراد أحد أن يلعن شخصاً ما، فهو يريد بذلك طرده وإبعاده عن رحمة الله ولطفه.

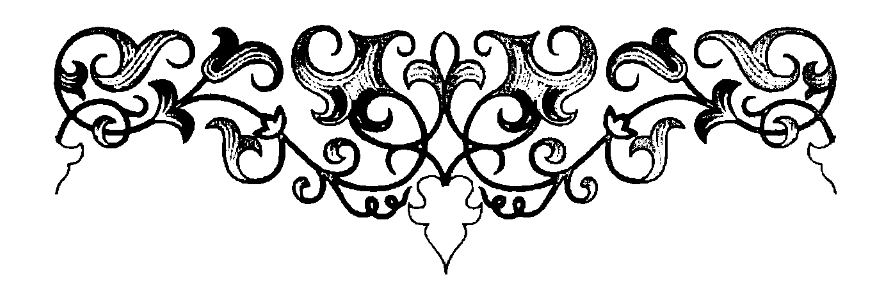
ويقال الملعون لمن أبعد عن رحمة الله.

واللَّعن من الله يعنى إبعاد الشخص عن ساحة رحمته، سبحانه وتعالى، ويظهر ذلك منه عزّ وجلّ، بوضوح، على شكل عقوبة وعقاب في الآخرة[١].

أما السبّ فهو طلب كلّ أمر سيّئ وشرّ من الله تعالى للآخرين، وطلب البعد من الخير، سواء كان البعد عن الرحمة أم العاقبة السيئة لأمر آخر، ولهذا السبب يمكن القول: إن للسباب معنى أعمّ من «اللعن»، فكل سبّ هو لعن، وليس كل لعن هو سبّ.

---

١. قال العلاّمة المجلسي: اللَّعن: الطَّرد والإبعاد عن الخير من الله تعالى، ومن الخلق، السبّ وطلب البعد عن الخير. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٣١٩.



(٢)
أقسام اللَّعن

للّعن صورتان:

١ - اللَّعن عن طريق الإخبار:

يعني أن يخبر الإنسان ويحكم بأن فلاناً بعيد عن رحمة الله، وقد طرده الله تعالى عن ساحة لطفه وكرمه، فهو في هذا القسم يخبر عن شيء، ويحكم به على شخص ما.

٢ـ اللَّعن عن طريق الإنشاء:

بمعنى إنشاء الإنسان اللعن، كأن يقول: لعنه الله، أو لعنة الله عليه، فهو لا يخبر هنا، بل يطلب شيئاً. يعني أنه يطلب من الله أن يبعده من رحمته.

وهذا اللَّعن، من جهة تعيين الملعون وتحديده، أو عدم تعيينه، وتحديده نوعان:

١ - لعن فرد معيَّن أو أفراد معينين:

قد يلعن الإنسان، أحياناً، فرداً أو أفراداً، ويخصّهم بالذكر، كما ورد ذلك في بعض الزيارات:

اللهم العن أبا سفيان، ومعاوية ويزيد بن معاوية مثلاً[1].

٢ـ لعن فرد أو أفراد غير معيَّنين:

وقد يلعن فرداً أو أفراداً غير معينين، كذكر أوصافهم من دون تعيين أسـمائهم، أو خواصهم و هوياتهم، كما ورد ذلک في القرآن الكريم:

بقوله تعالى:

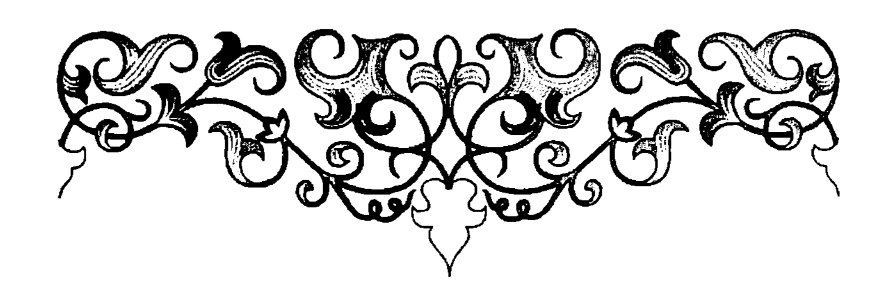
{فلعنة الله على الكافرين}[2].

فلم يذكر، هنا، اسم شخص أو هويته الشخصية، بل صرح بوصفه بـالكفر فقـط، ولعن من اتصف بمثل هذه الصِّفات.

---

١. انظر زيارة عاشوراء.

٢. المحدث النوري: مـستدرک الوسائل، ج ١١، ص ١٧٩، ح ١٢٦٨٦.



(٣)
ذمُّ اللعن شرعاً

قال النَّبي(صلى الله عليه وآله) لعلي عليه السلام في وصف المؤمن:

"يا علي، من صفات المؤمن.. لا لعان".

وروي في خطبة النبي(صلى الله عليه وآله):

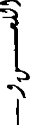
"ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذي يمنع رفده، ويضرب عبده، ويتزوّد وحده، فظنوا أن الله لم يخلق خلقاً هو شرّ من هذا. ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شرّ من ذلک؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: الذي لا يرجى خيره، ولا يؤمن شرّه، فظنّوا أن الله لم يخلق خلقاً هو شرّ من هذا، ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شرّ من ذلک؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: المتفحِّش اللعّان، الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم، وإذا ذكروه لعنوه"[١].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام:

"إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها، تردّدت بينهما، فإن وجدت مساغاً،

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٢٩٠، ح ٧.



وإلا رجعت على صاحبها"[1].

حكم اللَّعن شرعاً:

اللَّعن، بكافة أنواعه وأشكاله، غير جائز ومـذموم وحـرام شـرعاً، إلاَّ فـي مـوارد خاصة أجازها الشَّرع المقدَّس، وهي:

١ ـ الصُّورة الأولى:

إذا أخبر شخص أن فلاناً ملعون، وهو لا يعلم أنه بعيد عن رحمة الله أم لا؟ فخبره غير صحيح، لأنه أخبر عن شيء لا يعلمه إلا الله، هذا من جهة.

وبما أن الله يبعد من لعن عن رحمته، فهو بهذا الخبر، كان قد نسب فعلاً إلـى الله لا علم له بحقيقته وصحته، ونسبة فعل أو قول إلى الله من دون علم بذلك، هو حرام هذا من جهة أخرى.

قال الله الحكيم في القرآن الكريم:

{قل الله أذن لكم أم على الله تفترون}[2].

٢ـ الصُّورة الثانية:

وإذا أراد شخص أن يلعن شخصاً آخر، فقد رجا لـه مـن الله الـضياع والبعـد عـن رحمة الله تعالى. فهو قد يكون غير مستحق لهذه الرَّحمة، إلاَّ أنَّ هـذا اللَّعـن مـذموم أيضاً، لأن رحمة الله قد شملت كل عباده. نعم من لعنه الله وأبعده عن رحمتـه، فإنـه يجوز لعنه، ولا إشكال في ذلك، كلعن الشيطان مثلاً، وإبعاده عن رحمة الله وطـرده منها.



قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم:

{إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للنـاس فـي الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون}[3].

---

١. المصدر نفسه: ص ٣٦٠، ح ٧.

٢. يونس (١٠): ٥٩.

٣. البقرة (٢): ١٠٩.

وكذلك إذا لم يستحق شخص معيَّن أو أشخاص معيَّنون أو غير معينين اللعن، فطلب الإبعاد عن رحمة الله لهم هو عمل حرام شرعاً أيضاً.

موارد جواز اللَّعن:

يجوز اللَّعن في عدة موارد هي:

١ - لعن الكافرين:

قال الله الحكيم في القرآن الكريم:

{إن الذين كفروا وماتوا وهم كفّار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين}[١].

وقوله عز وجل:

{فلعنة الله على الكافرين}[٢].

٢ - لعن المشركين:

قال الله الحكيم في القرآن الكريم:

{ويعذِّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانّين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً}[٣].



٣ - لعن المرتدّين:

وهم من ارتضوا الإسلام ديناً لهم، ثم ارتدّوا عنه ورجعوا، فقد لعنهم الله تعالى، بقوله:

{كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حقّ وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين. أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين}[٤].

---

١. البقرة (٢): ١٦١.

٢. البقرة (٢): ٨٩.

٣. الفتح (٤٨): ٦.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٤ - لعن المنافقين:

ولعن الله، عز وجل، المنافقين في عدَّة آيات من القرآن الكريم. مثل قوله سبحانه وتعالى:

{وعد الله المنافقين والمنافقات والكفّار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم}[١].

٥ - لعن الظَّالمين:

ولعن الله، عز وجل، الظالمين في القرآن المجيد. كقوله تعالى:

{ألا لعنة الله على الظالمين}[٢].

روي عن النبي الأكرم(ﷺ) أنَّه قال:

"إن الظالم ينتظر اللعن والعقاب، والمظلوم ينتظر النصر والثواب"[٣].

وقال المتصوّف الفارسي الشبستري ما معناه:

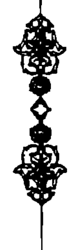
"جزاء العدل، مجيء النور والرحمه ❊ وجزاء الظلم، مجيء اللعن والظلمه"[٤].

٦ - لعن المفسدين في الأرض:

ولعن الله المفسدين في عدّة آيات مشعّة ومشرقة بالنور. كقوله سبحانه وتعالى في هذه الآية:

{والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار}[٥].

٧ - لعن الشيطان:



أبعد الله، سبحانه وتعالى، الشيطان عن ساحة رحمته وفضله، لاستكباره ومعصيته لأمر الله عز وجل، وطرده من قبل الله، ولعنه في آيات كثيرة من القرآن الكريم. قال

---

١. التوبة (٩): ٦٨.

٢. هود (١١): ١٨.

٣. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٣٠٦، ح ١٣٦٢٧.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الرعد (١٣): ٢٥.

الله الحكيم في محكم كتابه الكريم مخاطباً إبليس:

{وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين}[1].

وقال أيضاً:

{وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين}[2].

٨ - لعن المؤذين لله والرسول(صلى الله عليه وآله):

لعن الله، سبحانه، المؤذين له وللرسول(صلى الله عليه وآله)، كما ذكر، سبحانه وتعالى، ذلك بقوله:

{إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً}[3].

٩ - لعن الكاذبين:

لعن الله الكاذبين في بعض الآيات والروايات أيضاً. فقد أمر الله سبحانه نبيه(صلى الله عليه وآله) بأن يدعو نصارى نجران إلى المباهلة، ويجعل لعنة الله على الكاذبين، فقال عزّ من قائل:

{ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}[4].

وقال النبي(صلى الله عليه وآله):

"فلعنة الله على الكاذب وإن كان مازحاً"[5].



١٠ - لعن من يرمي النساء بالفرية:

لعن الله المفترين على النساء بقوله تعالى:

{إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة

---

١. ص (٣٨): ٧٨.

٢. الحجر (١٥): ٣٥.

٣. الأحزاب (٣٣): ٥٧.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٣٧٢، ح ١٣٢٩٤.

ولهم عذاب عظيم}[1].

١١ - لعن قاتل المؤمن:

أعدّ الله لقاتل المؤمن العذاب الأليم، والإبعاد والطرد عن رحمة الله. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

{ومن يقتل مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً}[2].

١٢ - لعن المحرّفين للقرآن الكريم:

ولعن الله من سعى إلى تحريف القرآن، بالزيادة أو النقصان في كتاب الله، وأراد تغييره.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنّه قال:

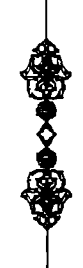
"إني لعنت سبعاً لعنهم الله وكلّ نبي مجاب. قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال(ﷺ): الزائد في كتاب الله"[3].

١٣ - لعن المنكرين لقضاء الله وقدره:

ولعن الله من أنكر القضاء والقدر الإلهيَّين، ومصير الإنسان، وما يجري عليه من حوداث مترابطة، وأعدّ له عذاباً أليماً.

روي عن النبي الاكرم(ﷺ) في عدّه من لعن قال:

"والمكذب بقدر الله"[4].



١٤ - لعن المخالفين لسنة رسول الله(ﷺ):

إن من خالف سيرة النبي(ﷺ) وفعله، وسعى إلى تغييرها وزوالها أو اضمحلالها، فهو بعيد ومطرود عن رحمة الله.

---

١. النور (٢٤): ٢٣.

٢. النساء (٤): ٩٣.

٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٥١، ح ٢٠٩٥٦.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في عدّه من لعن قوله:

"والمخالف لسنّتي"[1].

١٥ - لعن المحلّلين لحرام الله:

وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أيضاً في عدّ من لعن:

"... والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله"[2].

١٦ - لعن المتسلّطين والمتغطرسين بالجبروت:

لعن الله المتسلّطين والمتغطرسين بالجبروت ظلماً وعدواناً، أو أذلّ من أعزّه الله، وأعزّ من أذله الله.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"والمتسلّط بالجبروت، ليعزّ من أذلّ الله، ويذلوا من أعزّ الله"[3].

١٧ - لعن المستحلّين لبيت مال المسلمين:

لعن الله من استحلّ الأموال العامة للمسلمين، وخصّصها بنفسه، كما روي ذلك عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال:

"والمستأثر على المسلمين بفيئهم، منتحلاً له"[4].

١٨ - لعن من غيّر حدود الله، فأحلّ حرامه وحرّم حلاله:

روي عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) في عدّه من لعن، قوله:

"والمحرّم ما أحلّ الله عز وجل"[5].

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. المصدر نفسه.

١٩ - لعن من أعان الظالم:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"من تولى خصومة ظالم أو أعان عليها، ثم نزل به ملك الموت، قال له أبشر بلعنة الله، ونار جهنم، وبئس المصير"[١].

وأخيراً، وليس آخراً يمكن عرض هذا التساؤل وهو: هل يجوز لعن من اتصف بصفات الكفر والشرك والنفاق والظلم، بصورة معينة ومحددة؟

أم يتحدد حكم جواز اللعن بالكفار والمشركين والمنافقين والظالمين... بحالة عامة وغير معينة؟.

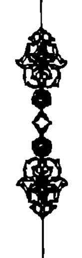
للإجابة عن هذا التساؤل، نقول:

إنما يجوز ذكر اسم شخص ولعنه، وعدّه فعلاً صحيحاً، وذلك إذا اتّسم هذا الشخص بالكفر أو الظلم، و.... و إلا فلا يجوز لعنه إذا كان بصورة غير معينة، إخباراً أو إنشاء.

أما الممكن، فهو إذا اتّصف الشخص بإحدى تلك الصفات، ثم تاب عند دنوٍّ أجله، وعاد إلى رشده وصوابه إلى الله، من الأفضل هنا عدم التعرُّض لذكر اسمه، أو تسمية أمثاله في اللعن، بل يكون اللعن بصورة عامة ومطلقة، ومجهولة من دون ذكر الأسماء.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"لا تلعنوا أهل الشام"[٢].



ولعل سبب هذا النهي عن اللعن هو: إمكان عودة هؤلاء إلى الطريق السليم والهداية والرشد، أو أنهم لم يكونوا ملعونين بأجمعهم. فمما لا شكّ فيه أن من بينهم أشخاصاً يخطون إلى درب الهداية والصلاح.

قال العلاّمة المرحوم النراقي- وهو من كبار علماء الشيعة وأجلّائهم- وله بحث راق ورائع في خصوص هذا المعنى، وهو:

"إذا كان هذا النهي صحيحاً، فربما يكون ذلك بأمل عودتهم ورجوعهم إلى الطريق الحق وجادة الصواب. فهذا هو شأن الرئيس المشفق على الناس[٣]. فالإمام علي عليه السلام هو

---

١. المصدر نفسه، ج ١٧، ص ١٨٣، ح ٢٢٣٠٦.

٢. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٣٠٧، ح ١٤١٥٩.

٣. النراقي: جامع السعادات، ج ١، ص ٣٥٤.

قائد المجتمع، وهو الغيور الرؤوف والرحيم الشفيق الحريص على مصالح المجتمع والأمة، وهو كالأب العطوف الحنون على أسرته، لا يطرد ذريته ولا يسلّمهم إلى المكاره".

ومن ناحية أخرى، ذكرت النصوص والروايات لعن الأئمة المعصومين عليهم السلام لبعض الأشخاص، وقد ورد ذلك على لسانهم.

فمن جملة ما ورد في التاريخ عنهم عليهم السلام:

لعن النبي(صلى الله عليه وآله) أبا سفيان، بعد أن هجا النبي(صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتاً من الشعر، فأجابه النبي(صلى الله عليه وآله) قائلاً:

"اللهم إني لا أقول الشعر، ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة!، فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن"[1].

وروي: أن علياً عليه السلام لعن في قنوته معاوية وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري، وأبا الأعور السلمي[2].

وروى النراقي عن الشيخ الطوسي: أن الإمام الصادق عليه السلام لعن أربعة بعد أن أتمّ التسليم في الصلاة[3].

وتتجلّى في لعن الأئمة المعصومين عليهم السلام لهؤلاء الأشخاص هذه الحقيقة، وهي:

إنهم عليهم السلام كانوا يعلمون جيداً ببقاء من ذكر من هؤلاء واستمرارهم على كفرهم وفسقهم وزندقتهم إلى حين موتهم.

ويمكن فهم هذه النتيجة مما ذكر أيضاً، وهي:

أن لعن بعض الأشخاص أو الجماعات ليس وحده حراماً فحسب، بل جائز وممدوح، ومستحب أيضاً.

ذم لعن الحيوانات والجمادات:

وقد ذمَّ الأئمة عليهم السلام من لعن الحيوانات أيضاً.

١. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٢٩١.

٢. النراقي: جامع السعادات، ج ١، ص ٣٥٤.

٣. المصدر نفسه.

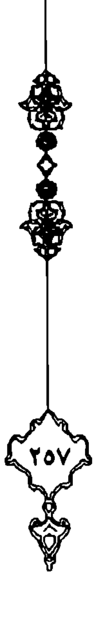
فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"لا تضربوا الوجوه، ولا تلعنوها، فإن الله عز وجل لعن لاعنها"[1].

وروي أيضاً أن رجلاً ركب مع النبي(صلى الله عليه وآله) على بعيره، فلعن البعير، فوبّخه النبي وأنّبه وقال: لا تكن معنا على بعير ملعون، ولا تسر معنا. ثم قال النبي(صلى الله عليه وآله) بعد نهيه هذا في من ذم الدنيا:

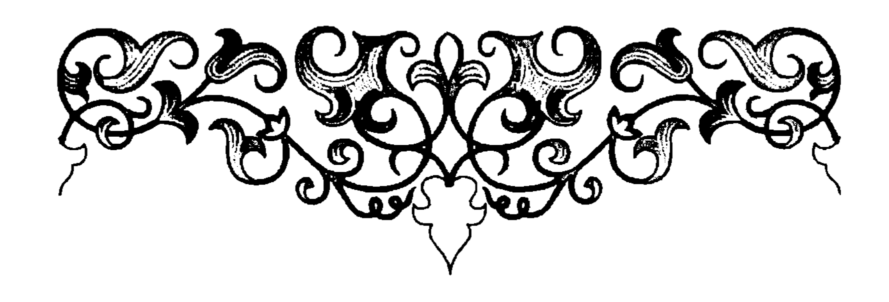
"إذا قال العبد: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه"[2].

فالإنسان الذي يلعن، إن كان لعنه غير جائز وبغير حقّ، فقد ردّ حكم الله، وعدّ فاسقاً، ويستحق لعنة الله.



١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٨٣، ح ١٥٣٢٠.

٢. المصدر نفسه، ج ٧، ص ٥٠٩، ح ٩٩٨٧.



(٤)
الجذور الدّاخلية للّعن

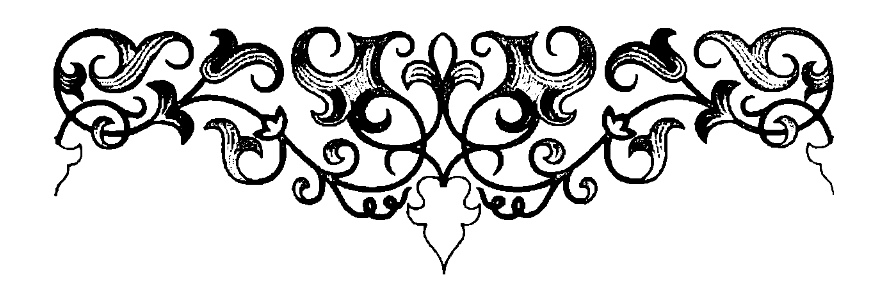
يعدّ اللعن من جملة الأفعال المذمومة للإنسان، وهو كأي فعل أو أسلوب، آخر شبيه به، سيّئ ومذموم، وقد امتدت جذوره في إحدى الرذائل والصِّفات القبيحة، ويمكن عدّ عوامل وأسباب ارتكاب هذا الفعل وإحصاؤها على صور مختلفة، هي:

١ - الغضب:

إن من أهم عوامل ظهور اللعن هو الغضب، فاذا تأججت في الإنسان ثائرة الغضب المستعرة، وعلا لهيبها، وخرج عن دائرة العقل وسيطرته، فحينئذ تصدر منه أفعال سيِّئة ومذمومة، ومن جملتها: اللعن، فيكون طلب الابتعاد عن الرحمة، السقوط والتهاوي على أعتاب مشاكل الحياة وصعابها، واقتراب الآجال ودنوها، و...هي من أشهر آثار الغضب عند الإنسان.

٢ - الحسد:

وقد يكون لعن الآخرين بسبب حالة الحسد التي تحصل لدى الإنسان لما يراه من تمتّع الآخرين بتفوقهم وكفاءاتهم العلمية. فالحاسد بدل أن يبحث لنفسه عن مزايا ورتب إنسانية عالية وتفوّق علمي لتطوير نفسه، وارتقاء سلَّم الكمال والمجد، تراه يطلب من الله سقوط الآخرين، ويفتّش عن أساليب قذرة وغير أخلاقية للإطاحة بهم، فلا ينطق لسانه إلا بهجو الآخرين وذمِّهم ولعنهم.



(٥)
النتائج المذمومة للَّعن

تنتج عن اللَّعن المذموم، كآفات اللّسان الأخرى، أضرار ونتائج سيئة ومذمومة، وسنشير إلى جملة من تلك النَّتائج، وهي:

١ - إيجاد الحقد والعداوة:

من أضرار اللَّعن ونتائجه:

إيجاد نوع من التذمُّر والحقد والعداوة للآخرين، فاللاعن يزرع بذور العداوة والأحقاد في النفوس، وتعكير الصفو وخلق حالة من الخصومة والإيذاء.

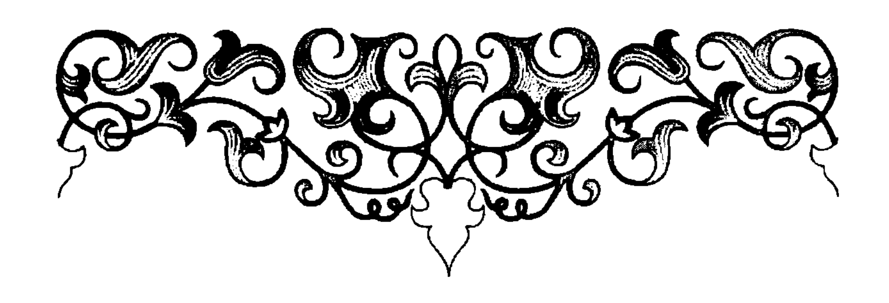
٢ - اللاَّعن لا يلعن إلا نفسه:

إذا لم يستحق من لعن كل هذا اللعن، فاللاعن في الحقيقة لا يلعن إلا نفسه، بمعنى أن اللَّاعن طلب لنفسه البعد عن رحمة الله من دون أن يشعر بذلك.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"إن اللعنة إذا خرجت من صاحبها، ترددّت بينه وبين الذي يلعن، فإن وجدت مساغاً، وإلا رجعت إلى صاحبها، وكان أحقّ بها، فاحذروا أن تلعنوا مؤمناً فيحلّ بكم"[١].

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ص ٣٠١، ح ١٦٣٥٧.



(٦)
أساليب معالجة اللَّعن

يمكن معالجة هذا المرض المزمن، كسائر أمراض اللّسان الأخرى، بأسلوبين:

١ - الأسلوب العلمي.

٢ - الأسلوب العملي.

١ـ الأسلوب العلمي:

إن معرفة نتائج هذا المرض المزمن وأعراضه، قد تكون سبباً في وجود حالة من الكراهية والشحناء والبغضاء له.

ويزيد التذكير المستمر بهذه الحالات وذلك الشعور في داخل الإنسان، فيبثُّه في روحه، ويعمّقه في وجوده، ما يسبب هذا النوع من الكراهية والبغضاء للابتعاد عن هذا المرض المزمن واجتنابه، أو معالجته بأساليب متطورة وحديثة.

فالتأني ومعرفة عواقب الأمور في اللعن، قبل الإقدام عليه، قد يساعد على شفاء الشخص ومعالجته من هذا المرض.

٢ـ الأسلوب العملي:

عدّ علماء الأخلاق «الدعاء» و«طلب الخير والنصيحة» و«التوفيق والسعادة»



للآخرين، من الوسائل الإلهية المؤثرة والناجحة في معالجة مرض اللعن، أو إضعاف سيطرته علي الإنسان. والتكرار المستمر لهذا الأسلوب يؤدي أيضاً إلى زوال ما اعتاده اللاّعن عن طريق ممارساته اليومية، فيزيل هذا المرض عن الإنسان نهائياً.

ويرى كثير من علماء الأخلاق: أن الدعاء بالخير يمثِّل حالة مضادة للّعن، ويعني المدح، وتحسين حالات الطرف الآخر، كأن يدعو الإنسان ربّه: أن يهب الخير لفلان كما يحبه هو لنفسه ويتمناه، فيتمنى له الأفضل من ذلك، كأن يرجو من الله أن يوفّق أخاه المؤمن في فعل الطاعات والعبادات.

إن للدعاء بالخير آثاراً مطلوبة ومؤثرة، وهي على خلاف اللعن، فهي تدعم الإنسان وتنشّط فيه روح المعرفة والتذكير في ترك اللعن. ومن جملة هذه الآثار:

١ - ما يكون بين الداعي بالخير ومن يدعو له. حيث تظهر بينهما حالة من الصَّفاء والنَّقاء والألفة والمحبة الخاصة، فتؤدي هذه الحالة إلى توطيد صلة الإيمان بين الطرفين، وتعمّقها أكثر من ذي قبل.

٢ - الدّعاء بالخير يرفع من سوء التفاهم وتعكير الصفو، وزيادة العداوة والبغضاء، ولا يسمح لهذا الغبار بأن يلطخ نقاء الروح وصفاءها.

٣ - الأثر الآخر للدعاء بالخير هو أن الإنسان إذا طلب الخير لشخص ما، فإن الله يمنّ عليه بذلك الخير نفسه، وربما أكثر من ذلك أضعافاً مضاعفة.

روي عن الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من دعا لمؤمن بظهر الغيب، قال الملك: ولك مثل ذلك"[١].



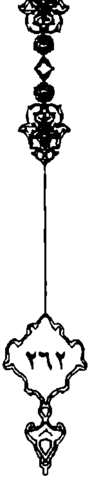
وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام في موضع آخر أنَّه قال:

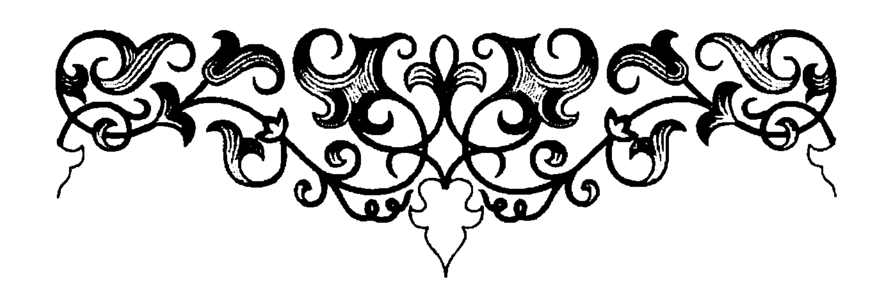
"إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب، أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك، تدعو له بالخير وهو غائب عنك، وتذكره بخير، قد أعطاك الله عز وجل مِثْلَي ما سألت له، وأثنى عليك مِثْلَي ما أثنيت عليه، ولك الفضل عليه"[٢].

١. المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٠٩، ح ٨٨٧٣.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٥٠٨، ح ٧.

إن تقوية قوى العقل وتنشيطها للسيطرة والتحكُّم بالقوى الغضبية هو أسلوب وطريق أمثل في إزالة الصفات والخصائص الملوثة والمذمومة الناتجة عن الغضب، فالسيطرة على القوى الغضبية والتحكُّم بها يسدّان الطريق أمام عبور الكثير من الأمراض الروحية والأخلاقية، لأن عنفوان الغضب الذي لا يمكن السيطرة عليه في الإنسان هو مصدر الكثير من الأفعال والتصرُّفات المذمومة والمرفوضة.





الفصل التَّاسع
الشَّماتة

"لا تظهر الشماتة بأخيک، فيرحمه الله ويبتليک"[1].

الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله)

مقدمة:

قد يبتلى البشر، في علاقاتهم الاجتماعية والروحية، بأزمات ومشكلات متعدِّدة وخطيرة أحياناً، وهذه الأزمات والمشكلاتِ ناتجة عن تضارب القوى الشهوية ومخالفتها أحيانا، أو التحلُّل من قيود القوى الغضبية ومضايقاتها، ويمكن عدّ «الشماتة» من جملة هذه المخالفات والتجاذبات الشاذَّة في الإنسان.

ويعدّ علماء الأخلاق« الشماتة» مرضاً آخر من أمراض اللسان.

ونسلِّط الأضواء، هنا، على مسائل مهمَّة وحيوية تتعلَّق بهذه الآفة والمرض المزمن، وهي عبارة عن:

١ - تعريف الشَّماتة.

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٦، ح ٣٦٠٦.

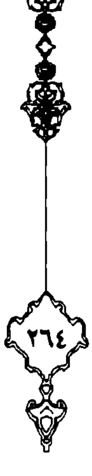
٢ - أقسام الشماتة.

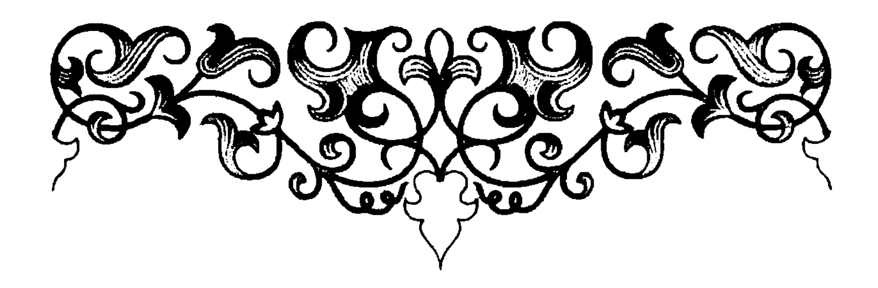
٣ - ذم الشَّماتة شرعاً وعقلاً.

٤ - الجذور الداخلية للشَّماتة.

٥ - النتائج المذمومة للشَّماتة.

٦ - طرق معالجة الشَّماتة وأساليبها.

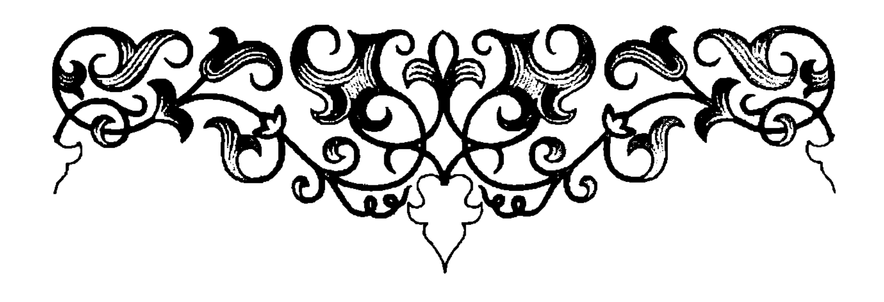




(١)
تعريف الشَّماتة

عرّف علماء الأخلاق «الشماتة»: بأنها إظهار الفرح والسرور بمصائب الآخرين، أو فرح العدو ببلية تنزل بمعاديه، أو بالنكبة تصيب هذا الرَّجل.

فإذا اكتشف الشخص مصيبة حلّت بأخيه في الدين، وفرح وسرّ بذلك، ثم شمت بأخيه وآذاه، فقد أصيب بمرض الشماتة، وهذه هي مقابل ما ابتلي به من فعل الشامت له. أي أن الشامت والمظهر للسرور والفرح بسبب ما حلّ بأخيه المبتلى، يرى أن المصيبة هي نتيجة هذا الفعل أو التصرُّف، فيتعاطى مع المصاب في إظهار خلاف هذا التعامل.



(٢)
أقسام الشَّماتة

يمكن تقسيم الشماتة، من حيث إظهار الرضا أو عدم إظهاره، إلى قسمين:

١ ـ الشَّماتة الدَّاخلية:

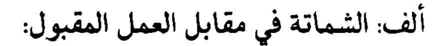
إذا سرّ الإنسان، في أعماقه بمحن الآخرين ومصائبهم، ولم يظهر الفرح والسرور، سمِّيت حالته بـ "الشماتة الداخلية".

٢ ـ الشَّماتة الفعلية (الخارجية):

إذا فرح الشَّخص بابتلاء الآخرين، والتذّ بما أصابهم من مكاره، ورأى أن الإصابة بهذا الابتلاء ـ بحالة من العتاب والنقد ـ حدثت جرّاء ما صدر من المصاب المبتلى، سُمِّي هذا الفعل "الشماتة الفعلية".

وتستخدم الشماتة، في القسم الأول، على نحو المجاز. فقد تقدّم في تعريف الشماتة: إنَّها إظهار الفرح والسرور بمصائب الآخرين.

ويمكن تقسيم عمل المبتلى بالشماتة إلى قسمين:



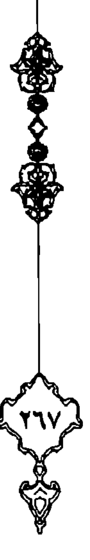
ألف: الشماتة في مقابل العمل المقبول:

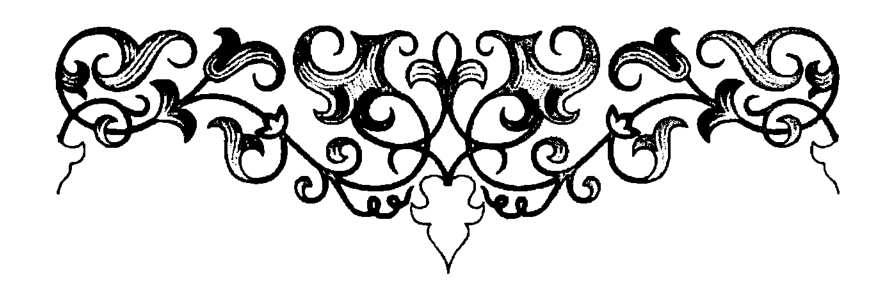
قد يكون فعل الشخص المبتلى غير قبيح أحياناً، بل هو قبيح في رأي الشامت فقط، من دون أن ينسجم مع أهدافه وأطروحاته، كالإنفاق مثلاً، فهو لا ينسجم مع أهداف الشامت البخيل. فلو ابتلي هذا الشخص بمصيبة بعد انتهائه من هذا العمل، يرى الشامت أن هذا الابتلاء هو نتيجة لعمله، ويلومه على فعله الصحيح.

فكذلک شماتة المنافقين لأهل الايمان في الابتلاءات والمصائب التي تحلّ بهم، هي من هذا القبيل.

ب: الشماتة في مقابل العمل المذموم و السيّئ:

وقد يشمت بالمصاب المبتلى بسبب عمل مذموم وتصرّف سيّئ صدر منه، كتعرضه إلى الإفلاس نتيجة عدم رعايته للموازين الدينية والشئون الأخلاقية في معاملاته وأساليبه السابقة.





(٣)
ذم الشَّماتة شرعاً وعقلاً

يذمُّ العقل والشَّرع تلك الحالات النَّاتجة عن الفرح والسرور، على أثر تعرّض شخص ما إلى المصيبة والكوارث الناجمة عنها.

فالعقل والفطرة البشرية السليمة، وبحكم طبيعتهما وصبغتهما الاجتماعيَّة، يرتضيان حالات التَّجانس والتآلف ومداراة الناس، وتنسجم هذه الصفات مع طبيعة المواساة والتآخي وأسلوبهما.

ومن المؤكَّد جداً، هنا، أن المواساة و التآخي مع الآخرين لا ينسجمان مع طابع الفرح وإظهار السرور على من حلّت به مصيبة وكارثة، أو ألمّ به مكروه أبداً.

ولهذا، فإن الفطرة الإنسانية السليمة ترفض فرح بعض النَّاس وسرورهم على أثر ما يعصف بالآخرين من مصائب أو أزمات خانقة ومكروهة، بل تذمّهم على ذلك.

وقد ذمّ الأئمة المعصومون عليهم السلام هذا الأسلوب أو التصرُّف المرفوض في عبارات كثيرة، ونهوا عن ذلك.

روي عن النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"لا تظهر الشماتة بأخيك، فيرحمه الله ويبتليك"[١].

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٦، ح ٣٦٠٦.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

"من شمت بمصيبة نزلت بأخيه، لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن"[1].

فالشماتة بمصيبة الآخرين مرفوضة بكل أشكالها ومذمومة، بل يعاقب عليها أيضاً، سواء ظهرت في العمل، أم بقيت خفية ومستترة في الباطن.

أما إظهار السُرور والفرح فهو، وإن كان مذموماً وقبيحاً، يبيّن كذلك حقيقة الشامت ودناءته ورذالته في تعبيره عن فرحه بفجائع الآخرين، وهو يبعث، أيضاً، على تصدّع عواطف المبتلى بالمصيبة ومشاعره.

والأنكى والأمرّ من ذلك كلّه هو: إظهار الشماتة بمن أحسن التصرف والفعل، وكان من كرام الناس! فهذه الشماتة هي من أقبح الرذائل، ونهاية الحقارة والدّناءة للشامت، والسقوط الأخلاقي، لأن ذمّه: لم يكن بسبب أن المبتلى بمصيبة قام بذلك الفعل عن رغبة منه ومطالبة من نفسه، فيذم ويلام بسبب ما حلّ به من ابتلاء ومصائب !.

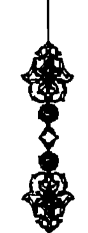
ولعلّ نزول هذا الابتلاء والمصائب بالمبتلى إنما حدث لأجل رفعته وتكامله، فالمؤمن مبتلى كما قيل!.

قال الرومي ما معناه:

"أكثر قرباً في هذا العناء * هو من سقي كأس البلاء"[2].

وأجابت بطلة كربلاء زينب بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام على شماتة يزيد بن معاوية ـ عليه اللعنة ـ فقالت:

"ما رأيت إلا جميلاً"[3].



فالشهادة في درب المحبوب الحقيقي هى رفعة وجمال وحياة، كما سمى إمام المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام ذلك:

«بالفوز والفلاح»[1].

---

١. الكليني: الكافي. ج ٢، ص ٣٥٩، ح ١.

٢. قال المولوي:

هر كه در اين بزم مقرب تر است*جام بلا بيشترش مى دهند.

٣. العلامة المجلسي: بحارالأنوار. ج ٤٥، ص ١١٥.

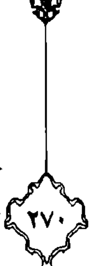
وعبَّر المولوى عن ذلک، فقال ما معناه:

"اقتلوني اقتـلوني يا ثقـات * إن في قتلي حياة في حياة"[2].

وليس في إظهار الفرح والسرور بابتلاء الظالمين والكـافرين إشـكال، شـريطة أن يكون هذا الفرح لانتصار الحق وهزيمـة الباطـل، ولا علاقـة لـه بالقـضايا الشخـصية والفردية والأمور الخاصّة بهم، وذلک لأن البغض والأحقـاد الشخـصية الكامنـة فـي الإنسان تثير حالات من الفرح والسرور أحياناً في مشاهدة إذلال أعدائه وهزيمتهم.

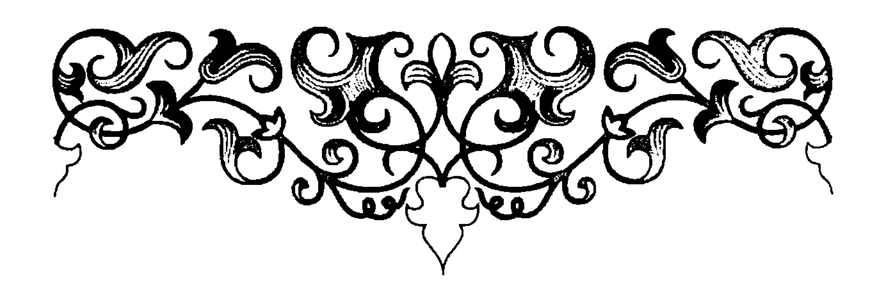
إن محور الحب والبغض الممدوحين وأساسهما هو أن يكون في الله تعالى.

أي أن على الإنسان أن يحب في الله، ويعادي في الله أيضاً. فإذا كان رفض المساوئ والتذكير بالعواقب السيئة التي تصيب الظـالمين، والكـافرين، والعـصاة المـذنبين، هـو لبغض الذنب وعدائه له تحديداً، فهو جميل وممدوح.



١. قال أمير المؤمنين، بعد أن ضربه ابن ملجم (لعنه الله) على رأسه في المسجد الكوفة: فـزت ورب الكعبـة. المـصدر نفـسه، ج ٤١، ص ٢، ح ٤.

٢. المولوي: المثنوي المعنوي، الدفتر الثالث، قصة: عدم مبالاة قول العاشق الناصح.



(٤)
الجذور الدَّاخلية للشَّماتة

تظهر الشَّماتة نتيجة تفسُّخ عرى القوى الغضبية وأواصرها، فإذا خرجت هذه القوى الغضبية الدَّاخلية عن قيادة العقل، ستؤدِّي إلى ظهور الرَّذائل والمساوئ في المجتمع، ولعلّ بعضها يكون سبباً في التعامل المذموم للشماتة.

وهذه العوامل هي:

١ - العداوة:

إن إدخال الضرر، وتعكير الصفو، وتعرض الأذهان إلى الخطر، هي من جملة الحالات التي تنتج العداوة والبغضاء في التعامل مع الآخرين. فالعدو ينتظر الفرصة المناسبة لكبح جماح من يبغضه ويعاديه، والانقضاض عليه، والإطاحة به نهائياً، وإسقاطه. فهو من خلال إدخال المصيبة على من يبغضه، يبدأ بإظهار الشماتة لإرضاء شعوره وإحساسه الباطني له بالكراهية وبغضه الدفين.

٢ - الغضب والعصبيَّة:

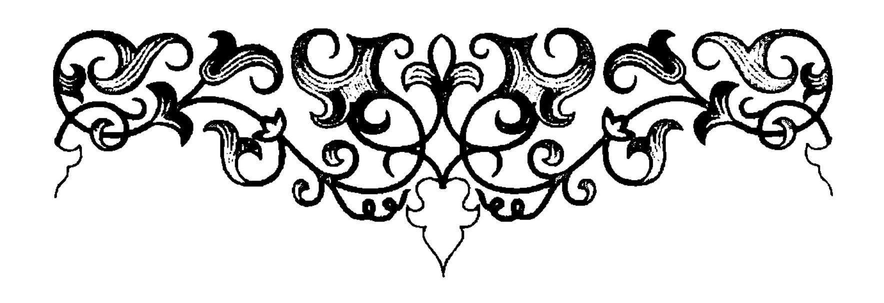
وقد يلوم الإنسان غيره أحياناً لإطفاء نار غضبه المتوقِّد والمستعر في أعماقه وباطنه (من دون حصول العداوة).

٣ ـ الحسد:

يمكن عدّ معاتبة المبتلى أساليب وأدوات مناسبة لتنفيذ مطالبات الحاسد، لأن الحاسد يبحث عن سبل لتلويث سمعة من يحسده وإذلاله وتشويه كرامته، ومعاتبته ولومه عند الآخرين، والسعي إلى تحقيق رغباته، والوصول إلى أهدافه غير المشروعة.







(٥)
النَّتائج المذمومة للشَّماتة

إن هناك أضراراً ونتائج مذمومة عديدة للشماتة بالآخرين والإساءة لهم تعود على الشامت نفسه قبل غيره في الدُّنيا والآخرة معاً.

١ - أضرار الشماتة ونتائجها في الدُّنيا:

الابتلاء بالمصيبة:

قد يظهر الشامت فرحه وسروره بمصيبة غيره، فيتعرض الشامت للمصيبة والابتلاء نفسيهما.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

"من شمت بمصيبة نزلت بأخيه، لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن"[١].

٢ - نتائج الشَّماتة في الآخرة:

عذاب الآخرة:

إن إيذاء المؤمن سبب في غضب الله وعذاب الآخرة.

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٩، ح ١.

قال الله، عزّ وجل، في الحديث القدسي:

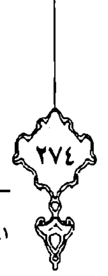
"لِيَأذَنَ بحربٍ منّي مَنْ آذى عَبْدِيَ المؤمن... "[1].

وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله):

"من آذى مؤمناً، فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون..."[2].

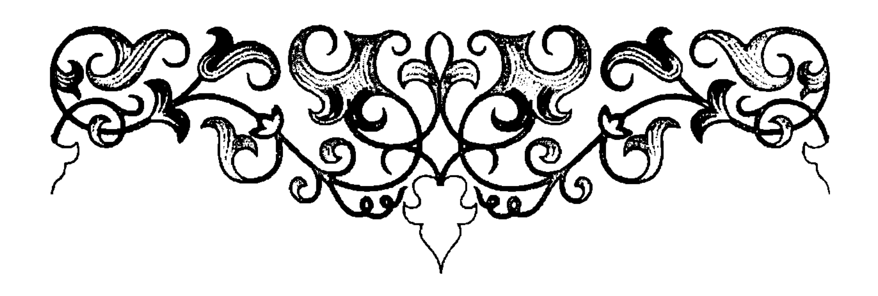
ومن الواضح أن الشماتة بأهل الايمان هى السَّبب في إيذائهم وتعكير صفوهم.

فمن الضروري، إذاً، اجتناب الإيذاء والابتعاد عنه.



١. المصدر نفسه: ص ٣٥٠، ح ١.

٢. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٩٩، ح ١٠٣٣٥.



(٦)
أساليب معالجة الشماتة

ينبغي التَّفكير في آثار هذا المرض وعواقبه، وكيفية معالجته، كمعرفة أن هذا الشامت يمكن ابتلاؤه وإصابته بأي مرض ووباء يتعرض له المشموت به، فيظهر وازع الانزعاج أو الخوف والقلق في داخله.

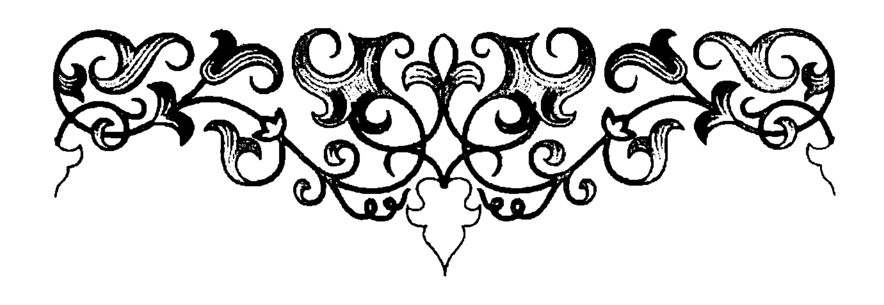
وعند تكرار التذكير بهذا النداء، سوف لن يشمت بالآخرين أبداً.

فالتفكير بما سيحلّ من بلاء بأهل الإيمان، يمكن أن يعدّ كفارة للذنوب والمعاصي، أو سبباً لإيصالهم إلى الكمال في الآخرة، ليصدّ شماتتهم وملامتهم.

ومن جهة أخرى، لا يدل البلاء والابتلاء والمصيبة لشخص ما على بعده عن الله ووهنه ورذالته عند الخالق، بل يدلّ أكثر ما يكون على قربه من الله عزّ وجلّ.

إن تعرّض الشامت إلى المصائب والابتلاءات التي ترد عليه، وفهمه لذلك، قد يصدّه عن الإضرار بالآخرين وإيذائهم، ومن شغله التفكير بهمومه، أغناه ذلك عن التدخل في ما لا يعنيه. فالتَّدقيق والتأمل في أن ما يحلّ به من بلاء، قد يكون لتأديبه بسبب ما ارتكبه من أخطاء، سيشغله عن التفكير في الإضرار بالآخرين، فينشغل بنفسه من دون التعرض لهم بسوء.

ويسوق التفكير في الابتعاد عن الرحمة الإلهية بسبب إيذائه لأهل الإيمان، إلى ترك هذا الفعل البذيء والتعامل السيّئ، ورفضه.



الفصل العاشر

الفحش

"الجنَّة حرام على كلِّ فاحش أن يدخلها"[1].

النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)

مقدِّمة:

الفحش والكلام البذيء هما من الأساليب المذمومة والمضرّة التي يبتلى بها البشر بين آونة وأخرى.

إن هذا المرض، أو الوباء، المضر والخطير هو نواة تفسُّخ العلاقات والروابط العاطفية والبشرية، وسبب في ظهور الحقد والعداوة بين الناس.

وقد تناول هذا الفصل بيان الأبعاد المختلفة للفحش والسباب وإيضاحها، ثم وضع الأساليب المتعددة لمعالجته والحد من انتشاره، ورفع جذور هذا الداء الخطير والمزمن عن المجتمع.

ومواضيع هذا البحث في هذا الفصل هي:

١ - تعريف الفحش.

---

١ ورّام بن أبي فراس: مجموعة ورّام، ج ١، ص ١١٠.

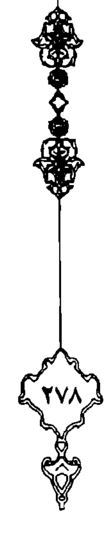
٢ - أقسام الفحش.

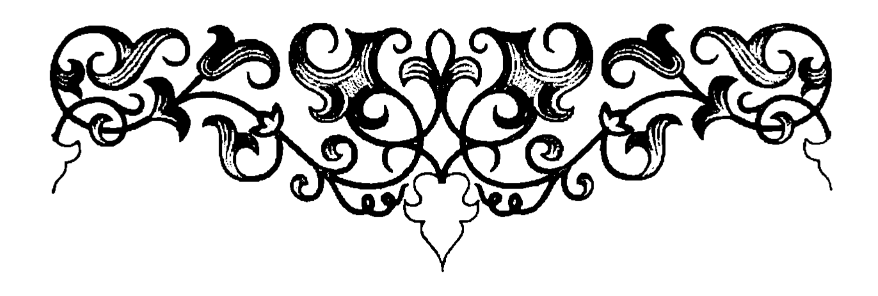
٣ - ذم الفحش شرعاً وعقلاً.

٤ - الجذور الدّاخلية للفحش.

٥ - النتائج المذمومة للفحش.

٦ - طرق معالجة الفحش وأساليبها.





(١)
تعريف الفحش

الفحش، والكلام البذيء، وسلاطة اللّسان، والتفحّش والسُّباب، هي مصطلحات عديدة، لها معان متقاربة جداً، ومترادفة، ذات معنى واحد.

فالفحش، لغةً، هو كلّ ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، أو زيادة السوء عن حدّه المتعارف عليه والمجاز. يعني أنّه كلما ازداد السوء عن حدّه وتجاوزه، سيتّجه الشخص نحو الفحش وبذاءة اللسان.

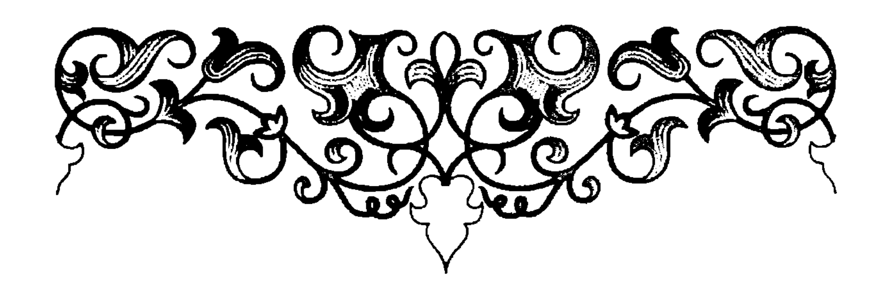
و"التفحُّش" هو عبث القول أو الشذوذ في الكلام.

والسب: هو الشتم، وبذاءة القول، أو رداءة الكلام.

أما البذاءة فهى الفحش في القول والفعل، أو سوء اللّسان.

والسلاطة هي حدّة اللّسان والصخب.

ويطلق علماء الأخلاق على استخدام الكلام البذيء والسيّئ لدى الاشخاص اسم الفحش والسُّباب.



(٢)
أقسام الفحش

يقسم الفحش، من حيث دواعي المتكلم وقصده، إلى قسمين:

١ - الفحش بقصد الإيذاء (القصد الجادّ):

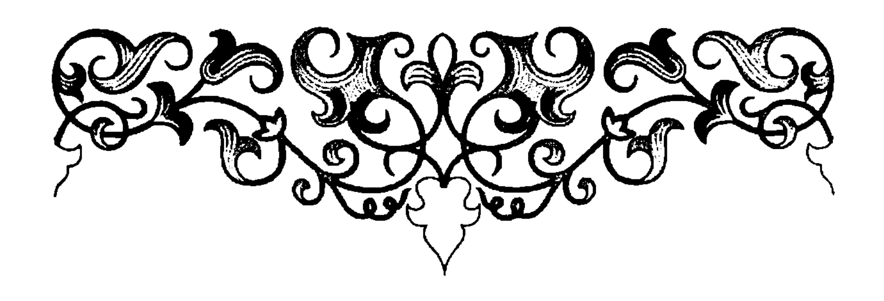
قد يفحش الإنسان، في قوله وفعله، بقصد إيذاء الآخر وتشويش ذهنه، وتجريح مشاعره وعواطفه النبيلة. فالمُفْحِش، في هذه الحالة، يسيء إساءة بالغة لغيره، ويسعى إلى كسر شوكته، والإساءة إلى كرامته وإرادته.

٢ - الفحش بقصد السُّخرية:

السُّباب والفحش والكلام السخيف، وإن كان للسخرية والمزاح، من دون قصد الإيذاء، هو نوع من الإيذاء.

وقد يعتاد الإنسان على هذه الصفة، أحياناً، من دون أن يكون هناك قصد خاصّ ومحدّد، كالمريض الذي يستغلّ بذى الكلام، لغرض إيصال ما يصبو إليه من مقاصد وأهداف قد اعتادها في ممارساته إليومية. ويتم تقسيم الفحش من جهة قبح الكلمات المستخدمة إلى رتب عديدة، بعضها سيّئ جداً، وبعضها الآخر أقلّ سوءاً.

ويختلف معيار السوء والقبح في كلام الأشخاص لدى الأمم والشعوب المختلفة، بمعنى أن الفحش قد يكون سيئاً وقبيحاً في موطن ومدينة ما، وهو ليس بسيِّئ وقبيح في موطن آخر ومدينة أخرى.



(٣)
ذمّ الفحش شرعاً

ذمّ الأئمّـة المعـصومون عليهم السلام الفحـش، وانتقـدوه بـشدّة فـي كثيـر مـن الروايـات والأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام.

فقد روي عنهم عليهم السلام أنهم قالوا:

"لا فحش في الإسلام، ولا يكون المسلم فحّاشاً".

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"الفحش والتفحّش ليسا من الإسلام في شيء"[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه:

"إن هذا – الفحش – ليس من فعالي، ولا آمر به شيعتي"[٢].

وروي عن سماعة – وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام – أنّه قال:

"دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مبتدئاً:

يا سماعة، ما هذا الذي كان بينك وبـين جمّالـك؟ إيـاك أن تكـون فحّاشـاً أو صخّاباً أو لعّاناً.

---

١. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٢٦، ح ١٤.

فقلت: والله، لقد كان ذلک، إنه ظلمني. فقال: إن كان ظلمک، لقد أربيت عليه، إن هذا ليس من فعالي، ولا آمر به شيعتي، استغفر ربک، ولا تعد.

قلت: أستغفر الله ولا أعود"[1].

وروي عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها"[2].

وقال (عليه السلام) أيضاً:

"إياكم والفحش، فإن الله لا يحبّ الفحش والتفحش"[3].

وعنه (عليه السلام) أنّه قال:

"إياكم والفحش، فإن الله لا يحبّ الفاحش المتفحّش"[4].

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال:

"إن الله يبغض الفاحش المتفحّش"[5].

وقال (عليه السلام) أيضاً:

"إن الله يبغض الفاحش البذيء"[6].

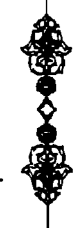
وروي عن الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) في وصيّته لعلي (عليه السلام) أنّه قال:

"يا علي، شرّ الناس من أكرمه الناس اتقاء فحشه"[7].

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنّه قال لعائشة:

"يا عائشة، إن الفحش لو كان ممثّلاً، لكان مثال سوء"[8].

والحاصل من خلال التفكّر والتأمل في مثل هذه الروايات والنصوص: أن الفحش حرام شرعاً، وهو عمل مذموم، بل ممنوع ومحظور أيضاً.



---

١. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٢. ورام بن أبي فراس، مجموعة ورام، ج ١، ص ١١٠.

٣. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٣٤، ح ٤.

٦. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٥.

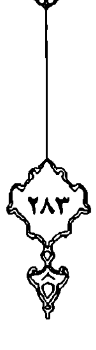
٧. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٤، ح ٢٠٩٠٢.

٨. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٢٥، ح ١٢.

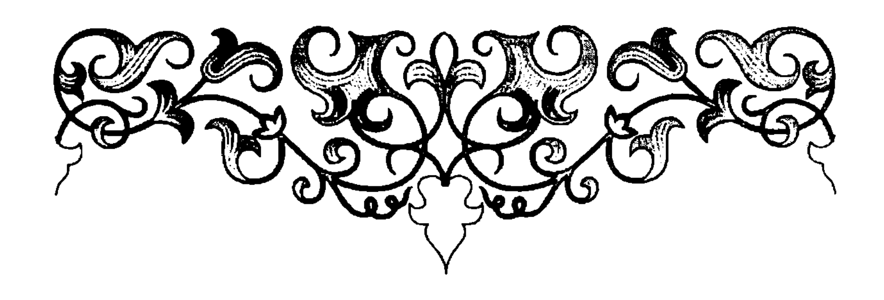
أما التعابير الواردة، مثل: «لم يكن في الإسلام»، «لا يدخل الجنة»، «لا يحب الله»، وغيرها من المصطلحات والمفردات الواردة في ذلک، فهي إشارة إلى شدة قبح هذا الفعل وذمِّه عقلاً وشرعاً، وقد بلغ الأمر أن يصرّح الإمام الصادق عليه السلام بأن المفحش في النار.

وروي عنه عليه السلام أنَّه قال:

"البذاء من الجفاء، والجفاء في النار"[1].



١. المصدر نفسه والصفحة نفسها، ح ٩.



(٤)
الجذور الدّاخلية للفحش

للفحش جذور عديدة تترسَّخ في أحد العوامل الآتية:

١ - الغضب والعصبيَّة:

يكون مصدر الفحش، غالباً، هو تأجُّج نار الغضب الكامنة في أعماق الإنسان واتّقادها. فالفرد الغاضب، وبسبب عجزه عن السيطرة على الغضب والتحكُّم به، قد يرتكب أفعالاً وأساليب مذمومة وسيئة كالفحش مثلاً، فإذا تكرّرت هذه الأفعال والممارسات منه واستمرت، فستصبح على شكل ممارسات يومية ومستمرّة، وأمراً طبيعياً في حياته الاجتماعية.

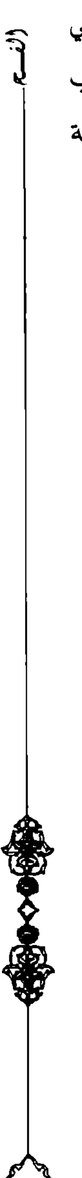
٢ـ المزاح:

وقد يستخدم الفحش عادة للمزاح والسخرية مع فرد آخر فقط، أو لإضحاك الآخرين.

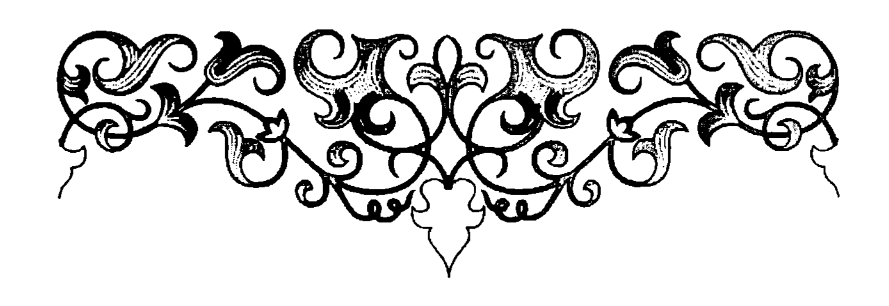
ولهذا الفعل جذور وانطباعات في القوى الشهوية، كفحش المهرّجين الذين يستخدمهم الملوك والوزراء في البلاط الملكي لإضحاكهم وسخريتهم، فإن هذا الفعل يعدّ من هذا النَّوع أيضاً.

٣ - العادة:

قد تتحوّل التَّربية الخاطئة في أسلوب التخاطب والحوار لنوع الكلام غير الملائم والمذموم إلى أمر عاديّ يمارسه الإنسان عادة في حياته اليومية. فقد يفحش في الكلام في مثل هذه الحالة من دون وقوع تخاصم أو تعارض بين قوّتي الغضب والشهوة، لأن الفحش أصبح للشّخص المعتاد على الفحش أمراً طبيعياً وممارسة يومية متكرِّرة في كلامه مع الآخر.







(٥)
النَّتائج المذمومة للفحش

للفحش والتَّفاحش أضرار ونتائج مذمومة وسيئة في الدنيا والآخرة يتعرّض لها الإنسان في طريقة تعامله الاجتماعية.

ويمكن الإشارة هنا إلى النَّتائج الآتية:

النتائج المذمومة للفحش في الدُّنيا:

١ - إثارة مشاعر الآخرين من خلال الفحش:

قد يؤدِّي الفحش إلى إغضاب الآخرين وإزعاجهم، فيضطرهم إلى ارتكاب هذا الفعل المذموم.

فقد يلجأ المفحش، وهو يتناول مبادئ الآخرين وعقائدهم، إلى الإساءة إليهم فيتعرَّض إلى سوء أقوالهم وأفعالهم، فيسيئون هم أيضاً إلى مقدساته ومبادئه.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عَدْواً}[١].

---

١. الأنعام (٦): ١٠٨.

٢ - إيجاد العداوة:

الفحش: هو زرع بذور العداوة والبغضاء، والأحقاد الدفينة في قلوب الآخرين، وإثارة نوازع العداوة والكراهية لدى المفحش، فبدل أن يكسب هذا الشخص صداقة الطَّرف الآخر وودّه، فإنه يكثر من أعدائه المحدقين به من كل جانب، والمتربّصين به الدوائر.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنّه قال:

"لا تسبّوا الناس، فتكسبوا العداوة لهم"[١].

٣ - خلق حالة من النفاق والازدواجية:

قد يسوق الفحش عامَّة الناس نحو النِّفاق والازدواجية في تعاملهم، لأنهم يسعون جاهدين إلى البقاء بأمان من سلاطة لسان الفحاش، والترقّب من أقواله وأفعاله، فيقدّمون له الودّ والاحترام تصنُّعاً منهم له، لا لرغبة منهم في ذلك، بل لاتّقاء شرّه وإيذائه لهم، فقد قيل: اتق شرّ من أحسنت إليه.

روي عن رسول الله(ﷺ) في وصيته لأمير المؤمنين علي عليه السلام، أنَّه قال:

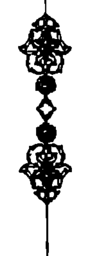
"يا علي، شرّ الناس من أكرمه الناس اتقاء فحشه"[٢].

وهذا هو معنى ازدواجية القلب واللّسان ونفاقهما معاً، وهو نوع من إظهار النفاق أخيراً في المجتمع.

ويظهر مع الفحش، إضافة إلى النفاق لدى الآخرين، نفاق القائل المتكّلم أيضاً.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"إن الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق"[٣].



فكل كلام بذيء يرد على اللّسان - في ضوء هذه الرواية - ربما لا يكون لإثارة العداوة والبغضاء بين الطرفين المتخاصمين، بل لكونه عادة مستمرة قد اعتادها الناس في معاشرتهم وحياتهم اليومية. فكل ما يرد على اللّسان، هو غير ما يوجد في القلب، وهذه هي الحال من النفاق والازدواجية.

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢١٧، ح ١٦٣٤٨.

٢. المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٣٤، ح ٢٠٩٠٢.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٢٥، ح ١٠.

٤ - نزع البركة:

من آثار هذا الأسلوب وهذا التعامل المذمومين ونتائجهما المهمَّة نزع بركة الأرزاق، وتقرير أن الله تعالى يفسد معيشة المفحش، بإيكاله إلى نفسه.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال:

"من فحش على أخيه المسلم نزع الله منه بركة رزقه، ووكّله إلى نفسه، وأفسد عليه معيشته"[١].

فإذا أوكل الله شخصاً إلى نفسه، فسوف لن يرى وجه الصلاح والخير لنفسه أبداً، ويسلب الله من حياته كل خير وبركة، وهذا هو معنى «فساد المعيشة». فمثل هذا الشخص، يركض تارة إلى اليمين وتارة أخرى إلى اليسار، وتارة تسوقه شهوته إلى جهة، وتارة أخرى نحو الغضب، وفي النتيجة هو غير قادر على اختيار مساره الصحيح بنفسه، ويكون مخفقاً في حياته.

٥ - نواة الفسق:

يمكن أن يغيِّر الفحش اتجاه مسار الإنسان الصحيح، ويبعده عن «ملكة العدالة»، ويضعه في عداد الفاسقين.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: "سباب المؤمن فسوق..."[٢].

٦ - عدم استجابة الدُّعاء:

الفحش والتفاحش عاملان مهمَّان في عدم استجابة الدُّعاء.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:



"كان في بني اسرائيل رجل، فدعا الله أن يرزقه غلاماً ثلاث سنين، فلما رأى أن الله لا يجيبه، قال: يا رب، أبعيد أنا منك فلا تسمعني؟ أم قريب أنت مني فلا تجيبني؟ قال: فأتاه آت في منامه، فقال: إنك تدعو الله عز وجل منذ ثلاث سنين بلسان بذيء، وقلب عات غير تقي، ونيّة غير صادقة، فاقلع عن بذائك، وليتق الله قلبك، ولتحسن نيّتك، قال: ففعل الرجل ذلك، ثم دعا

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٢، ح ٢٠٨٩٧.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٩، ح ٢.

الله، فولد له غلام"[1].

نتائج الفحش في الآخرة:

١ - الحرمان من الجنَّة:

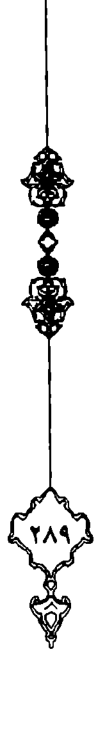
إنَّ من ابتلي بالفحش والتفاحش لا سبيل له إلى الجنَّة أبداً. كما روي ذلك عن رسول الله(ﷺ) أنَّه قال:

"الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها"[2].

٢ - الدُّخول إلى النَّار:

ستكون عاقبة من يتعامل بالفحش والتفاحش هي الدخول إلى النار، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"البذاء من الجفاء والجفاء في النار"[3].

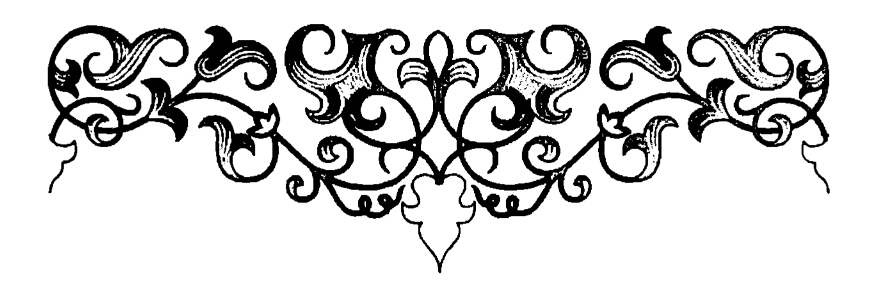


---

١. المصدر نفسه، ص ٣٢٤، ح ٧.

٢. ورّام بن أبي فراس: مجموعة ورّام، ج ١، ص ١١٠.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٢٣، ح ١.

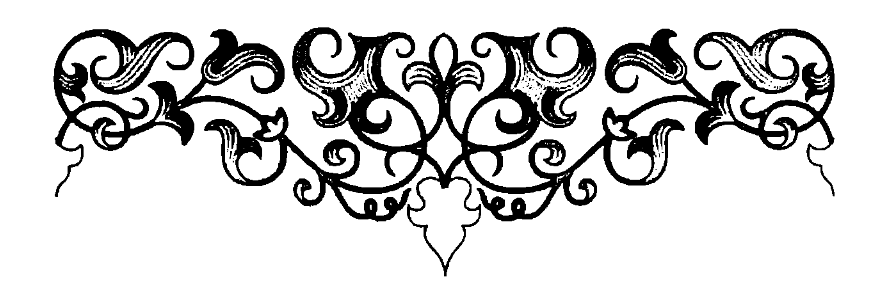


(٦)
أساليب معالجة الفحش

التَّفكير والتَّأمُّل، في النتائج المذمومة للفحش، هما الطريق الأفضل والأسلوب العملي الأمثل في معالجة هذا المرض، والحدّ من تأثيره.

فالتذكير المستمر به، يشدّ الشعور بالعداوة والكراهية لهذا الفعل، ويؤدِّي إلى اقتلاعه من جذوره. وكذلك السعي إلى إزالة جذور هذا الفعل، وتهدئة الغضب والشهوة في داخله. فالتمسُّك بلجامه والسيطرة على هاتين القوتين، هما نواة تحرير الإنسان من كافة القيود الدنيوية، والطريق والأسلوب العملي لمعالجة مرض الفحش، ومحاربته.

والتعوّد على القول الحسن يطرد عادة القبح وسوء الفحش في الكلام عن جسم الإنسان المريض أيضاً.



الفصل الحادي عشر
الخوض في الباطل

"أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل"[1].

الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)

مقدِّمة:

من عوامل نموِّ القبائح والذُّنوب ونشرها، في المجتمع البشري، الخوض في الباطل.

وقد عدّ علماء الأخلاق نقل القبائح والذنوب، أو الخوض في الباطل، من جملة أمراض اللّسان، فالشخص المبتلى بهذا المرض، له خصائص وصفات سيئة ومذمومة جداً، تقود المجتمع نحو الضياع والانحراف والفساد. فالخوض في الباطل وفي الأعمال القبيحة والمذمومة، يؤدي إلى زوال قبحها ورفعها عنه، وتشجع الراوي أو السامع إلى ارتكاب الذنب والمعصية من دون رادع أو وازع من نفسه يمنعه عن ذلك.

نسلط الضوء، في هذا الفصل، على بعض الأمور الخاصة بهذا البحث للتعرف إلى هذا المرض أو الوباء الخطير والمزمن، ووضع النسخ الكفيلة بمعالجة هذا المرض.

---

١. الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٢٠٧.

أما المواضيع التي يبحث عنها هنا، في هذا الفصل، فهي:

١- تعريف الخوض في الباطل.

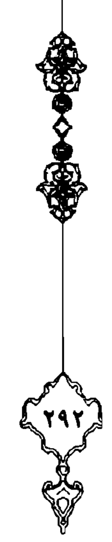
٢ - أقسام الخوض في الباطل.

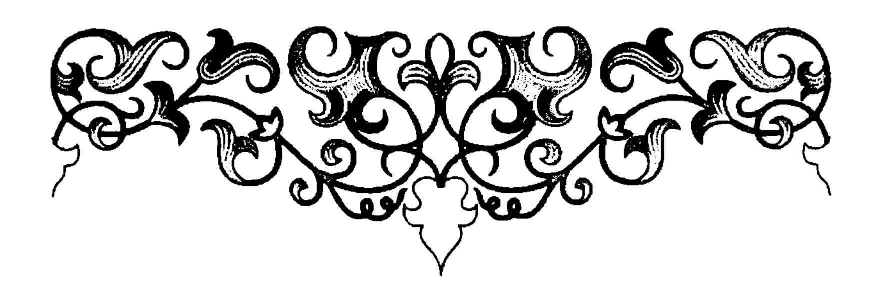
٣ - ذمُّ الخوض في الباطل.

٤ - الجذور الداخلية للخوض في الباطل.

٥ - النتائج المذمومة للخوض في الباطل.

٦ - طرق معالجة الخوض في الباطل وأساليبها.





(١)
تعريف الخوض في الباطل

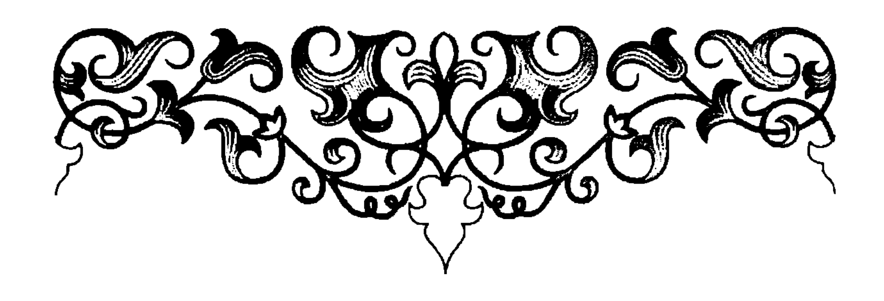
الخوض في الباطل، عند علماء الأخلاق، أعمّ من نقل الذَّنب والمعصية، أو الفعل المذموم والقبيح الذي قام به الفرد أو غيره، شريطة أن يكون هذا الفعل للتسلية فقط، أو ليس هناك دواعٍ ومقاصد مشروعة وعقلائية لذلك.

ولكن إذا كان فِعل الآخرين المذموم أو تعاطيهم يوظَّف في منعهم وصدهم عن ارتكاب الذنب، أو الاستجابة لمن طلب المشورة في أمر مهم، أو لكل أمر مشروع آخر، فهو ليس خوضاً في الباطل أبداً.

وإذا كان نقلاً لذنب آخر، أو معصية أخرى، أو وقع لبيان عيب شخص ما وإظهار هذا العيب، أو لاستصغار قدره وتحقيره، فسيكون في مصاف عداد الغيبة، والنميمة، و....

والمثل المعروف الشائع: «وصف العيش نصف العيش»

إنما يتحقق إذا ذكر عيب شخص ما أو ذنبه لإيجاد أجواء شاعرية وتلطيف الآفاق في مجالس الأخوّة والصداقة، والالتذاذ والتسلية، فينقل الشخص ذلك برغبة وشغف لا يوصفان، فيوقع المستمع أسيراً لهذه الرذيلة الخلقية. فهذا العمل هو ليس غيبة، ولا نميمة، ولا فحشاً، و.... وإنما هو ذنب ومعصية لهما عنوانهما الخاصُّ بهما.



(٢)
أقسام الخوض في الباطل

يتم نقل الذنب أو التصرُّف المذموم وروايته على نحوين:

١- رواية الذنب الواقع:

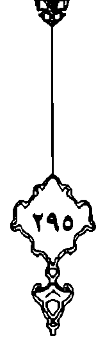
قد تُروى معصيةٌ وقعت فى الماضى، كرواية شخصٍ عن حيله وخدعه ومفاسده.

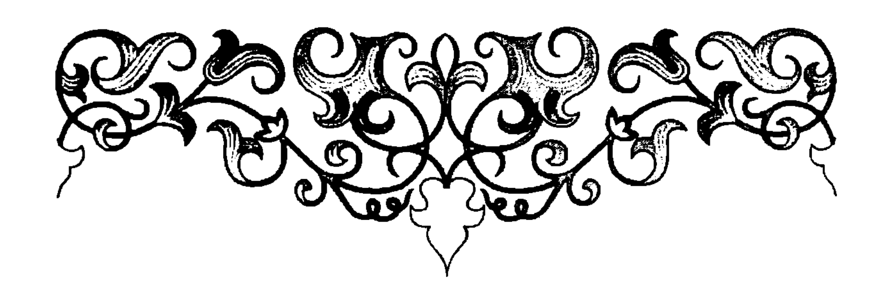
٢- رواية الذَّنب الذي قصد فعله:

قد يروى الشخص الذَّنب الذي قصد فعله، فتدلُّ روايته، من خلال طريقة سردها، على تصوُّر الذَّنب والمعصية وتخيّلهما. وربما يكون الهدف من نقل الخطأ ورواية الذنب والمعصية هو نصح الآخرين ووعظهم بذلك، ولكن ينبغي الحذر من أن لا يؤدي بيان ذلك إلى إشاعة المفاسد، وعلى وجه التحديد: من يقوم بنشاطه الفاعل في مجال تدوين المواعظ والنصائح الفردية والاجتماعية وكتابتها، فهو يقصد من رواية القصص والمواعظ التعليمية والتثقيفية ونقلها، تعليم الآخرين ونصيحتهم ووعظهم.

ولهذا، ينبغي على هؤلاء أن يتأكَّدوا من أمرين: أوَّلهما أن لا يتحوَّل نقل هذه الروايات إلى فعل المعصية وارتكاب الذنب، أو التشجيع على فعل المعاصي والذنوب، وثانيهما أن لا يتم النقل بصورة لا تسمح للأبصار بأن ترى قبح هذا الفعل؛ وذلك لأن رواية الأخطاء قد تؤدِّى إلى تعلُّم هذه الأخطاء، قبل الوصول إلى النتائج المناسبة

والواضحة، فمثلاً: هناك العديد من الفنانين الذين يمتلكون آفاقاً ورؤى واضحة إلى إنتاج العروض التمثيلة وإخراج الأفلام السينمائية والتلفزيونية، ولكنّ بعض هذه العروض، ونظراً إلى الأهداف الجيِّدة التي يتم نقلها وعرضها في صور خاطئة، له مساوئ تعليمية تؤثر سلباً في المشاهدين، وتؤدي إلى نسيان الهدف الأصلي للقائمين بتلك الأعمال من المنتجين والمخرجين أو تناسيه.





(٣)
ذمُّ الخوض في الباطل

إن نقل الذنوب والمعاصي، بداعي الاستمتاع والتلذُّذ أو بغية تعلُّمها، هو من جملة الأفعال المذمومة، وقد ذمّها الشارع كلّها وانتقصها. فقد ذكر في القرآن الكريم خطاب أهل الجنَّة، وسؤالهم لأهل النار عن سبب دخولهم جهنم، فذكر الله لهم سبب ذلك بقوله:

{وكنا نخوض مع الخائضين}[١].

وتتحدَّث الآية، هنا، عن حالة التغاضي والتماشي العمليَّة للعاصين[٢]، وتبيِّن أن الخوض في الباطل هو إحدى علل الدخول إلى النار، أو أحد أجزاء هذه العلل، فالوعد بالنار وجهنم إنما هو نتيجة فعل محرّم.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره}[٣].

---

١. المدثر(٧٤): ٤٥.

٢. قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: المراد بالخوض: الاشتغال بالباطل قولاً أو فعلاً و الغور فيه (الميزان، ج ٢٠، ص ١٨٠، ص ٢٠).

٣. النساء (٤): ١٤٠.

وروي عن النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله)، في تفسير هذه الآيات، أنَّه قال:

"أعظم الناس خطايا يوم القيامة، أكثرهم خوضاً في الباطل"[1].

وقد نهت الرِّوايات والنُّصوص الإسلامية الواردة، عن المعصومين عليهم السلام: عن إطلاق الإنسان عنان لسانه للتحدُّث في ما يتعلق به أو بغيره.

روي عن النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"إن الرجل ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله عز وجل، فيكتب له بها رضوانه يوم القيامة"[2].

"وإن الرجل ليتكلّم بالكلمة لا يدري أنها بلغت منه حيث بلغت، فيوجب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة"[3].

وروي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ـ وهو من أوفى أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله)ـ أنَّه قال:

"أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل"[4].

وفي ضوء ما ذكر؛ فإن أكثر أهل النار يدخلون النار بسبب ألسنتهم، فينبغي اجتناب النقل بالخطأ والمعصية إذاً.

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، في دعاء ختم القرآن، أنَّه قال:

"اللهم صل على محمد وآله، واجعل القرآن... لألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً"[5].





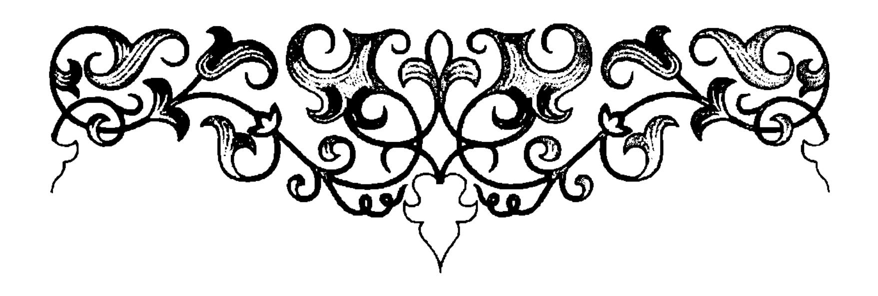
١. الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٢٠٧.

٢. ورام بن أبي فراس: مجموعة ورام، ج ١، ص ٨

٣. المصدر نفسه، ج ١، ص ٨

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

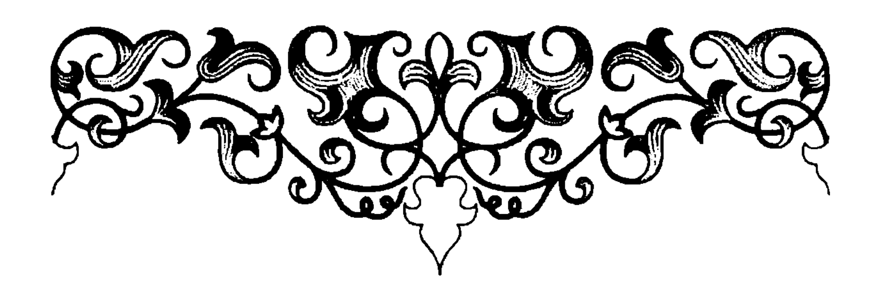
٥. الصحيفة السجادية: ص ١٧٤.



(٤)
الجذور الدَّاخلية للخوض في الباطل

المضي والحركة باتجاه الذنوب والمعاصي، والعمل المذموم كذلك، هما من أسباب الانحطاط والخوض في الباطل. فالحركة الانتقالية والتقرّب من المعصية، يضطرّان الإنسان إلى الكلام والحديث فى ما يعنيه.

إن من ينقل القبائح والمآثم والممارسات المذمومة بشغف ولهفة منقطعي النظير، هو، قبل أن يحرك أفكاره باتجاهها ودراستها، يعلم أن لها جذوراً في القوى الشهوية البشرية التي تحرّرت من لجامها.



(٥)
النَّتائج المذمومة للخوض في الباطل

١ - الذِّهاب بقبح الذنب:

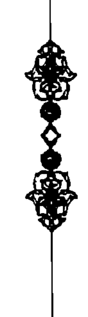
إن نقل الأخطاء ورواياتها، وإعادة نقل الأفعال المذمومة، يزيل قبحها لدى القائل والسامع، فالإنسان المتقي المستقيم في عمله يستحيي ويخجل من نقل الذنب والمعصية وسماعهما. ومن الواضح أن نقل حالات الضياع وروايتها يُزيلان هذا الإحساس والشعور بالخجل والاستحياء قليلاً قليلاً، فإذا زالت صبغة الاستحياء والخجل من عمل القبيح والمذموم أو قلّت في نظر الإنسان، فسوف يتجرأً على فعلها، ويقدم على ذلک الفعل.

٢ - التَّشجيع على المعصية:

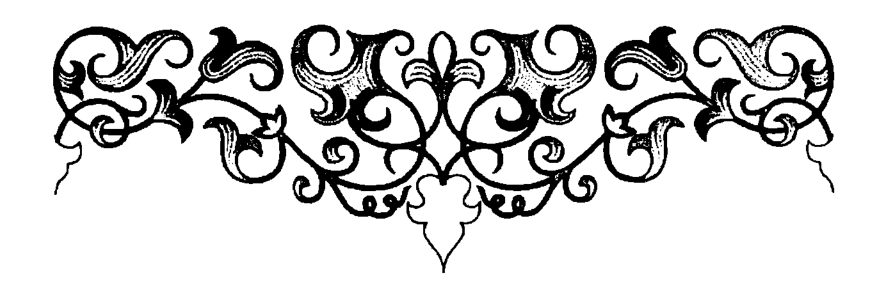
إن التذكير بالمعاصي والأعمال المشينة والسيئة، يحرِّک القوى الشهوية الباطنية في الإنسان، ويزيد الميل والرغبة لديه على فعل المعاصي وارتكاب الذنوب. ولما كان العمل نفسه خطأ، فإن هذا التحريک والتهييج على الانبعاث نحوه، إنما يصدران في خارج الحدود الإلهية والمنظومة الإنسانية.

٣ - إشاعة القبائح والمعاصي:

إن رواية الذنوب والمعاصي، وتعليم الآخرين على أساليب ارتكابها، لا يزيل قبحها فحسب، بل يرشدهم إلى فعلها والقيام بها. فكم من الناس من لم تخطر في ذهنه فكرة المعصية وارتكاب ذلك الذنب، أو لا يعلم كيفية فعله وأدائه، إلا أنه بمجرد سماعه قصص ارتكاب الذنب والمعصية، يتحرك فيه الداعي، فتراه يتجه نحو فعلهما، ويتجرأ على فعل تلك المعاصي والذنوب، ويتعلم أساليب القيام بها وتنفيذها في حياته اليومية.







(٦)
أساليب معالجة الخوض في الباطل

إن التحرّر من هذه الأمراض والأوبئة شبيه بالتحرُّر من سائر الأمراض الأخلاقية التى تمَّ البحث فيها. تسهل معالجة هذه الأمراض من خلال التذكير الدَّائم والمستمر بأضرارها ونتائجها المذمومة والمضرّة، فعاقبة هذا الفعل الحرام إنما هى عاقبة قبيحة وسيِّئة تصل إلى حدٍّ أن التذكير بها تتبعه إثارة الكراهية، وحالات من الرفض لهذا المرض.

وكذلك ينبغي السعي وبذل الجهود المتاحة للحديث عن الأمور الدينية والدنيوية المهمَّة بالمقدار اللازم ومستوى المطالبات والاحتياجات، كالاشتغال بذكر الله بدلاً من ذكر سخيف الكلام غير المثمر والمؤثر.

وينبغي التزود من متاع الآخرة، وزيادة الذكر والدعاء والمناجاة في مشروع الحياة، فهذا أسلوب مناسب جداً لترك المعاصي والذنو ب، وعدم التفكير فيها أبداً.

وظيفة السامع لناقل الذنب:

إذا علم السامع أن كلام المتحدث ليس له أثر مطلوب في نفس السامع، وكان غرض المتكلم غير مشوب بالذنوب، وصحيحاً وجيداً، فلا ينبغي الاستماع والانصات له، لأنه من

الناحية النفسية والروحية قد يؤدي إلى تحريك مشاعره وعواطفه باتجاه ارتكاب المعاصي والذنوب، فيحتمل له خطر الوقوع والسقوط في هذا المأزق وتبعاته المترتبة عليه.

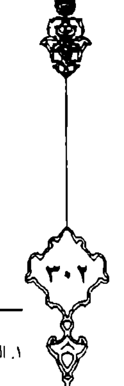
قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

{فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره}[1].

وقد نهى الله عزّ وجلّ عن الجلوس والحديث مع الخائضين في الباطل، ثم قال سبحانه وتعالى:

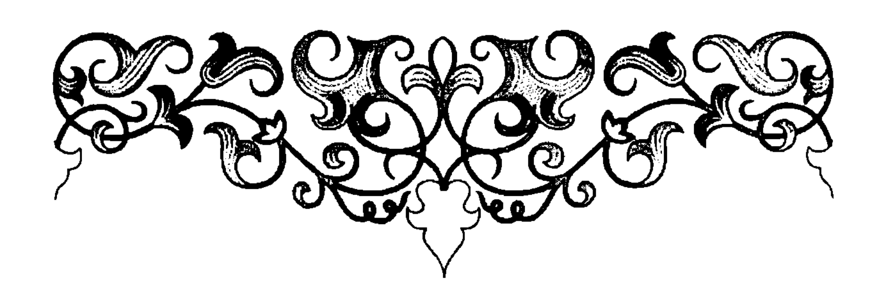
{وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً}[2].

فظاهر الآية هو أن السامع، إن علم أن قصد المتكلم غير صحيح وباطل، وأن كلامه مساوق للنية غير الصحيحة والصادقة، فيجب عليه الامتناع عن الاستماع إلى ذلك المتكلِّم والحذر منه.



١. النساء (٤): ١٤٠.

٢. النساء (٤): ١٤٠.



الفصل الثاني عشر
الاستهزاء والسُّخرية

{يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن}[1].

القرآن الكريم

مقدمة:

إن من الأساليب والأفعال الخاطئة والمذمومة التي تثير شوائب الاستهانة واحتقار الآخرين هو: «الاستهزاء» بهم و«السخرية» منهم، فهذان الفعلان: الاستهزاء والسُّخرية هما من جملة أمراض اللّسان المفسدة والمذمومة جداً، والتي تنتج عنها عواقب وخيمة، كالإيذاء، والعداوة، والبحث عن الانتقام في المجتمع البشري. وهي تفصم أواصر الوحدة وروح الاتحاد والانسجام.

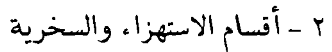
نسعى، في هذا الفصل، إلى تقديم دراسة وتحليل لهذه الآفة، أو المرض الخطير، بغية معرفة أبعاده العديدة والمختلفة، ووضع الحلول المناسبة لمعالجته.

أما الموضوعات التي سنتعرض لها في هذا البحث، فهي:

١ - تعريف الاستهزاء والسخرية

---

١. النساء (٤): ١٤٠.



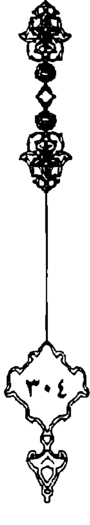
٢ - أقسام الاستهزاء والسخرية

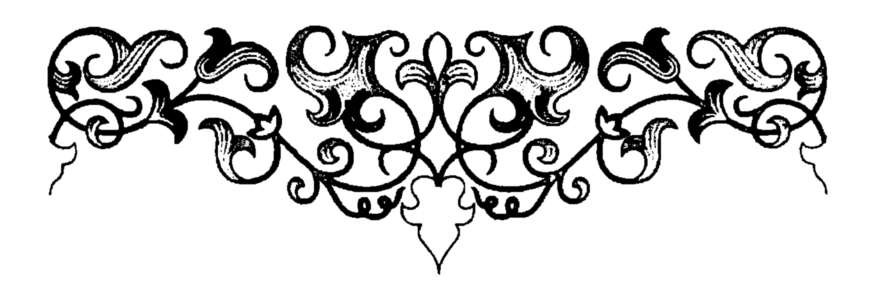
٣ - ذمُّ الاستهزاء والسُّخرية شرعاً وعقلاً.

٤ - الجذور الداخلية للاستهزاء والسُّخرية.

٥ - الأضرار والنتائج المذمومة للاستهزاء والسُّخرية.

٦ - طرق معالجة الاستهزاء والسخرية وأساليبها.





(١)
تعريف الاستهزاء و السخرية

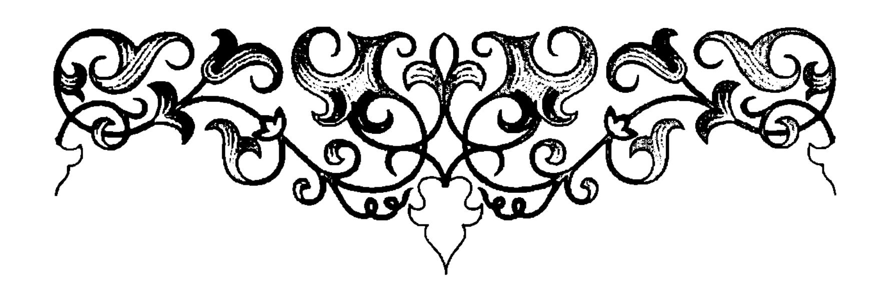
يطلق مصطلح الاستهزاء على كل تقليد في القول أو الفعل، أو أي صفة أخرى من الصفات، أو بيان نقص من النقائص الأخرى لإضحاك الناس.

وقد يعرِّض الشَّخص بشخص آخر، لدى التَّعريف به، بلحن القول أو بنوع الفعل فقط، ويبيّن حالته أو صفته، كأن يعرّف الشخص المعين بصفة العمى أو العرج. وهذا طبعاً خارج عن تعريف الاستهزاء، ولكنه قد يبيّن هذه الصفات لإضحاك الآخرين، وهذا يعدُّ من الأفعال والأساليب المذمومة والمرفوضة، ويسمّى «السخرية والاستهزاء».

وتتشكل حقيقة الاستهزاء من جزأين هما:

١ - التقليد للآخرين.

٢ - قصد إضحاكهم.



(٢)
أقسام الاستهزاء والسُّخرية

يحصل تقليد الآخر على نحوين:

ألف: الصَّريح (بالقول أو الفعل):

يتحقق هذا الفعل من خلال "تقليد حركة المشي، تناول الأكل، الجلوس، و.."، أو أي لحن وصوت ينطق بهما الإنسان لإضحاك الآخرين.

ب: غير الصريح (بالإشارة أو الكناية):

كما لو كان بالإيماء والإشارة على نحو اللحن أو بيان فعل الشخص، ويكون ذلك سبباً في إضحاك الآخرين والسخرية.

ويقسم الاستهزاء، من حيث السرّية والخفاء أو عدم وجود العيب الذي يمكن تقليده، إلى قسمين:

ألف: تقليد العيب الخفي:

قد يكون الأمر اللّافت للضحك هو وجود عيب أو نقص في الشَّخص يجهله الآخرون، ولا يعلم به إلا من سخروا منه واستهزأوا به.

ب: تقليد العيب الظّاهر:

ويكون العيب الذي يستهزأ به ويسخر منه معروفاً لدى الجميع.

ويقسم الاستهزاء، من حيث حضور الشخص الذي يسخر منه أو غيابه، إلى قسمين أيضاً:

ألف – الاستهزاء بالشّخص بحضوره هو نفسه.

ب: الاستهزاء بالشّخص في غيابه.

والأمر الآخر المهم هنا هو: أن يسخر بإنسان يمتلك عاهة أو نقص في بدنه، كالسخرية بالأعرج، ومن له لكنة في لسانه، أو كان عاجزاً عن النطق والكلام، وقد يسخر أحياناً منه بسبب أفعاله الحسنة، وما يقوم به من خير، كما يسخر الكفار والمنافقون من أهل الايمان بسبب إيمانهم، أو سخرية عديمي المبالاة من المحسنين.

قال الله، تعالى، في القرآن الكريم:

{إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مرّوا بهم يتغامزون}[1].

قال الرومي في ديوانه (المثنوي المعنوي)، شعراً معناه:

"سخر المنكرون بالمُثُل وبيان الذاكرين، وإن شئت فاسخر أنت أيضاً، فكم تريد أن تعيش؟ كم؟.

وافرحوا أيّها المحبّون في الطلب والحاجة، فسيكون الباب على هذا مفتوحاً"[2].





---

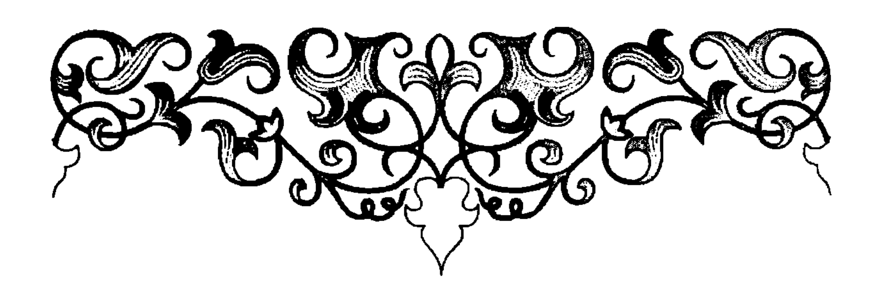
١. المطففين (٨٣): ٢٩ و ٣٠.

٢. قال المولوي في المثنوي المعنوي، الدفتر الرابع، في مثل قناعة الانسان بالدنيا، و حرصه في طلبها:

ريشخند كرده اند آن منكران * بر مثل ها و بيان ذاكران

تو اگر خواهي بكن هم ريشخند * چند خواهي زيست اى مردار چند.

شاد باشيد اى محبان در نياز * بر همين در كه شود امروز باز



(٣)
ذمُّ الاستهزاء والسُّخرية شرعاً وعقلاً

ذمّ العقل والشَّرع التعدّي على حقوق الآخرين، والتجاوز على كراماتهم، والاستهانة بهم بكافة أشكالها، فالعقل البشري يرى أن عدم الحاجة إلى الدليل والهداية، والظلم والتعدي على حقوق الآخرين، هو عمل قبيح وفعل منكر، ويستحقّ الظالم والمخالفون كذلك الذم واللوم.

ومن الواضح، هنا، أن الاستهزاء والسخرية هما من المصاديق الواضحة للظلم والاعتداء.

وبناءً على هذا، فقد عدّ قبح الاستهزاء والسخرية، من منظور عقلي، أمراً مفروغاً عنه ومعروفاً.

أمَّا الشرع فهو يحكم بما حكم به العقل، بسبب وجود التلازم بين حكم العقل وحكم الشرع[١]، وقد عدّ الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين حراماً، ويستحق الظالم العقاب على ذلك.

وقد نهى القرآن الكريم والرِّوايات والنُّصوص بصراحة عن هذا الفعل، وعُدَّ، من منظورها، عملاً محظوراً.

---

١. كل ما حكم به العقل حكم به الشرع.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{يا أيّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن}[1].

وقال سبحانه تعالى:

{ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها}[2].

روي عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية، أنَّه قال:

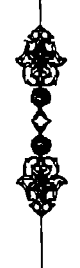
"الصغيرة: التبسّم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة: القهقهة بذلك"[3].

فلو سخر شخص ما من شخص آخر واستهزأ به، في حال حضوره ووجوده، فقد وفرّ لذلك عناصر عدم رضاه وسخطه، وكان سبباً في إيذائه. وفي هذه الحالة: سيعم المستهزئ حكم المستهزئين بالمؤمنين أيضاً، فمن آذى مؤمناً، فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون، كما روي ذلك عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان"[4].

إن من آذى مؤمناً، فليأذن بحرب من الله، كما روي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنَّه قال:

"قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن"[5].



وإذا وقع الاستهزاء في غياب شخص، وتناول عيوبه الخفيّة، فإضافة إلى حكم الاستهزاء، يشمله حكم الغيبة أيضاً، وهذا الفعل نفسه من الذنوب الكبيرة من ذنوب اللّسان.

وكذلك إذا استهزأ وسخر بالعيوب الخفية لشخص في حضوره ووجوده، فإضافة

---

١. الحجرات (٤٩): ١١.

٢. الكهف (١٨): ٤٩.

٣. ورّام بن أبي فراس: مجموعة ورّام، ج ١، ص ١١٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٥٠، ح ١.

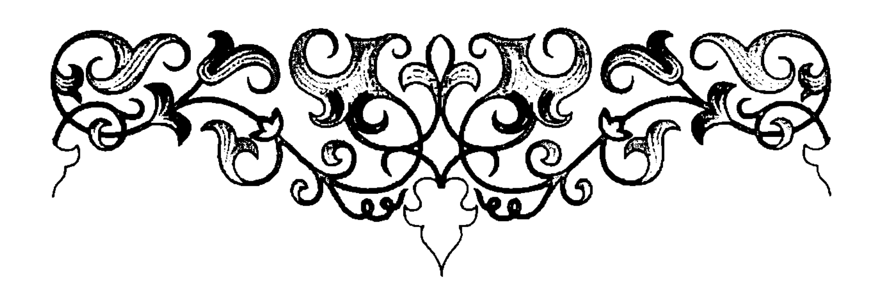
إلى حكم الاستهزاء، فسيشمله حكم الغيبة أيضاً، وإن لم يصدق اسم الغيبة عليه.

ولو سخر شخص ما بالعمل الصالح أو بالإيمان والاعتقاد السليمين، فقد عدّ سبباً في إدخال الوهن في دين الله، أي استهانته بالإيمان والعمل الصالح، وهذا ذنب عظيم.

قال الله تعالى في القرآن الكريم، في وصفه لحال أهل النار، وردّ طلبهم في العودة إلى الحياة الدنيا:

{اخسؤوا فيها ولا تكلمون. إنه كان فريق من عبادي يقولون ربّنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون}[1].

١. المؤمنون (٢٣): ١٠٨ - ١١٠.



(٤)
جذور الاستهزاء والسُّخرية

للاستهزاء والسُّخرية عوامل وجذور باطنية عديدة، ترتبط بالقوى الشهوية أحياناً، أو بالقوى الغضبية أحياناً أخرى، ولهذا الفعل المذموم جهات شهوانية أحياناً، كتحصيل المال أو الجاه والمقام، وجهات الغضب والسخط كالحقد والعدواة أحياناً أخرى.

ومن هذه العوامل والجذور المؤثِّرة:

١ - الطمع بالمال أو المقام:

قد يستهزئ السَّاخرون بالآخرين، فيصفّقون طرباً لمستقبل الأغنياء، أو أرباب المناصب، لتدرّ عليهم الأموال عبر هذا الطريق، أو يحصلوا على الجاه والمقام، فيكون هذا العمل مصدراً للرزق أحياناً، وقد يقومون بعرض سوابقهم وأنشطتهم، كالمهرجين العاملين في البلاط الحاكم، فهم يسخرون بالآخرين من أجل إضحاك الناس وتمتّعهم.

وأحياناً لا يعدّ هذا الفعل المذموم عملاً لهم، بل يقومون في بعض الأوقات بتسلية الآخرين وإضحاكهم من خلال السخرية ببعض الناس، ويسمّى هذا «بالفسق»، وفاعله «فاسق»، وتسمّي المجتمعات البشرية المعاصرة بعض هذه الأفعال «بالفن» ؛ وفاعله



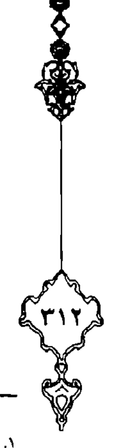
«بالفنان»[1].

٢ ـ الحقد والكراهية:

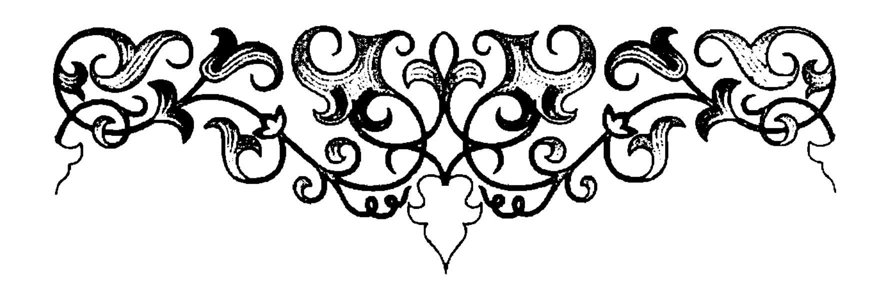
قد تحدث السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم بغية إطفاء نار الغضب، وإظهار العداوة والحقد. وتكون دوافع المستهزئ، في هذه الحالة، إظهار كراهيته للمستهزأ به المعيَّن الذى يقصده وحقده عليه، فهو بهذا الفعل يسعى إلى تخريب سمعة الآخر وإهانته، وهذا يعبّر عن كراهية المستهزئ لمن يقصده وبغضه له. وقد يكون السَّبب عداءه لهذا الفرد المذكور، كعداوة الكفَّار للمؤمنين الذي يؤدِّي إلى الاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم.

٣ ـ الحسد:

يمكن عدّ الحسد لمواقع الأشخاص ورتبهم عاملاً مهماً للسخرية منهم والضحك عليهم، فالشخص الحاسد الذي لا يمتلك الموقع المهم نفسه الذي يملكه المحسود، أو من وقع نظره عليه، يسعى وبأي طريقة ممكنة إلى التهوين من موقعه، والتنقيص لشأنه، ومحاربته.



١. يشمل هذا الحكم: كلاًّ من الطرفة والفكاهة، و الكاريكاتور، إذا كان في مقام السخرية.



(٥)
النتائج المذمومة للاستهزاء والسخرية

للاستهزاء بالآخرين والسخرية منهم أضرار ونتائج مذمومة وغير مفيدة في الدنيا والآخرة، وهي تختص بالمستهزئ والمجتمع البشري، ومن هذه النتائج:

ألف: النتائج الدنيوية:

١ - الاستخفاف بالساخر:

يكون الساخر، بارتكابه هذه الأفعال السخيفة والمضرّة ــ قبل أي شيء آخر ـ فرداً ضعيفاً وهزيلاً، وسبباً في الاستخفاف به، وهدر كرامته، وإذهاب وقاره وهيبته.

٢ - الحقد و العداوة:

قد ينتج عن الاستهزاء نوع من الحقد والكراهية بين الساخر والمستهزأ به.

٣ - ضعف رابطة الأخوة:

السخرية تضعف رابطة الأخوة بين المؤمنين، وتقضي عليها، وذلك لأن ضحك السامعين والمراقبين لمشهد الاستهزاء والسخرية، يضعف رابطة الأخوة، ويؤدي إلى زوالها.

٤ - العقوبة في الدُّنيا:

إن للسخرية من النَّاس والاستهزاء بهم عقوبات إلهية في الدنيا، ولعلّ الكثير من هؤلاء المستهزئين سيبتلون بما كانوا به يستهزئون، وسيسخر منهم كما كانوا من غيرهم يسخرون.

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام في خطبة له عليه السلام لتوضيح الذنوب وأنواعها وبيانها، فقال:

"والذنوب التي تنزل النقم... والاستهزاء بهم [بالناس] والسخرية منهم"[١].

قال الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي شعراً معناه:

"كل من يستهزئ بخواص عشاق الحق * فسيضرب على الهامة بسيف غضبه من قبل الجلاد البطل القوي.

ولا يمهله غضب الله ما بقي يتنفس * وإن كانت الطاعة لأهل السماء والأرض، فليعتبر من إبليس!.

وهذا جيل آدم، قد سوّد وجه الشيطان * بسبب سخريته بآدم.

وقد ورد ذكره السيّئ في القرآن * فإن أظلم البهتان جانباً من القلب المظلم * فلا يعود على أرباب القوى إلا السخرية والأسف.

لقد سخر أبو جهل بأحمد المرسل(صلى الله عليه وآله) * وكذلك واجه موسى بن عمران سخرية فرعون.

فصبراً، حتى حلّ بأبي جهل * وفرعون عذاب الله الأكبر.

واستعرت نيران غضب الحق وتأجج لهيبها * من أعلى السقف والجدران، وأضرمت فيها النيران"[٢].



---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٨١، ح ٢١٥٥٦.

٢. قال المولوي في ديوان شمس، الغزل العدد ١٩٦٧:

هر كس استهزا كند بر خاصگان عشق حق * تيغ قهرش بر سرآيد از جلاد قهرمان

ندهدش قهر خدا مهلت كه تا يک دم زند * گر چه دارد طاعت اهل زمين و آسمان

عبرت از ابليس گيرد آنک نسل آدم است * كو به استهزای آدم شد سيه روی قران

تا كه بهتان ها نهد آن مظلم تاريک دل * خنبک و مسخرگی و افسوس بر صاحب دلان

احمد مرسل به طعن و سخره بوجهل بود * موسی عمران به تمسخرهای فرعونی چنان

ب: النتائج الأخروية:

١ - السخرية من المستهزئ يوم القيامة:

روي عن النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال: هلمّ، فيجيء بكربه وغمّه، فإذا أتاه أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر، فيقال: هلمّ هلمّ، فيجيء بكربه وغمّه، فإذا أتاه أغلق دونه، فما يزال كذلک، حتى إن الرجل ليفتح له الباب، فيقال: هلمّ هلمّ فما يأتيه"[1].

وتتناسب عقوبة كل شخص مع عمله في يوم القيامة، فإذا سخر من أحد، سخر هذا منه. وإذا ذاق الإنسان جزاءه العادل الذي يتناسب مع عمله، فسيحسّس بأثر عمله المذموم والسيّئ.

وبعبارة أوضح: تكون القيامة ساحة «لتجسّم الأعمال» أو «مشاهدة حقيقة العمل» الذي يصدر من الإنسان. ولأعمال الإنسان باطن وحقيقة، حيث يحرم الإنسان بسبب ابتلائه بالحجب الدنيوية عن مشاهدتها. وعند إزهاق أرواح النّاس وخروجها من الدنيا، ودخولها إلى عالم القيامة، عبر هذه الحجب، سيرون أعمالهم على حقيقتها وكما هي عليه، وقد أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم عن عاقبة من سخر من أهل الإيمان واستهزأ بهم في الحياة الدنيا، فقال:

{فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون. على الآرائک ينظرون}[2].



٢ - سيجازى كل من سخر بتصرفه السيّئ بسبب إيذائه، لأن إيذاءه هو إيذاء لله، ومن آذى الله، أبعده الله عن رحمته، وعلى وجه التحديد، إذا استهزأ بالأعمال الصالحة أو العقائد الحقّة والصائبة للمؤمن وسخر منها، سيجازى بأشد العقوبة والعذاب في الآخرة، ولعذاب الله في الآخرة أشدّ وأخزى[3].

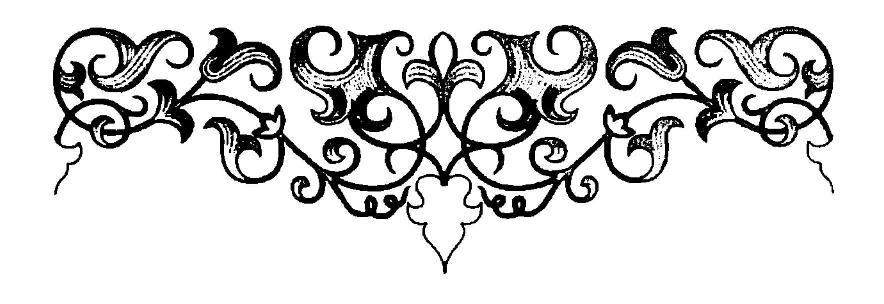
→

صبرها كردند تا قهر خدا اندر رسيد * دود قهر حق برآمدشان ز سقف دودمان.

١. الفيض الكاشاني: المحجة البيضا،، ج ٥، ص ٢٣٦.

٢. المطففين (٨٣): ٣٤ و ٣٥.

٣. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٩٩، ح ١٠٣٣٥.



(٦)
أساليب معالجة الاستهزاء والسُّخرية

ينبغي التَّفكير فى الأمور والقضايا التي يمكن أن تتبعها عواقب ونتائج سيئة ومذمومة ترتبط بمعالجة هذا المرض. فالاستهزاء يبعث على الضغينة والعداء في الدنيا والابتلاء في الآخرة، والاستهزاء سبب للضعف، والنَّقص والاستهانة، وإبعاد المؤمن عن كافة علاقاته ومقاماته الدنيوية. وقد يبتلى بمثل هذه الأمور التي ذمَّها وأخذها على الآخرين، فيصاب بها يوماً ما بنفسه.

"روي أن «الحكم» بن أبي العاص- وهو أبو مروان - كان يستهزئ برسول الله(ﷺ) في مشيته، ويسخر منه، وكان رسول الله(ﷺ) يمشي يوماً، والحكم خلفه، يحرك كتفيه، ويكسّر يديه، خلف رسول الله(ﷺ) استهزاءً منه بمشيته(ﷺ)، فعلم رسول الله(ﷺ) بذلک، فأشار بيده، وقال(ﷺ):

كذلک فلتكن.

فبقي الحكم على تلک الحال من تحريک أكتافه، وتكسير يديه، فكان يرتعش حتى مات. وكان قد أصيب بمرض «الاختلاج»"[1].

---

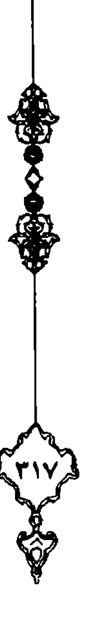
١. مرض الاختلاج أو «الباركينسون» يصيب أعضاء البدن وجوارحه، وفقدان اختيار الحركات الإرادية.

إن من جعل شغله الشاغل السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم، عليه أن يعلم أن لا رازق له إلّا الله.

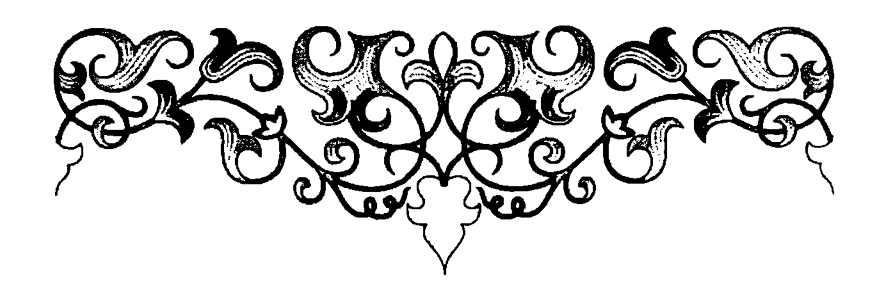
قال الله عز وجل في القرآن الكريم:

{ومن يتوكل على الله فهو حسبه}[1].

إن غضب الله وسخطه سبب في زوال الرزق. فالسخرية من الآخرين تؤدِّي إلى تجديد غضب الله تعالى، فتكون سبباً في تحديد الأرزاق والفقر. فعلى الإنسان أن يقلع عن هذا الفعل، لأن فيه غضب الله وسخطه. وإن على المستهزئ أن يعلم: أنه إن تعرَّض هو إلى السُّخرية، فهل يسرّ بذلك؟. فالتفكير، في هذه الأمور، يجعله ينصرف عن السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم، ويفتِّش عن أساليب متعدِّدة لمعالجة ذنوبه ومعاصيه.



١. الطلاق (٦٥):٣.



الفصل الثَّالث عشر

النَّميمة

"شــراركم: المــشَّاؤون بالنميمــة، المفرِّقــون بــين الأحبّــة، الباغون للبــرآء المعايب"[1].

أمير المؤمنين علي عليه السلام

مقدمة:

من الأمور التي بحث فيها علماء الأخـلاق، فـي تتمـة بحـث «إفـشاء الـسرّ»، «النَّميمة».

وتعدّ «النَّميمة» من الصِّفات الأخلاقية المذمومة والسَّيئة التي يتعرض لها الإنسان، وهي من أسوأ أفعال البشر، ذلك أنَّها تؤدِّي إلى العـداوة والبغـضاء والأحقـاد، وهـي تقضي على رابطة الصداقة والأخوَّة بين المسلمين. وقد ذكرها القـرآن الكـريم بـسوء، وذمتها كثير من الروايات والنصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

تعدّ النميمة من الآفات والأمـراض الـشائعة للّسان. ولهـذا، ينبغـي التعـرف إلـى حقيقتها، والسعي إلي معالجتها، والتخلُّص من آثارها السيئة على المجتمعات. وفى هذا الفصل أبحاث عديدة تختصّ بالنميمة.

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، ح ١.

أما «السِّعاية» فهي نوع خاص من النميمة، وسيتم التعرُّض له في أثناء القيام بهذه الأبحاث.

ومواضيع هذا الفصل هي:

١ - تعريف النَّميمة.

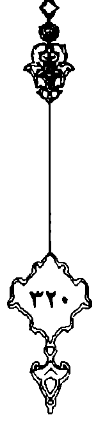
٢ - أقسام النَّميمة.

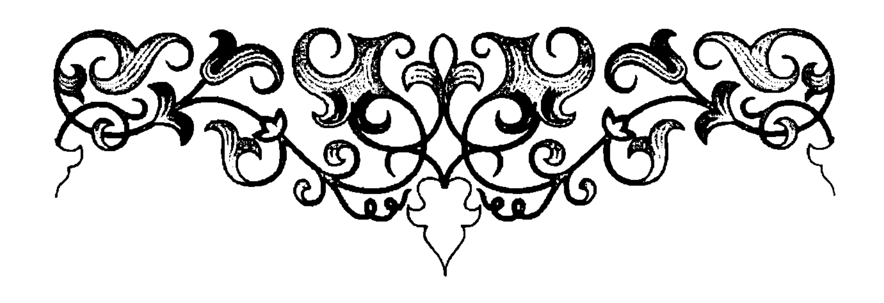
٣ - ذمُّ النَّميمة شرعاً.

٤ - الجذور الدَّاخلية للنَّميمة.

٥ - النتائج المذمومة للنَّميمة.

٦ - طرق معالجة النَّميمة وأساليبها.





(١)
تعريف النَّميمة

النميمة هي نقل الحديث من قوم إلى قوم بغية الإفساد أو إحداث الشَّر. بمعنى أن يقال للشَّخص: فلان قال عنك كذا.

والنمّام هو من يقوم بالكذب ويؤلِّفه، أو الذي يزرع الأحقاد في قلوب الأحبّاء، وهو المفسد بين الناس.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"وصون الحديث، وضدّه النَّميمة"[١].

فصون حديث الآخرين يعني الامتناع عن إفشائه، والبوح به لدى الآخرين.

أمَّا النَّميمة فتعني ذكر قول شخصٍ ما لدى جماعة سبق أن قيل فيهم هذا القول.

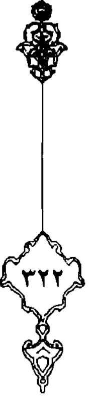
وللنميمة مفهوم واسع وأعم من هذا. فهي لا تتحدَّد بقول حديث الأشخاص وكلامهم، لأنه من الممكن أن يتحقَّق هذا الفعل من دون علم الشخص ومعرفته بذلك، وأن من ينقل له هذا الفعل، أي من انتقلت له النَّميمة، يخبره بما صدر من فعل. فقد يفهم قول الآخر أو فعله باللفظ أحياناً، أو بالاشارة أو الكتابة، أو بأسلوب وفعل خاصَّين للطرف الآخر، وهذه الأمور جميعها تعدّ من مصاديق النَّميمة.

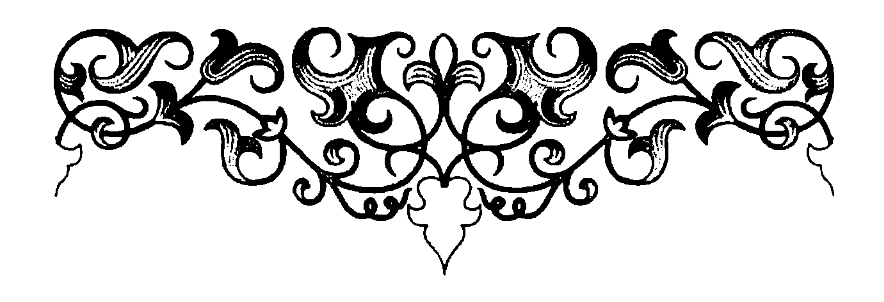
---

١. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠، ح ١٤.

تعريف الوشاية:

الوشاية هي كل ما ينمّ به عند شخص ما، وتشمُّ منه رائحة الضرر والأذى بمن وشي به، كالوشاية عند الملوك وكبار الشخصيات والعظماء، وكل ما يخاف منه التعرّض للقتل أو السجن أو الإبعاد.





(٢)
أقسام النَّميمة

يمكن تقسيم النميمة، من حيث آليَّاتها وتنوُّعها، إلى:

١- القول.

٢- الكتابة.

٣- الإشارة.

ويتمُّ نقل أقوال الآخر أو أفعاله عبر هذه الأشكال الثلاثة المذكورة.

ويمكن تقسيم النميمة، من حيث الموضوع إلى ما يأتي:

١ - نقل المقال:

قد ينقل النمّام ما قاله الآخرون أحياناً.

٢ - نقل الأفعال:

وقد ينقل أفعال الآخرين أحياناً أخرى.

٣ - نقل المواعظ:

وقد ينقل ما يدور في الخفاء ويسرُّ بين آونة وأخرى.

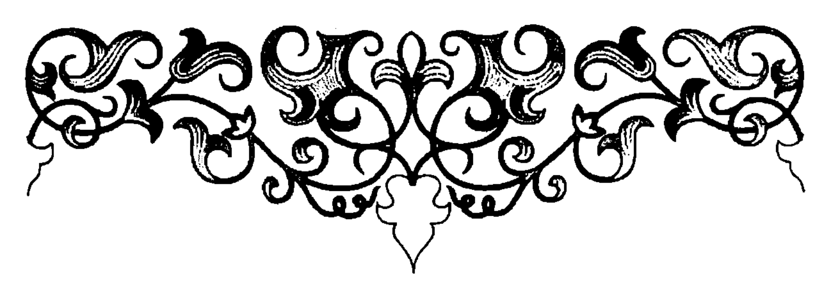
وتعمّ دائرة النَّميمة نقل العيوب والنقائص القولية والفعلية ونصائح الآخرين ومواعظهم أيضاً.

بمعنى أن النميمة لا تختصّ أو تتحدّد بنقل الأمور التي تعدّ عيباً فحسب، بل تضم أيضاً نقل كل شيء يتصور بأنه عيب أو نقص. فقد ينقل النمّام كلاماً صادقاً للآخرين مثلاً، أو كذبهم أحياناً أخرى. ومن الواضح أن نقل كلامهم الكاذب، يُفهم السامع بكذب ذلك الشخص، وفي هذا المورد، سوف يتزامن ذنب النمّام مع الغيبة. وتتحقق النميمة بدواعي الإضرار بالشخص المنقول عنه، فيكون صدور هذا الفعل وبشكله الاعتيادي منحصراً عند الأقوياء وذوي النفوذ في المجتمع أو الحكومة، أو لا تكون هذه الدواعي أحياناً أخرى، فتطلق على النَّوع الأول تسمية «الوشاية».

وقد تكون للنَّميمة جهة واحدة، أي ينقل من طرف واحد إلى الآخر، وأحياناً يكون لها طرفان، ويعبّر عن ذلك بـ «الإفساد بين اثنين»، أو بـ«الإفساد بين الناس»، أي بمعنى أن النَّمام يفسد الارتباط والعلاقة بين اثنين، أو بين الناس، فينقل قول كلّ منهم ضد الآخر.







(٣)
ذمُّ النَّميمة شرعاً

ورد ذمّ النميمة في كثير من الآيات في القرآن الكريم، واستفاضت الرِّوايات والنُّصوص الإخبارية في ذمها بشدَّة، من خلال مقارنتها بفعل مذموم آخر، وعدّت من أقبح تلك الأعمال.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{ويل لكل همزة لمزة}[١].

فقد وضع النَّمام (الهُمزة) إلى جانب المغتاب (اللُّمزة).

وخاطب الله نبيّه الكريم(ﷺ) في سورة القلم بقوله:

{ولا تطع كل حلّاف مهين. همّاز مشّاء بنميم}[٢].

وقد روى كبار المحدثين، في مصنَّفاتهم الرِّوائية كثيراً من الأحاديث والأخبار في ذمِّ هذا الفعل، كالكافي، ومستدرك الوسائل، وبحار الأنوار، ووسائل الشيعة، ورووا ذلک في كثير من الكتب والمصنَّفات الرِّوائية والخبرية، وكانت لهم فيها أبواب خاصة ومستقلّة.

روى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله(ﷺ) أنَّه قال:

"ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: المشَّاؤون بالنَّميمة"[٣].

---

١. الهمزة (١٠٤): ١.

٢. القلم (٦٨): ١١ و ١٢.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، ح ١.

وعدّ عليه السلام الغيبة من جملة الأمور التي نهى عنها النبي(صلى الله عليه وآله)، فقال:

"إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) نهى عن الغيبة... ونهى عن النميمة"[1].

وروي عن إمام المتقين وأمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"بئس الشيمة النميمة"[2].

وقال عليه السلام أيضاً:

"النميمة شيمة المارق"[3].

فلو سئل هنا: هل يمكن نقل الكلام المذكور عن شخص ما إليه، وإسماعه ما ذكر عنه؟

مع التأكيد على هذا الأمر، وهو:

أن لا يعدّ كلامه كذباً، بل هو حقيقة!.

والجواب عن هذا السؤال هو أن يقال: إن الكذب حرام، ولكن ليس الصدق واجباً في كل مكان.

أي: لا يمكن القول: إن الصدق واجب بدليل أن الكذب حرام، ولا الاعتقاد أبداً بأن حرمة الكذب دليل على جواز كل كلام صادق، وعدّ هذا حجة، بل لا يعد هذا أمراً مشروعاً وعذراً للشخص في نقل كل كلام يصل إلى أسماعه إلى شخص آخر، لأن هذا نوع من الفتنة، وقد تكون أضرار الصدق في الكلام ومفسدته أشد وأقوى من الكذب.

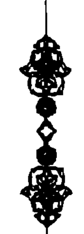
روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"ثلاثة يقبح فيهن الصدق: ١ ـ النميمة..."[4].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"أسوأ الصدق النميمة"[5].

ويمكن القول بوضوح تام هنا: إن النميمة فعل حرام، وهي من كبائر الذنوب. ولو



١. الحرّ العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ١٦٣١٢.

٢. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢٢، ح ٤٤٥٣.

٣. المصدر نفسه، ح ٤.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢٢، ح ٤٤٥٢.

كانت وشاية، فهي تعدّ من أسوأ فروع النميمة، وقد ذمت الآيات القرآنية الشريفة والنصوص الروائية المستفيضة هذا الفعل كثيراً، كما روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"شرّ الناس المثلّث! قيل: يا رسول الله، وما المثلّث؟ قال: الذي يسعى بأخيه إلى السلطان، فيهلك أخاه، ويهلك السلطان"[1].

وينحصر قبح هذا الفعل فيما إذا فقد أي توجيه شرعي، وفي هذه الحالة، قد يكون نقل كلام الآخرين وأفعالهم واجباً، كما لو وجب عرض القضايا وتفسير الأمور عند حضور القاضي ومحكمة العدل، للتوصّل إلى الحقيقة. فليس هنا أغراض شخصية وميول فردية، بل إن العقل والشرع هما اللذان يحكمان بكشف الواقع والحقيقة وإظهارهما، لكي لا يقضى على حق، ولا يصدر حكم جائر على مظلوم، أو يقع جزاء غير عادل.

ويعدّ الإفساد بين الناس من أسوأ أنواع النميمة، وقد ذمّه العقل والشرع، وانتقداه بشدة.

قال الله تعالى في ذم النميمة، وإساءة النّمامين:

{الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون}[2].

وظائف الإنسان ومسؤوليّاته في الرّدّ على النّميمة والنّمام:



هناك وظائف ومسؤوليات ملقاة على عاتق الإنسان في مواجهة النميمة وردعها، وهي:

١ - رفض تصديق النّمام:

النمّام مذنب وعاص وفاسق.

فلا يمكن موافقة الفاسق أو الرضا بفعله، كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم:

{إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا}[3].

---

١. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ١٢٥، ح ١٤٩٦٧.

٢. البقرة (٢): ٢٧.

٣. الحجرات (٤٩): ٦.

٢ - صدُّه ومنعه عن النميمة:

وذلك لأن عمله هذا المتمثِّل في نميمته يعدُّ من الأمور المنكرة، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم:

{وأمر بالمعروف وانه عن المنكر}[١].

٣ - إظهار الكراهية لفعل النمّام:

وذلك لأنّ النمّام مبغوض عند الله، فينبغي إعلان الكراهية لمن أبغضه الله والبراءة منه، وهذان فرض وأمر لازمان.

٤ - أن لا يظن المرء سوءاً بمن نقل عنه الخبر:

لأن الله تعالى يقول:

{اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم}[٢].

٥ - ان لا يلجئه قول النمام عند التحرّي إلى استخدام أساليب التجسّس لمن نقلت عنه النميمة:

فقد قال الله تعالى: {ولا تجسسوا}[٣].

٦ - أن لا يرتكب عملاً نهى عنه الآخرون:

أي أن لا يظهر نميمته لمن نقل كلامه له، لأنه في هذه الحالة، كان قد نمّ واغتاب في آن واحد.



جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام يسعى إليه برجل، فقال له عليه السلام:

"يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك؟ قال: أقلني يا أمير المؤمنين"[٤].

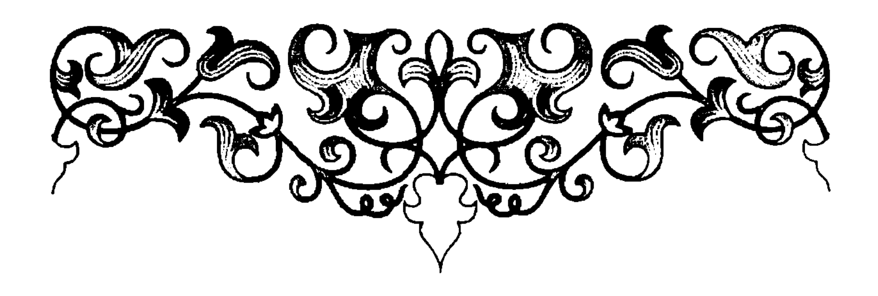
---

١. لقمان (٣١): ١٧.

٢. الحجرات (٤٩): ١٢.

٣. الحجرات (٤٩): ١٢.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



(٤)
الجذور الدَّاخلية للنَّميمة

تنتج النَّميمة عن مشاكسة إحدى قوَّتي «الغضب» و«الشهوة» وتضادها، وتكون لها جذور فيهما معاً. وخروج إحدى هاتين القوتين عن مجال قيادة «العقل» يؤدي إلى ظهور صفات مذمومة ومرفوضة، تمهّد لظهور أفعال سيّئة ومذمومة كالنميمة.

وللنميمة جذور في أحد العوامل الآتية:

١ - الكراهية والعداوة:

قد ينمّ الإنسان، أحياناً، بسبب كراهيته لغيره وحقده عليه، لتشويه سمعته والإساءة إليه، وهدر كرامته.

٢ - الحسد:

الحسد لمقام الآخر ومنزلته، عامل مؤثر ومهم جداً فى حدوث النميمة، وخصوصاً الوشاية، فالفرد المصاب بها يشي بغيره للقضاء على شأن الآخر واعتباره والنَّيل منه.

ويمكن عدّ الإفساد بين الناس من موارد الفتنة. وفي هذه الحالة، وفى ضوء آيات القرآن الكريم، ستكون النميمة أشدّ وأكبر من القتل، كما قال الله عز وجل:

{الفتنة أشد من القتل}[1].

{الفتنة أكبر من القتل}[2].

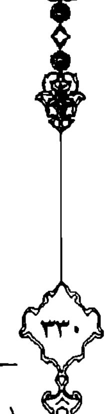
فالتَّدقيق والنظر في مجموع الآيات والروايات الواردة في شأن ذم النميمة يبيِّنان فداحة هذا الذنب والمعصية وقبحهما.

٣ - الطمع والجشع:

قد يؤدِّي الطمع والجشع بالمال والمقام، أو الأمور الدنيوية الأخرى، بالإنسان إلى استخدام أساليب وأعمال مذمومة ومرفوضة عقلاً وشرعاً، كالنميمة والوشاية بالآخرين. فالإنسان المريض يسعى إلى استخدام أساليب النميمة من تشويه وإهانة، فينقل أقوال من ينمّ عليهم وأفعالهم إلى الآخرين، ليحصل على ثمن بخس دراهم معدودة من المال الزائل أو الدعاية الرخيصة وجلب الخسّة والدناءة لنفسه.

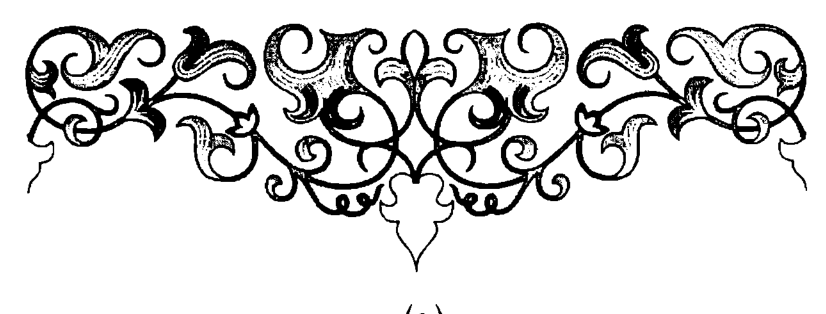
٤ - التسلية والمتعة:

ويسعى الإنسان، أحياناً، إلى إمضاء الوقت في التسلية والمتعة، فيقضي وطره بنقله أقوال هذا وذاك وأفعالهما، فينمّ عليهما للآخرين.



١. البقرة (٢): ١٩١.

٢. البقرة (٢): ٢١٧.



(٥)
النَّتائج المذمومة للنَّميمة:

للنَّميمة نتائج وأضرار مذمومة ومرفوضة تصيب من يُنمُّ عليه، وتصيب كذلك المجتمع الإنساني والبشري. بعضها يتحقَّق في الدنيا، وبعضها الآخر يتحقَّق في الآخرة.

النتائج والأضرار الدُّنيوية:

١ - إضعاف رابطة الصَّداقة والأخوَّة:

يحاول النمّام، وبأساليب عديدة مذمومة ومرفوضة، القضاء على الأواصر والروابط المعنوية بين أفراد البشر، وتحطيم وحدة الشعوب والمجتمعات الإنسانية والبشرية وتلاحمها.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنَّه وصف النمّام بأنه من أسوأ الناس، وأضاف يقول عن النمّامين إنهم:

"المفرّقون بين الأحبّة.."[١].

لقد اهتم الإسلام كثيراً بوحدة المسلمين وتلاحمهم، وتوثيق عرى الإيمان بينهم، والإشادة بصمودهم وكفاحهم ونضالهم. إن العلاقات والروابط الروحية والمعنوية التي تميّز بها هذا المذهب تستلزم نوعاً من الرعاية والدعم والاهتمام في هذه المجالات. فكما أولى الإسلام اهتماماً خاصاً للعلاقات الجسمانية والبدنية، فقد اهتم كثيراً بموضوع «صلة الأرحام»، ورأى أن القضاء على هذا

---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، ح ١.

الارتباط أو إزالته يعدّ ذنباً من الذنوب الكبيرة. وقد وردت التوصيات والتأكيدات المستمرة والكثيرة على ضرورة المحافظة على هذا الارتباط وعلى العلاقات المعنوية، تحت عنوان: «الأخوّة الدينية»، وأن من يحاول تغييرها أو القضاء عليها، هو مذنب وعاصٍ. قال الله تعالى في القرآن الكريم:

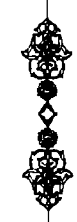
{ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل}[1].

ففي بحثه عن الارتباط الجسماني والبدني، ذكّر الله تبارك وتعالى بموضوع «صلة الأرحام»، وفي بحثه عن الارتباط الروحي، ذكّر بفساد الأرض، وما أكثر الفساد في الأرض! عندما يتعرض كلّ فرد من الناس إلى الآخر بسوء، فتنتهك فيه الحرم، وتهرق فيه الدماء، ويقتل الأبرياء، ويسيء كل واحد إلى الآخر، وتقطع رابطة الأخوَّة الدينية، وصلة القرابات والأنساب. وإنما تتحدد أضرار النميمة فيما إذا وقعت الفرقة والفصل بين ذوي القربى المؤمنين. يعني: أن النمّام يكون سبباً في قطع الرابطة الروحية والبدنية بين البشر.

وفي محل تواجد العدو، والمحلّ الذي ينفذ من خلاله إلى المجتمعات، فكم من أناس يتقاتلون فى ما بينهم، ويسفك كلّ منهم دم الآخر بالباطل، وتراق الدماء على الأرض، وتستنزف القوى الدينية والمؤمنة!. ويمكن مشاهدة كثير من هذه الصور والمواقف في الرجوع إلى التاريخ، وهناك مشاهد لا تحصى تدلّ على ذلك.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"وإن من أكبر السحر النميمة، يفرّق بها بين المتحابّين، ويجلب العداوة على المتصافيين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدور، ويكشف بها الستور، والنمّام أشرّ من وطئ الأرض بقدم"[2].



وهذا هو جواب من يقول: نحن لا نكذب، بل ننقل الكلام الصادق والصحيح إلى الآخرين، وكما قال الإمام علي عليه السلام:

"أسوأ الصدق النميمة"[3].

١. البقرة: (٢): ٢٧.

٢. المحدث النوري:مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١٥١، ح١٠٥٢٣.

٣. المحدث النوري:مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ١٥١، ح١٠٥٢٣.

وروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في وصيته لعلي عليه السلام أنّه قال:

"إن الله أحب الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد"[1].

وقال سعدي الشيرازي شعراً معناه:

"قال شخص لصوفي في صفاء ونقاء * أتعلم فلاناً ما قال في الخفاء؟.

قال: اخرس يا أخي واصمت * فلا تعلم ما قال العدو؟.

إن من أوصل خطاب العدو * فهو عدو أعتى من عدوّ.

فمن لا يوصل قول العدو للصديق * فلا يعدّ في العداوة له إلا صديق.

فلا يخف قولي الجفاء مع العدو * كما يرتعش جسمي من مثله عند سماع العدو.

وأنت أعدى إن ذكرت على الغم * وهذا ما قاله العدو في الخفاء من همّ.

والنمّام يصنع حرباً جديدة من حرب قديمة * ويغضب الرجل الصالح العاقل والسليم.

فاهرب من هذا الجليس ما استطعت * الذي يقول لك: انهض واحي تلك الفتنة الخفية ما قدرت.

فالزنزانات والرجُل المقيّدة رجلاه في ذلك المرتع * فهو يلوذ بالفتنة ويساق من موضع إلى موضع.

والحرب بين اثنين هي كالنار * والنمامّ سيّئ الحظ كحامل الحطب ليضرم فيها النار"[2].

---

١. الآمدي: غرر الحكم، ص٢٢٢، ح٤٤٥٢.

٢. قال سعدي في بوستانه:

یکی گفت با صوفی در صفا * بدانی فلانت چه گفت از قفا؟

بگفت خموش، ای برادر! بخفت * ندانسته بهتر که دشمن چه گفت

کسانی که پیغام دشمن برند * ز دشمن همانا که دشمن ترند

کسی قول دشمن نیارد به دوست * جز آن کس که در دشمنی یار او است

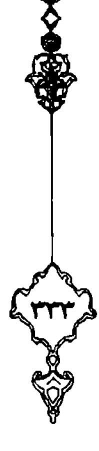
نیاز است دشمن جفا گفتم * چنان کز شنیدن بلرزد تنم

تو دشمن تری کاوری بر دهان * که دشمن چنین گفت در نهان

سخن چین کند تازه جنگ قدیم * به خشم آورد نیکمرد قدیم

از آن همنشین تا توانی گریز * که هر فتنه ای خفته را گفت خیز

سیه چال و مرد اندر او بسته پای * به او فتنه از جای بردن به جای



٢ ـ الحرمان من الرَّحمة الإلهية:

النميمة سبب في غضب الله، وفي ابتعاد المجتمعات عن رحمته سبحانه وتعالى. ولا يحرم النمّام من لطف الله وحده فحسب، بل يبعد المجتمعات أيضاً عن الألطاف الإلهية.

روي عنه عليه السلام أنَّه قال:

"إن موسى عليه السلام استسقى لبني اسرائيل حين أصابهم قحط، فأوحى الله تعالى إليه: لا أستجيب لک، ولا لمن معک، وفيكم نمّام قد أصرّ على النميمة، فقال موسى عليه السلام: من هو يا رب حتى نخرجه من بيننا؟ فقال الله: يا موسى، أنهاكم عن النميمة، وأكون نمّاماً، فتابوا بأجمعهم، فأُسقوا"[1].

٣ ـ فضيحة النمام:

يفتش النمّام عن عيوب الناس ويبحث عن نقائصهم، لتكون أدوات له وسلاحاً يستخدمه في تعامله السيئ والمذموم مع غيره.

رويَ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال، بعد أن وصف النمّامين الذين يبحثون عن تفريق المجتمعات: "الباغون للبرآء المعايب"[2].

ووصف أمير المؤمنين علي عليه السلام هؤلاء بهذا الوصف أيضاً فقال:

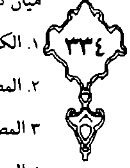
"المبتغون للبرآء المعايب"[3].

وكذلک روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبَّع عوراتهم، تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته، يفضحه في بيته"[4].



ميان دو تن جنگ چون آتش است ※ سخن چين بدبخت هيزم كش است



١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ٣٦٩، ح ١.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٩، ح ١.

٣ المصدر نفسه، ج ٣.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٤- سلب الثقة والابتعاد عن الناس:

إن قلق الناس وخوفهم من نقل أقوالهم وأفعالهم لدى الآخرين، يدعوهم إلى سحب ثقتهم من النمّام، فهم لا يرونه أميناً، ويمتنعون عن الحديث معه أو عنده.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"لا تجتمع أمانة ونميمة"[١].

إن سحب الثقة من النّمام يؤدي إلى ابتعاد الناس عنه، كما روي ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"إياك والنميمة، فإنها تبعّد عن الله والناس"[٢].

النتائج الأخروية للنمّام:

١ - عذاب القبر:

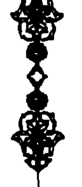
تقع على النمّام، في بدء دخوله إلى عالم البرزخ، أقسى العقوبات بسبب فعله المذموم والسيّئ في الدنيا.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، في وصيته لأمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"يا علي، احذر النميمة، فإن النميمة توجب عذاب القبر"[٣].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال: "عذاب القبر يكون من النميمة"[٤].

٢ - المسخ في الحشر:



يحشر كثير من المذنبين والعصاة في صحراء يوم القيامة على صور أعمالهم الحقيقية، وفي هذه الأوساط، يحشر النَّمامون بسبب نوع عملهم الخاص على صور الحيوانات والبهائم وأشكالها.

روي عن البرآء بن عازب أنَّه قال: كان معاذ بن جبل ـ وهو من أصحاب رسول

---

١. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢٢٢، ح ٤٤٥٨.

٢. المصدر نفسه، ح ٤٤٥٤.

٣ الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٥، ح ١٢٧٦٥.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



الله(ﷺ) ـ جالساً قريباً من رسول الله(ﷺ)، في منزل أبي أيوب الأنصاري. فقال معاذ: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى: {يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً}[1].

فقال رسول الله(ﷺ):

"يا معاذ، سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه، ثم قال: تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً، قد ميّزهم الله تعالى من المسلمين، وبدّل صورهم، فبعضهم على صور القردة وهم النمامون"[2].

٣ ـ الحرمان من الجنة:

تؤدّي النَّميمة إلى غضب الله وسخطه على النمّام، فيحرم من الجنة.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنَّه قال: "لا يدخل الجنة قتّات"[3].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً أنَّه قال:

"الجنة محرّمه على القتّاتين، والمشّائين بالنميمة"[4].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

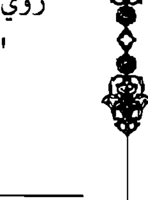
"أربعة لا يدخلون الجنة: الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والقتّات، وهو النّمام"[5].

٤ ـ عذاب الآخرة:

تبعث النميمة المذمومة على غضب الله، وابتلاء النمّام بالعذاب الالهي.

روي عن رسول الله(ﷺ)، في وصيته لأبي ذر الغفاري، أنَّه قال:

"يا أبا ذر، صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة"[6].



---

١. النبأ (٧٨): ١٨.

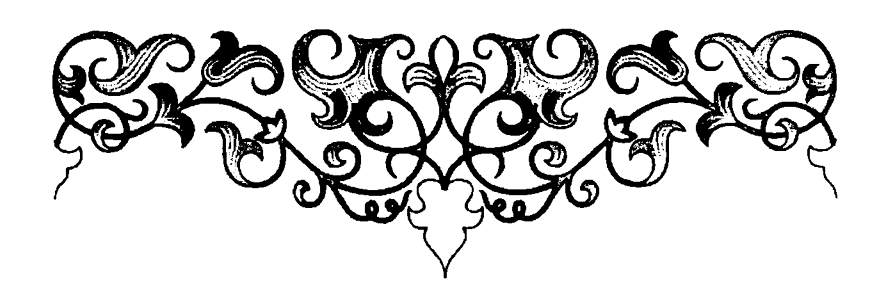
٢. المحدث النوري: مستدرک الوسائل. ج ١٣، ص ٣٣٠، ح ١٥٥٠٠.

٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣١٠، ح ١٦٣٨٢.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٠٩، ح ١٦٣٧٩.

٦. المحدث النوري، مستدرک الوسائل. ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٥.



(٦)
أساليب معالجة النَّميمة

يمكن معالجة النَّميمة التي تعدّ كسائر أمراض اللّسان بأسلوبين:

١ - الأسلوب العلمي.

٢ - الأسلوب العملي.

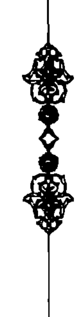
الأسلوب العلمي:

التأمل و النظر في قبح هذا الفعل ونتائجه المذمومة ونتائجه السلبية والسيئة، قد تضطر الفرد إلى البحث عن أساليب وطرق علمية ناجحة لمعالجة هذا المرض والوباء الخطير، ومع ظهور هذا الرجاء والطلب الباطني، فإنها تجعله يفكر باستمرار في كيفية الوقاية منه وفي أساليب العلاج ونتائجها، لكي يظهر من خلاله شعوره بالكراهية لهذا الذنب وتلك المعصية، والخوف والوجل من عواقبه، وما ينمّ عنه. وبعد ظهور ذلك في هذه المرحلة، يمكنه الانتقال إلى مرحلة أخرى، وهي عدم الالتفات لهذا الذنب، وإهماله، لتطهير نفسه منه، وتضعيف جذور هذا الذنب طبعاً وآثاره، يساعد الإنسان على تركه وإهماله.

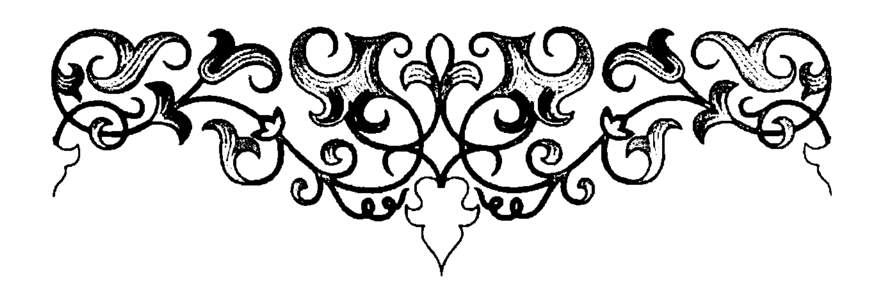
الأسلوب العملي:

العمل المستمر والدؤوب لذكر الله باللّسان، يـؤدي إلـى ظهـور العـادات الحـسنة، والخلق الكريم، ليكون سبباً في ترك التعوّد على القيام بأفعال سيئة وشرّيرة كالنميمة.

وعلى الإنسان السعي إلى السيطرة علـى نفـسه والـتحكُّم بلـسانه ليقـوم بالأعمـال الصالحة والمرضية، ويملأ أوقات فراغه بذكر الله وتلاوة القـرآن، وهـذا مـا يتطلـب جهداً مضاعفاً منه للقضاء على العادات السيئة والمذمومة للّسان.







الفصل الرَّابع عشر
اللَّغو

"أعظم النَّاس قدراً من ترک ما لا يعنيه"[1].

رسول الله(صلى الله عليه وآله)

مقدِّمة:

لا يليق بالإنسان أن يمضي زهرة عمره فى الخوض فى ما لا يعنيه، بل عليه أن يجهد نفسه ليستثمر كلّ لحظة من لحظات حياته، ويستفيد من كل آن من آنات عمره، وعليه ألاّ يفقد رأسماله وألاّ يخسر صفقته في حياته الدنيوية بسهولة، من دون تدبُّر وعمق في التفكير. وعليه أن يستغلّ الفرص القصيرة المتاحة له بأكثر ما يكون من الكفاءة، فهذه الفرص هى الكفيلة برفع مستواه المادّي والمعنوي، فيهيئ لنفسه الزاد والراحلة. وبناء على هذا، لا ينبغي عليه أن يهدر لحظة واحدة من عمره في ما لا يعنيه، بكل ما هو عبث ولهو. فاللهو والعبث هما من الآفات التي ابتليت بها البشرية جمعاء في تاريخها الماضي والمعاصر، وهي تسوق الإنسان بالاتجاه نحو آفات أخرى للسان.

---

١. العلامة المجلسي:بحارالأنوار،ج٦٨،ص٢٦٧،ح٥.

ولهذا، ينبغي السعي وبذل الجهود الحثيثة والمضاعفة المستمرّة لرفع المستوى المادي والمعنوي للإنسان، وإغلاق الطريق أمام المتسلّلين والمتسولين العصاة بذنوب اللّسان.

ونبحث، في هذا الفصل، الأبعاد المختلفة والمتنوعة لهذا المرض الخطير، ونسعى إلى إيجاد الحلول والسبل الكفيلة لمعالجته والتخلُّص منه.

ومواضيع هذا البحث هي:

١ - تعريف اللَّغو.

٢ - أقسام اللَّغو.

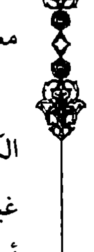
٣ - ذمُّ اللَّغو.

٤ - الجذور الداخلية للّغو.

٥ - النتائج المذمومة للّغو.

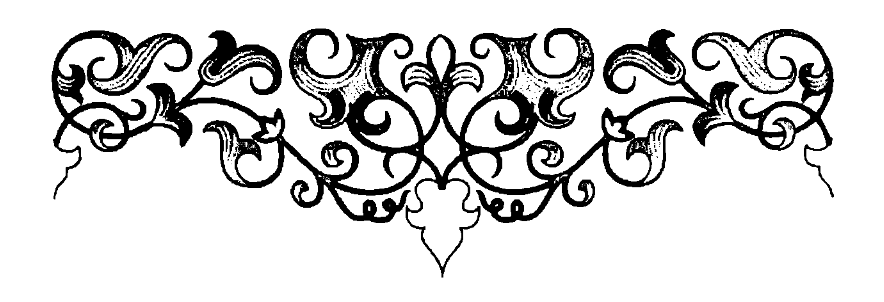
٦ - طرق معالجة اللّغو وأساليبها.

(١)
تعريف اللَّغو



المراد باللَّغو الخوض بكلام لا تُرجى منه فوائد مشروعة دنيوية أو أخروية، مادية أو معنوية، عقلانية أو شرعية، أو التكلُّم بحديث لا يعود بالنفع والفائدة على قائله.

وقد عُبِّر عن خوض الإنسان في ما لا يعنيه بـ «شهوة الكلام» أيضاً. وعدم جدوى الكلام للقائل يعنى عدم فائدته وقيمته للجميع. لكن قد نقول: كم من حديث أو كلام غير مفيد لبعض النَّاس، يكون مفيداً ومثمراً لبعضهم الآخر، ولهذا يمكن عدّ فوائده أموراً نسبية، وإن فقد بعض الكلام - إن أمكن ذلك - قيمته وفوائده للجميع.



(٢)
أقسام اللَّغو

١ - الخوض في موضوع غير مفيد:

قد يخوض الإنسان، أحياناً، في حديث، أو موضوع، لا يعود عليه بالنَّفع والفائدة أبداً، وإن كان هذا الموضوع نفسه مفيداً لبعض النَّاس. وفي هذه الحالة، فكلامه هذا يعدّ من أقسام الكلام غير المفيد وما لا يعني، مثل الكلام عن لون العيون والشعر عند الآخرين، فهو عديم الفائدة لكثير من الناس، ولكنَّه مفيد جداً لبعض المراكز الاستخباراتية والأمنية.

٢ - الكلام الزَّائد (فضول الكلام):

قد تكون الثرثرة، أو الإطالة في الكلام، فى موضوع ما، لغواً، وكلاماً غير مفيد وغير مؤثر أيضاً. ولا يشمل ذلک الإطالة في الكلام بغية التَّوضيح والتفسير، أو بغية الإعادة والتكرار للفهم أكثر ورفع الغموض، فهذه الإعادة أو التكرار أمر ضروري ولازم لا يمكن اجتنابه.

٣- الكلام عديم الجدوى:

لا يعدّ الحديث الكافي، وبالمقدار اللازم، في موضوع مفيد ومؤثر- وإن خرج عن إطاره وحدوده المرسومة - من أقسام الخوض في ما لا يعني، أو غير المفيد والمؤثر أبداً.

وقد ينتج اللَّغو من خلال عدم تناسب الكلام مع المخاطب أحياناً، مثل الاستدلال بالبراهين الغامضة والصعبة لعوام الناس، وقد يحصل من عدم التناسب الزماني، والمكاني، و... للمخاطب، مثل الحديث مع أشخاص فقدوا القدرة على استماع كلام القائل لفرط وشدة تعبهم وإرهاقهم الفكري أو البدني. ويمكن عدّ الأسئلة عديمة الجدوى من أقسام اللغو.

ونتساءل، في هذا القسم، عن الخوض، أحياناً، في ما لا يعني من أقسام الكلام، كمن قال بعد سماعه كلام أمير المؤمنين:

"سلوني قبل أن تفقدوني"[١].

كم شعرة في رأسي؟!!

أو قد يسأل من لا قدرة له على الفهم والاستيعاب ولا رغبة له في الإجابة.

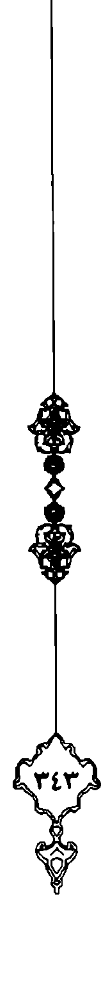
فكلّ هذا، إضافة إلى أنه يضيِّع وقت السائل، فإنه يضيِّع أيضاً وقت المجيب عليه، ويوقعه في ضيق وعسر. هذا في حالة عدم تعرضهما وإصابتهما بآفات وأضرار، وعدم تعرض السائل لأغراض رخيصة، كإظهار الفضل، والتفاخر على الغير، وإهانة الطرف الآخر، وإلا فهو، إضافة إلى كونه مضيعة للعمر، يسوق الإنسان إلى وادي الذنوب والمعاصي أيضاً، ويفقده القيمة الحقيقية والاعتبار، ويمكن أن يرافق المجيب خطاباً مذموماً وسيّئاً أيضاً. فعلى سبيل المثال: إذا دعا شخص ما صائماً لتناول الطعام والشرب معه من دون أن يعلم أنه صائم، فيمتنع المدعو عن تناول الطعام، فيسأله الدّاعي عن سبب امتناعه عن تناول الطعام: هل أنت صائم؟ للإجابة عن هذا السؤال تتداعى عدة استفهامات وإشكالات للمجيب، فإذا قال: لست صائماً! فقد كذب، وإن قال: أنا صائم، فقد نقص من ثواب عبادته بالسرّ. وإن أجاب إيجاباً، وكان قصده الالتذاذ والغرور، فقد وقع في لحن

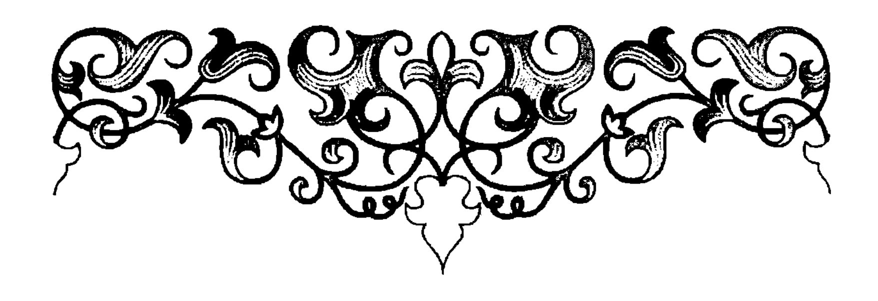
١. المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٢٥، ح ٥.

«الرياء»، وإن لم يجب، فقد أهان السائل واحتقره.

وكذلك لو سأل شخصاً عن شيء ما، وهو لا ينوي الإجابة عنه، ويحبّ أن تخفى المسألة عن نظر السائل أو الآخرين، فالسائل هنا لم يكن قد أضاع وقته الثمين فحسب، بل انتزع وقت الطرف المقابل، وأضاعه، من دون أن يحصل على نتائج خاصة مثمرة ومفيدة من كلامه وحديثه.

وبهذا الترتيب: السؤال من دون فائدة وجدوى هو من أسوأ أنواع الكلام غير المفيد وعديم الجدوى.





(٣)
ذمُّ اللّغو شرعاً

إنَّ الفطرة السَّليمة، في الإنسان والشُّعور الطَّيب لديه يكرهان كل ضرر، أو نقـص، يصيبه بسببهما، ويصدّان كل أمر مضر لا يعود عليه بالنفع والفائدة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، يعدّ العمر الثروة الأصلية والركيزة الأساسية للبشر، وهو يمضي وينتهي بسرعة خاطفة، ولا عودة ولا رجعة له بعد ذلک أبداً.

يتبين، من خلال هذين الأمرين، أن العقل البشري حكم بذم كلام الإنسان فی ما لا يعنيه والخوض فيه، فكثير الكلام من دون فائدة، والثرثار حري بالذم، هذا من جهـة العقل، وقد حكم الشرع بما حكم به العقل، ومنع الإنسان عـن هـذا الفعـل. وهنـاک روايات ونصوص عديدة وكثيرة تدل على ذلک، أي على ضرورة تـرک المـرء للّغـو والخوض في ما لا يعنيه، واجتناب الكلام غير المثمر وعديم الجدوى والفائدة.

روي عن رسول الله(ﷺ) في حديث المعراج أنّه قال:

"رأيت للنار سبعة أبواب، وقد كتب على كل باب ثلاثة جمل، وقد كتب على الباب الخامس: ولا تكثر منطقک فی ما لا يعنيک، فتسقط من رحمة الله.."[١].

وقال(ﷺ) في موضع آخر:

---

١. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ١٣، ص ١٢٦، ح ١٤٩٧٢.

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[1].

ويظهر بوضوح، من هذه الرواية، أن النبي(صلى الله عليه وآله) كان قد مدح من ترك ما لا يعنيه، وقد عدّ ذلك من جملة فضائل اعتقاد الإنسان المسلم ومحاسنه.

وروي كذلك قول النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله) لأبي ذر الغفاري:

"ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن، ثقيل في الميزان؟ قلت: بلى يا رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال: هو الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعنيك"[2].

لقد أكّد النبي(صلى الله عليه وآله)، في هذه العبارة، أهمية الأعمال وثقلها في الآخرة، وضرورة ترك الإنسان ما لا يعنيه، إلا في موارد خاصة ومتميِّزة تعود عليه بالنفع والفائدة.

وقال(صلى الله عليه وآله) في موضع آخر:

"من رأى موضع كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا في ما يعنيه"[3].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، في عدّه صفات المؤمن وخصاله فرأى أنها: ترك ما لا يعنيه، واجتناب الإطالة والثرثرة في الكلام، وأظهر تعجبه من ذلك، فقال:

"عجبت لمن يتكلم بما لا ينفعه في دنياه، ولا يكتب له أجره في أخراه"[4].

فكثرة الكلام - وإن كان في أمر مفيد - مذمومة أيضاً، لأن كثرته عبث ومن دون جدوى، ولا تعود بالنفع والفائدة.

روي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

"طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، وأنفق الفضل من ماله"[5].

وروي أيضاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال:

"شرّ ما شغل به المرء وقته: الفضول"[6].

---

١. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٧٧، ح ١٠.

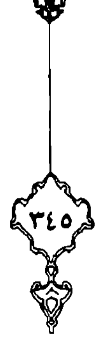
٢. ورّام بن أبي فراس، مجموعة ورّام، ج ١، ص ١٠٧.

٣. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١١٦، ح ١٩.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٥. ورّام بن أبي فراس: مجموعة ورّام، ج ١، ص ١٠٨.

٦. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ١١٧، ح ١٠٤٠٥.



وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد اجتاز رجلاً يتكلّم كثيراً، فحانت منه عليه السلام التفاتة، فوقف عليه السلام وخاطبه قائلاً:

"يا هذا، إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلم بما يعنيك، ودع ما لا يعنيك"[1].

فكلام الإنسان في ما لا يعنيه مذموم، وإن كان في موضوع مفيد، فهو إضافة إلى ذلك: عار عن الفائدة، ويؤدي إلى التقليل من قيمة الشخص المتكلِّم أيضاً.

روي عن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام أنَّه قال لابن عباس:

"يا ابن عباس، لا تتكلمن بما لا يعنيك، فإنني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمن بما يعنيك، حتى ترى له موضعاً، فربّ متكلّم قد تكلّم بحقّ فعيب"[2].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في كلام مشابه أيضاً أنّه قال:

"ودع كثيراً من الكلام في ما يعنيك، حتى تجد له موضعاً، فربّ متكلم بحقّ في غير موضعه، فعنت"[3].

والسؤال من دون جدوى وفائدة هو أمر مذموم أيضاً، كما روى ذلك أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال:

"كنّا جلوساً عند الإمام عليه السلام فرعدت السماء، فقال عليه السلام:

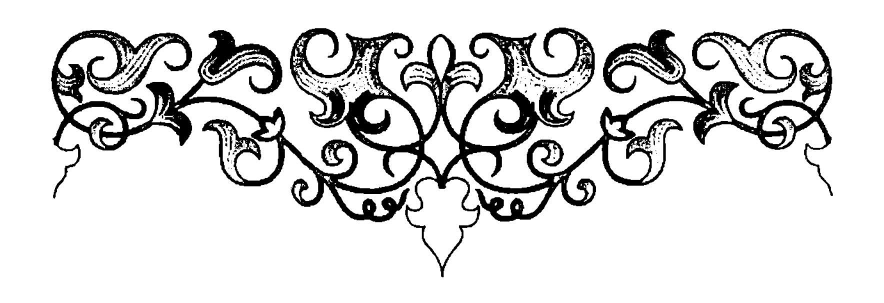
"سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته، فقال له أبو بصير: جعلت فداك، إن للرعد كلاماً؟ فقال: يا أبا محمد، سل عما يعنيك، ودع ما لا يعنيك"[4].

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٩٧، ح ١٦٠٧٤.

٢. الديلمي: أعلام الدين، ص ١٤٥.

٣. المحدث النوري: مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٢٧، ح ١٠١١٥.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.



(٤)
جذور اللَّغو

تؤدِّي العوامل التي سيتم ذكرها إلى اللَّغو والثَّرثرة وخوض المرء في كلام لا يعنيه وإلى الكلام عديم الفائدة والجدوى، وهي:

١ - الفطنة غير المجدية:

الرَّغبة في معرفة شيء غير مجد أو حسُّ الفضول والفطنة، والإنصات إلى قضايا ومسائل غير مفيدة... هذه جميعها من العوامل المهمة التى تؤدِّي إلى اللَّغو والثرثرة في الكلام وخوض المرء في ما لا يعنيه.

وينبغي عدم الخلط بين هذه الأمور وبين قضايا طلب العلم وفهم الأمور المفيدة والممدوحة. فالمقصود بالفطنة غير المجدية هو الحرص على معرفة الأشياء التي تبعث على التسلية والمتعة وإضاعة الوقت، وهى غير مفيدة، كمعرفة عدد طابوق بيت فلان مثلاً، أو سؤاله عن عدد شعرات رأسه.

٢ - العلاقة الوافرة والثقة:

إن متانة العلاقة بشخص ما، والرَّغبة فى القرب منه تؤدِّيان إلى ظهور الميول الشديدة والعواطف النبيلة والجيّاشة إلى استماع حديثه والتخاطب معه. وهذا قد

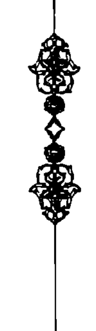
يضطر الإنسان إلى الثرثرة والخوض في ما لا يعنيه، وفي الكلام عديم الجدوى، فيكون مشغولاً في الكلام، وهو في تلك الحال، من دون أن يشعر بشيء مما حوله، من كون كلامه مفيد أو مضرّ.

٣ - مضيعة الوقت:

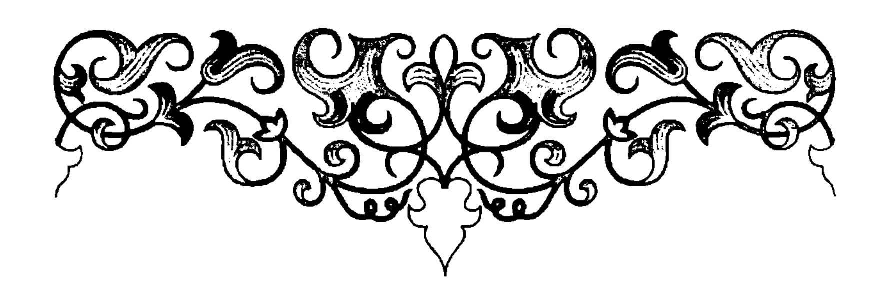
قد يخطئ الإنسان في تعامله مع الآخر، فيظن أن له وقتاً إضافياً وفرصة أخرى، ويمكنه ملء هذا الوقت بالكلام، ولذلك يأخذ في الحديث عن كل شيء، ولا يتحدث في موضوع معيّن، فيهدر وقته ويضيعه بلا طائل.

٤ - حب الجاه (جلب الأنظار):

قد يكون الكلام والحديث، أحياناً، لنيل ثقة الآخرين والدخول إلى قلوبهم ونيل تقديرهم. وفي هذه الحال، يسعى الفرد إلى أن يستقطب أنظار الآخرين نحوه من خلال الكلام، فيرغّب الناس في الحديث معه والارتباط به، ويشجعهم على ذلك.







(٥)
النَّتائج المذمومة للّغو

١- مضيعة للعمر:

إن أقل أضرار ثرثرة المتكلِّم وخوضه في ما لا يعنيه مضيعة عمره، الذي يعدّ من أكبر الكنوز والثروات التي منحها الله له في حياته. وإن ما يحصل عليه الإنسان، في هذا العالم، إنما هو ثمرة وحصيلة عمره، فهو قادر على استثمار هذا العمر في ما هو مجد ومفيد.

ومن خلال هذا القسم من حياته، عليه أن يتزوّد و يعدّ العدّة للعالم الأخروي، ولكنه في ثرثرة كلامه الذي لا فائدة دنيوية ولا أخروية له، والخوض فيما لا يعنيه ـ يضيّع هذه الفرصة والفراغ من عمره، فلو منع من أضاع فترة من عمره بالثرثرة وهزيل الكلام ـ إذا اعترته حالة من الصمت، وذكر الحق في صمته، فقد ذخر لنفسه كنوزاً ونفائس دفينة في الدنيا والآخرة.

وإضافة إلى ذلك، يكون قد احتفظ بطاقته، واستثمر قواه الفكرية والبدنية من دون إضاعتها وهدرها.

٢ ـ الاحتقار في المجتمع:

الكلام الزائد والفارغ من المحتوى المجدى والفائدة، وخوض الإنسان في ما لا

يعنيه سبب في تدنّي مقام المتكلم وشأنه، وفي الحد من منزلته ومستواه العلمي والديني، لأن لكلّ متكلم مخاطباً أو مستمعاً، فإذا سمع المخاطب هذر الكلام من القائل وثرثرته فى ما لا يعنيه، حكم عليه بأن لا قيمة له ولا منزلة ولا إجلال، وأن لا شيء لديه يبعث على تصديقه وقبول الكلام منه.

٣ ـ طلب العفو والصفح:

من الآثار الأخرى المذمومة للثرثرة في الكلام ما يأتي:

قد ينطق الإنسان بكلام، أو يعمل شيئاً يندم عليه، فيضطر إلى طلب العفو والصفح من المخاطب، وقد ورد في الروايات والأخبار:

"إن المؤمن لا يدخل فى ما يعتذر منه"[١].

٤ ـ التمهيد لذنوب اللّسان:

هذر الكلام والثرثرة، وخوض الإنسان فى ما لا يعنيه... أفعال تمهّد لدخول الإنسان إلى وادي ذنوب اللّسان وشفير المعاصي، فهذه الأفعال تصدر من عين الشهوة في الكلام، وتتبع هذه الشهوة أخطار وأضرار عديدة كالغيبة والكذب والانغماس في الباطل و...، فمن كانت له شهوة الكلام، يتعرَّض بسهولة أكثر من غيره إلي الوقوع بالكلام الحرام. ومن الواضح أن هذه الأفعال تقرِّب الإنسان من وادي الذنوب وشفير المعاصي، لأن الكلام الصحيح أو صدق المقال نادر وقليل في هذه الحياة الدنيا، فيتجه من كثر كلامه، وعظم خطابه الفارغ، دائماً، إلى مخاصمة النادر، كما روي ذلك عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:



"من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه، كانت النار أولى به"[٢].

وروي عن لقمان الحكيم أنه قال:

"من كثر كلامه، كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه، كثر زلـله، ومن كثر

---

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج١١، ص ٤٢٥، ح٤.

٢. الفيض الكاشاني: المحجة البيضا، ج ٥، ص ١٩٦.

زلـلُه، كثر كذبه، ومن كثر كذبه، كثرت ذنوبه..."[1].

وقد كانت هذه الأفعال جزءاً من أفعال المهذارين اليوميَّة، التي لا يمكنهم التخلِّـي عنها وتركها، ولهذا فهي تقودهم إلى الوادي الرهيب والمخيف للذنوب والمعاصي فـي قعر جهنم.

روي عن رسول الله(ﷺ) أنَّه قال:

"من لم يحسب كلامه من عمله، كثرت خطاياه، وحضر عذابه"[2].

٥ ـ الابتعاد عن رحمة الله:

اللَّغو والثرثرة في الكلام، وخوض الإنسان في ما لا يعنيه تبعد الإنسان عن رحمـة الله كما مضى ذكره.

روي عن رسول الله(ﷺ) في حديث المعراج أنه قال:

"كتب على الباب الخامس للنار: لا تقل ما لا يعنيک كثيراً، فتسقط عن رحمـة الله"[3].

٦ ـ تضييع الأمور المفيدة:

إذا شغل الإنسان بأمور عديمة الجدوى والفائدة، وبالخوض في ما لا يعنيـه سـوف يتخلّف عن كل ما هو مفيد ونافع له. فهو لن يربح من ذلک فحسب، بل يفقد مـصالح وأرباحاً كثيرة.

روي عن علي عليه السلام أنَّه قال:

"من اشتغل بما لا يعنيه، فاته ما يغنيه"[4].



---

١. الديلمي: ارشاد القلوب، ج ١، ص ١٠٤.

٢. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١١٥، ح ١٥.

٣. المحدث النوري: مستدرک الوسائل، ج ١٣، ص ١٢٦، ح ١٤٩٧٢.

٤. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦٣١٦.

٧ - زوال العقل:

يدعو عقل الإنسان إلى النمو والازدهار والكمال. أما الانشغال بالأمور الزائدة والفارغة من دون جدوى وفائدة، والخوض في ما لا يعني، فهي أمور معاكسة ومغايرة لحركة صدور أوامر العقل، ومؤدّية إلى سقوط الإنسان وزواله.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"ضياع العقول في طلب الفضول"[1].

٨ - الضَّلال:

يؤدي اللّغو والثرثرة في الكلام، وخوض الإنسان في ما لا يعنيه، إلى الإطاحة بالعقل وزواله واضمحلاله. وإذا فقد الإنسان قوّة العقل، تاهت الفكرة، وأضاع الإنسان طريق الكمال والسعادة وضلَّ السبيل.

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

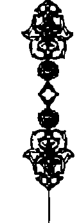
"وقوعك في ما لا يعنيك جهل ومضل"[2].

٩ - قساوة القلب:

البعد عن ذكر الله يقسي القلب، ونتيجة الهذر والثرثرة في الكلام، وخوض الإنسان في ما لا يعنيه، تقلّل من ذكر الله، ما يؤدي إلى قساوة القلب.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسو القلب، إن أبعد الناس من الله: القلب القاسي"[3].



١٠ - إتعاب السَّامع:

يؤدي اللغو والثرثرة في الكلام، وخوض الإنسان في ما لا يعنيه - إضافة إلى

١. المصدر نفسه، ص ٤٧٦، ح ١٠٩٣٢.

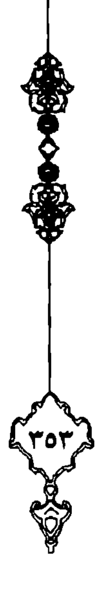
٢. المصدر نفسه، ص ٤٧٧، ح ١٠٩٤٨.

٣. العلامة المجلسي: بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٨١، ح ٢٨.

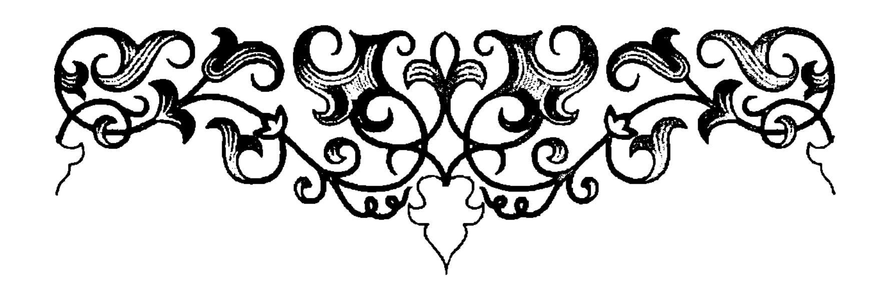
الأضرار التي سبق ذكرها - إلى إيجاد حالات من الملل والتعب والإرهاق لذهن السامع، ويتبع هذا، عدم رغبة السامع في هذر الكلام والثرثرة...

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"إياك وكثرة الكلام، فإنه يكثر الزلل، ويورث الملل"[1].



١. الآمدي: غرر الحكم، ص ٢١٢، ح ٤١٠٣.



(٦)
أساليب معالجة مرض اللَّغو

يمكن معالجة الهذر والثرثرة في الكلام، وخوض الإنسان في ما لا يعنيه عن طريقين:

١ - الطريق العلمي

٢ - الطريق العملي

إن التدقيق في أضرار اللغو ونتائجه، والتذكير المستمر بها، سبب في ترك هذه العادة المذمومة والشفاء والمعافاة من هذا المرض. فالمهذار، أو الثرثار في الكلام، عليه أن يعلم أن عمره لن يعود إذا ذهب وولّى، فلا ينبغي أن يمضيه ويصرفه في أمور لا طائل ولا جدوى منها، وغير مفيدة.

فإذا اضطرّته شدة الرغبة في اللَّغو في القيام بأمور اللهو والعبث، وهي أمور غير نافعة له، ومنها: الثرثرة، والخوض في ما لا يعنيه، فليعلم أنه يضيّع بهذا الأسلوب والطريقة ثمرة عمره، رغم أنه قادر على إظهار حبّه ورغبته بكلام مؤثر ومفيد.

إن تذكُّر القيمة المعنوية العالية «لذكر الله» و«فكرة المبدأ والمعاد» كفيل بتشجيع الرغبة والدافع لتحريك النزعة المضادَّة للهذر والثرثرة في الكلام، وخوض الإنسان في ما لا يعنيه.

إن معرفة دور الكلام بين سائر الأفعال، هو خطوة مهمّة جداً لترك هذه الأفعال.

فإذا علم الإنسان بأهمية دور الكلام وتأثيره في الحياة، فلن يزيغ عنه في حركته الإيجابية، لتغيير جهته نحو الكلام غير المؤثر وعديم الجدوى والفائدة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:

"من رأى موضع كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا في ما لا يعنيه"[1].

إن الانشغال بالأعمال المفيدة والمؤثرة، هو جهد وسعي كافيان ومناسبان لترك التعوّد على اللَّغو، لأن الانشغال بأمور العبث واللهو، وقضايا عديمة الفائدة والجدوى، تصدّ الإنسان عن القيام بأداء الأعمال المفيدة له، وتحظر عليه القيام بتلك الأعمال الصالحة والمثمرة.

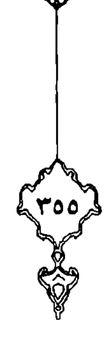
روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنَّه قال:

"من أطرح ما يعنيه، وقع إلى ما لا يعنيه"[2].

إن انشغال الإنسان بالذكر والدعاء، والقضايا والمسائل المفيدة، والإرشاد والتربية، يعدّ من جملة الأمور المهمّة والمفيدة التي تبعد الإنسان عن ارتكاب اللهو والثرثرة في الكلام.

والحمد لله رب العالمين

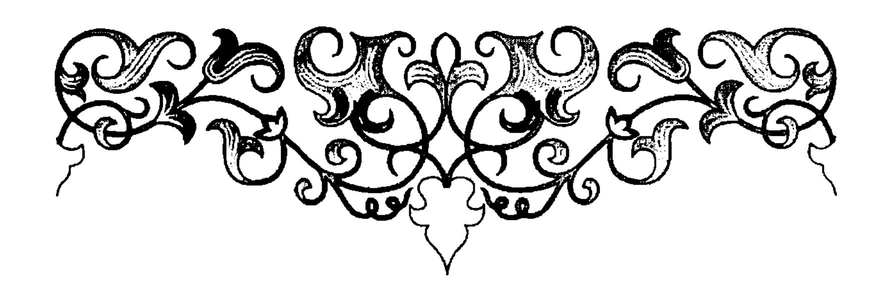
وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله الطّيبين الطّاهرين



---

١. الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١١٦، ح ١٩.

٢. الآمدي: غرر الحكم، ص ٤٧٧، ح ١٠٩٤٦.



فهرس المصادر

* القرآن المجيد

١٠١. الاحتجاج على أصل اللجاج، الطبرسي، أحمد بن علي، مشهد: دار نشر المرتضى، ١٤٠٣ هـ

١٠٢. إرشاد القلوب، الديلمي، الحسن بن محمد، قم: دار نشر الرضي، ١٤٠٩ هـ

١٠٣. أعلام الدين في صفات المؤمنين من أعلام القرن الثامن الهجري. الديلمي، الحسن بن محمد. قم. مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ

١٠٤. الأمالي، الطوسي، محمد بن حسن، قم: انتشارات دار الثقافة، ١٤١٤ هـ

١٠٥. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤ هـ

١٠٦. بوستان. سعدي، مصلح بن عبد الله، طهران: العلمي، ١٩٨٩.

١٠٧. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم. ابن شعبه، الحسن بن علي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، التابع لمجمع مدرسي الحوزة العلمية، قم. ١٤٠٤ هـ

١٠٨. تفسير الميزان. الطباطبائي، محمد حسين. طهران: أمير الكبير، ١٩٨٤.

١٠٩. التوحيد. ابن بابويه، محمد بن علي. قم: مجمع مدرسي الحوزة العلمية، قم، ١٣٩٨ هـ

١١٠. ثواب الأعمال و عقاب الأعمال. ابن بابويه، محمد بن علي. قم: دار نشر الشريف الرضي، ١٩٨٥.

١١١. جامع السعادات. النراقي، محمد مهدي ابن أبي ذر. قم: دار التفسير، ١٤١٧ هـ

١١٢. ديوان أشعار ناصر خسرو. ناصر خسرو. طهران: مؤسسة دار نشر و طبع جامعة طهران، ١٩٩٩.

١١٣. ديوان شمس. المولوي، جلال الدين محمد بن محمد. طهران: جاويدان، ١٩٨٧.

١١٤. ديوان عطار. عطار، محمد بن ابراهيم. طهران: شركة دار النشر العلمية و الثقافية، ١٩٨٧.

١١٥. زيارات عاشوراء. مترجم، مهدي إلهي قمشه اي. مشهد: شركة بهنشر، ١٩٩٩.

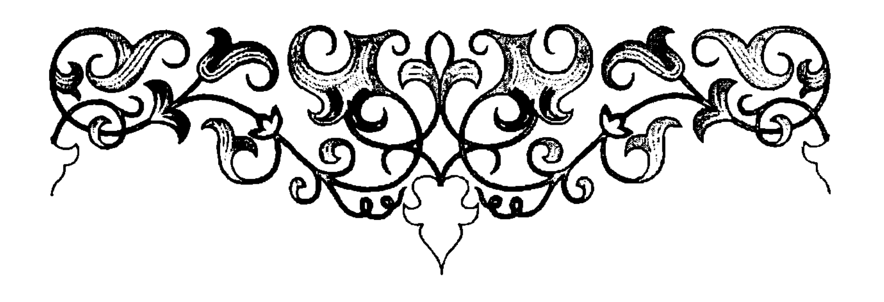
١١٦. شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. قم: دار نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ

١١٧. الصحيفة السجادية. علي بن الحسين عليه السلام، الإمام الرابع. قم: مكتب نشر الهادي، ١٩٩٧.

١١٨. عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية. ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين. قم: دار نشر سيد الشهداء، ١٤٠٥ هـ

١١٩. غرر الحكم و درر الكلم. علي ابن ابي طالب عليه السلام، الإمام الأول. عبد الواحد بن محمد الآمدي. قم: مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية قم، ١٩٨٧.





عرض عدد من الكتب قيد التَّرجمة والنَّشر

جاء تأسيس الدائرة العامة للترجمة والنشر الدولي، في المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي ، في عام ٢٠٠٨، في إطار تنفيذ مشروع ترجمة ضخم يتضمّن ترجمة حوالي ثمانمئة كتاب من إصدارات المجمع المذكور إلىٰ إحدى عشرة لغة عالمية حية، وذلك بهدف إحياء حركة الترجمة المعاكسة، أي نقل المفاهيم والأفكار والمضامين الظاهرة والمستترة في المدرسة الفكرية الإسلامية إلىٰ القراء في جميع أنحاء العالم، وكذلك للردّ علىٰ الشبهات والاستفهامات العالقة التي تطرحها المذاهب الفكرية الإنسانية العالمية والمدارس المنبثقة عنها، مثل المدرسة الليبرالية الاقتصادية والثقافية والعلمانية السياسية. وفي هذا الخصوص، تمّ تشكيل الهيئة الإقليمية العليا للغات (الإنجليزية، العربية، الفرنسية، الألمانية، المالائية، الأوردية، الطاجيكية، التركية الآذرية، الروسية، التركية الأسطنبولية، الأسبانية). وتضمّ الهيئة المذكورة فىٰ عضويّتها خمسة أفراد مختصّين ممّن لهم باع طويل في مجال اللغات والترجمة، وتحت عناوين رئيس الهيئة، مسؤول المراجعة العلمية، مسؤول المراجعة اللغوية، الخبير في الشؤون الثقافية ومترجم متخصّص، وستباشر دائرة الترجمة والتصحيح والنشر، في المجمع العلمي العالي عملها، بعد إجراء عملية المسح الثقافي.

وفي ما يأتي تعرض الدائرة العامة للترجمة جدولاً بأسماء المؤلفات والكتب التي وضعتها قيد الترجمة والنشر؛ وذلك ليطلع عليها القراء الأعزاء والمهتمُّون بهذه النشاطات والذين نهيب بهم إرسال إقتراحاتهم وانتقاداتهم البنّاءة والعلمية

على البريد الألكتروني الآتي:

translation444@gmail.com

وتقبلوا خالص الشكر والتقدير

نادري فارساني

المدير العام للترجمة والنشر الدولي

في المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي

التسلسل	عنوان الكتاب	اللغة	المؤلف	المترجم
١	الفكر الديني والعلمانية	عربي	همايون همتي	رحيم الحمداوي
٢	النظام المصرفي اللاربوی	عربي	عباس موسويان	زهراء عباسي
٣	الفقه والعقل	عربي	أبو القاسم علي دوست	أحمد ترجمان
٤	تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه	عربي	محمد باقر سعيدي روشن	علي عباس الموسوي
٥	نظرة في نظرية المعرفة في الفلسفة الإسلامية	عربي	حسن معلمي	منصف الحامدي
٦	الأخلاق الإلهية (ج٢٧)	عربی	مجتبیٰ طهرانی	حسين سلطانی
٧	قواعد فقه الديات	عربی	أحمد حاجي ده آبادی	خليل العصامی
٨	بحث في عصمة الأنبياء	عربی	أحمد حسين شريفي وحسن يوسفيان	قاسم الكعبی
٩	أسس الفكر السياسي في الإسلام	عربي	عميد زنجانی	علاء رضائي مهر
١٠	فلسفة الدين	عربي	علي أكبر رشاد	موسیٰ ظاهر
١١	مدخل إلىٰ الهرمنوطيقيا	عربي	شيخ أحمد واعظی	فضيل الجزائری